# مقدمات لوعي أفضل للواقع المعاصر

أسامة شحادة

# مقدمات لوعي أفضل للواقع المعاصر

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

فهذه مجموعة من المقالات والدراسات التي كتبتها في العقدين الماضيين، في عدد من الصحف والمجلات والمواقع، وقد بذلتُ فيها أحسن ما تعلمت وعرفت نصيحةً لأمتي وخدمةً لها، والتي أجد فيها -لليوم- فائدة ونفعًا للجيل الصاعد من شباب المسلمين، ورأيت أن أجمعها في كتاب ليسهل الانتفاع بها في إطار متكامل لما أريد توريثه من خبرة وتجربة للجيل الصاعد ليتعرف على بعض مجريات الأحداث السابقة وينتبه للمكائد والفخاخ المبثوثة في طريقه، ويطلع على بعض التجارب السابقة ليتعلم من دروسها ويراكم معرفة وخبرة تغنيه عن خوض تجارب فاشلة أو سلوك دروب مقفرة ومسدودة.

ولمّا كانت المعرفة بوابة الوعي وتراكم المعرفة والوعي مع الجد والعمل هو سبيل النهضة والإصلاح أقدّم هذه المقالات والبحوث علها تكون خطوة أو درجة في سبيل غاية الإصلاح السامية.

وآمل ممن اطلع عليها أن يدعو لي بظهر الغيب بدعوة صالحة، وأن يرشدني إلى الصواب إن ظهر له خطأ أو نقص فيها، فلا يخلو جهد بشري من ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

**أسامة شحادة**

**عمّان**

**٣٠ من ذي القعدة ١٤٤٢هـ**

**٢٠٢١/٧/١٠م**

# لماذا يعادون الإسلام الصحيح؟

منذ اللحظة الأولى للبعثة النبوية بعد نزول جبريل عليه السلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله «اقرأ» وذهاب خديجة رضي الله عنها بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى ورقة بن نوفل، فكشف له ورقة طبيعة العلاقة بين الكفار والمستكبرين والإسلام بقوله للنبي صلى الله عليه وسلم: «لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودِي» رواه البخاري.

وفعلا، وبرغم أن الرسالة المحمدية لم تنازع قريشا على الملك أو المال أو الجاه إلا أنهم حاربوا النبي صلى الله عليه وسلم، وعادوه، رغم أنه لم يطلب منهم ما يضر بهم أو يشق عليهم!

فلماذا؟

لأن الإسلام جاء لإرساء العدل ورفع الظلم، وبهذا يتضرر الظالمون والمستبدون والطغاة، فقد جاء الإسلام بعقيدة التوحيد التي تنبذ الشرك بالله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ (لقمان: ١٣)، إذ إن إنكار خلق الله عز وجل للكون أو أن نجعل معه أربابا شركاء في ذلك ظلم ينافي العدل والحق، وصرف شيء من العبادة والطاعة لغير الله عز وجل من آلهة باطلة ظلم مضاد للعدل والحق، والتعدي على حق الله عز وجل بالملك والحكم والتشريع ظلم يجانب العدل والحق ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ (الناس: ١-٣).

ولأن الإسلام جاء ليمنع ظلم الناس للناس بالعدوان على أرواحهم أو أبدانهم أو أموالهم أو حريتهم وكرامتهم، فإنه حرم القتل الظالم بكل صوره ومنها وأد البنات، وأكل أموال الناس بغير حق ومنه تحريم الغش والربا، وحرم الإسلام استرقاق الأحرار وسهّل وحض على تحرير الأرقاء، وحرم الزنا والفواحش ومنها تحريم الخمر وما يماثله من المخدرات.

وجاء الإسلام ليمنع الإنسان من ظلم نفسه باتباع الشهوات والمنكرات أو الكفر والشرك ونبذ الإيمان، إذ نتيجة ذلك أنه يصبح أسيرا للجهل أو

الخرافات والشعوذات، أو تتسلط عليه الآفات والمصائب البدنية والنفسية نتيجة ارتكاب المخالفات لأنها محرمة لما تسببه من أذى أصلا!
هذه حقيقة الإسلام وهذه حقيقة العدل الذي جاء به، والتي متى آمن بها الناس عرفوا ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، وبذلك تتهدم حصون الظالمين وأغلالهم التي فرضوها على الناس بالجور والظلم والعدوان.

هذا هو منبع عداوة أهل الباطل للدين الحق:
فالإسلام يمنع الإنسان عن لذاته العاجلة والمهلكة في نفس الوقت، والتي أصبحت اليوم شعار عصرنا بل أضحت المضمون الأول الذي تحشى به عقول الناس عبر وسائل الإعلام، فبعضهم يظن أن تحريم ومنع الإسلام للسّكر والإدمان والفواحش من الزنا والشذوذ والمقامرة والربا والتبرج والعري وأمثال ذلك هو عدوان وتطاول عليه بينما الحقيقة هي أن الإسلام يمنعه من ظلم نفسه أصالة ثم ظلم مجتمعه.
ومما يلبّس على الناس ما يقوم به المفكرون والساسة والمثقفون والتجار من ترويج لأمثال هذه المنكرات والفواحش والكفر والشرك بحجج شتى من الحرية والتقدم والحضارة والمدنية، بينما الحقيقة بخلاف ذلك تماما، إذ إن شيوع هذه الأفكار الضالة والسلوكيات المنحرفة هي من أهم وسائل تحقيق المكاسب والمنافع المعنوية من السلطة والجاه والنفوذ أو المادية من الأموال والمجوهرات وغيرها.
فكلنا يعلم أن أساطين تجارة المخدرات في العالم ومروجيها لا يتناولونها! حتى ينعموا بالملايين والمليارات العائدة ممّا ينفقه العاطلون عن العمل والفقراء لينسوا همومهم!
ومعلوم كم يجني تجار الجنس والفن من مليارات عبر دغدغة مشاعر وعواطف الناس بالأفلام والأغاني والحانات والملاهي، ومعلوم ما يرتكب في سبيل ذلك من جرائم خطف للبنات والفتيات واغتصابهن وإجبارهن على الإدمان والفجور ثم ينظّرون علينا بحقوق المرأة وهم إنما يبحثون عن حرية الوصول للمرأة.

ومعلوم أن تراكم المليارات في أرصدة القلة القليلة إنما هو نابع من تسخير مقدراتهم المالية في حملات دعائية لغرس ثقافة استهلاكٍ طاغية عند الجماهير التي تتبضع أشياء لا حاجة لها أصلا سوى جشع الرأسماليين الكبار للاستيلاء على أموال الفقراء.

والساسة ينتفعون بلهاث الجماهير خلف النزعات الاستهلاكية والشهوات الفانية ومتابعة برامج الفن والطرب فيخلو الجو لتمرير ما شاءوا متى شاءوا.

لهذا كان الإسلام الصحيح يحرر الإنسان من عبوديته للأشياء أولا فتتحرر إرادته الاقتصادية والسياسية ثانيا، ومن هنا يحارب هؤلاء الظالمون الإسلام الصحيح، لأنه يمنعهم من ظلم أنفسهم لأنفسهم ومن ظلمهم لغيرهم من الجماهير.

ومن مظاهر محاربة الإسلام في واقعنا اليوم تكرار تجربة دعم التصوف المنحرف ليكون ممثلا للإسلام بدلا عن صحيح الإسلام.

فمعلوم أن التصوف المنحرف يدعو لحصر التدين في القلب ويهوّن من ارتكاب المعاصي، كما أن التصوف المنحرف يدعو لتقبل العدوان والظلم واعتبار ذلك من الرضا بقضاء الله!

ومن عجيب حال هذا التصوف المنحرف أنه ينسب للزهد واشتهر بلبس الصوف، لكن هذا التصوف الذي يروج اليوم له هو من فئة الخمس نجوم فرموزه من المترفين زوار حفلات الفنادق والسفارات ونجوم في الإعلام والسياسة وضيوف على مراكز الدراسات الغربية! وفي هذا توظيف رخيص للإسلام لصالح الأعداء والشيطان ويحقق للظالمين دوام ظلمهم وعدوانهم دون إزعاج، بل سيجعل الناس تحقق كل أهداف الأعداء والشيطان وهي تظن أنها تطيع الله عز وجل.

هذه باختصار حقيقة عداوة الظالمين للإسلام الصحيح، لما يحققه من تحرر وكرامة للشعوب.

# التزام السنة والجماعة يهدم المؤامرات على الإسلام والمسلمين

تتكاثر الأزمات والتحديات التي تواجهها أمتنا الإسلامية، وعلى أكثر من صعيد، وتتباين وجهات النظر من أن ذلك هل هو بسبب ضعف الأمة وهوانها أو أنه بسبب يقظتها وتنامي قوتها؟

أما أنا شخصيا فأميل للرأي القائل بأن تصاعد قوة الأمة ويقظتها على أكثر من صعيد ديني واقتصادي وسياسي واجتماعي -وإن كان ليس بالقدر الكامل أو المنشود- هو سبب لكثير من الأزمات التي تُقذف بها أمتنا المسلمة.

فتصاعد الهوية الإسلامية في عموم المجتمعات المسلمة هو ما يغضب الكثير من الأعداء في الداخل والخارج الذين يرون في العقيدة الإسلامية وأخلاقها وأحكامها عائقا كبيرا في وجه مخططاتهم وأطماعهم السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية والثقافية.

فمن حين رَزق الله عز وجل بعض المجتمعات الإسلامية ثروة البترول وانتقلت من الفقر إلى الغنى واستغلت ذلك في نهضتها الذاتية أولا ثم أشركت معها كثيرا من المجتمعات الإسلامية الأخرى بالمعونة والمساعدات والمنح والإغاثة انزعج الكثير القوى المحلية والإقليمية والدولية التي تريد للمسلمين بقاء حالة الفقر والعوز لديهم مما يضعف قرارهم السياسي والذي تجلى في أبهى صوره بقرار الملك فيصل سنة ١٩٧٣ بحظر تصدير البترول، وقد حفر هذا القرار في قلوب أعداء الأمة المسلمة حقدا لا ينطفئ، ولعلّ من آثاره محاولاتهم مؤخرا فرض ضريبة الكربون على الدول المنتجة للبترول دون الدول المستهلكة له!

وقد شاهدنا استهداف قوة ماليزيا وتركيا الاقتصادية عبر مؤامرات دولية.

لقد كان إدراك قوة الإسلام والمسلمين الذاتية حاضرة بقوة في أطروحتي نهاية التاريخ وصدام الحضارات، حيث كان الإسلام هو المنافس الوحيد الذي يشكل خطرا حقيقيا لهم، برغم أن المسلمين لم يمتلكوا بعد كل مفاتيح

القـوة.
إن تسـلط الأعـداء عـلى المسـلمين للحيلولـة دون اكتـمال امتـلاك المسـلمين لمفاتيـح القـوة في الإسـلام لا يـزال مسـتمرا عـبر العديـد مـن الوسـائل والمكائـد والتـي مـن أهمهـا:
دعـم محـاولات تحريـف الإسـلام بعـد فشـل محـاولات إنهـاء الإسـلام، وهـذا التحريـف شـمل دعـم الفـرق الضالـة كالقاديانيـة الأحمديـة والتصـوف الضـال والشـيعة وغـض النظـر عـن جرائـم نظـام المـلالي طالمـا أنـه يقتـل مئـات الألـوف مـن المسـلمين، بينـما حـين هاجمـوا السـفارة الأمريكيـة وقتلـوا بعـض الأمريـكان اغتالـوا مبـاشرةً قاسـم سـليماني!
وشـمل أيضـا احتضـان وإيـواء أوروبـا وروسـيا وإيـران لكثـير مـن قـادة وأفـراد جماعـات العنـف والتكفـير وتوظيفهـم في ضرب المجتمعـات المسـلمة.
دعـم العلمانيـين والحداثيـين واليسـاريين لتقديـم تفسـيرات إسـلامية منحرفـة كمحمـد شـحرور والجابـري ونـصر أبـو زيـد وأمثالهـم، ولعـل التعقيـب الموفـق للدكتـور أحمـد الطيـب شـيخ الأزهـر عـلى د. عثـمان خشـت، رئيـس جامعـة القاهـرة، في مؤتمـر تجديـد الـتراث مؤخـرا مثـال واضـح لحقيقـة المؤامـرة عـلى الـتراث الإسـلامي بدعـوى تجديـده وتطويـره!
ضـخ موجـات الشـهوات الإباحيـة التـي تسـتهدف كل الشرائـح وعـبر مختلـف الوسـائط العامـة والخاصـة.
تكريـس النزاعـات والخلافـات السياسـية بـين المسـلمين عـلى مسـتوى الـدول وعـلى مسـتوى الحكومـات والمعارضـة لهـا.
الحـرص الدائـم عـلى إفقـار الـدول المسـلمة ومنـع تقدمهـا العلمـي والصناعـي عـبر العبـث بالمناهـج التعليميـة وسرقـة العقـول الناضجـة وبرامـج التصحيـح الاقتصـادي، ويـشرف عـلى تلـك الخطـط الضـارة صنـدوق النقـد والبنـك الـدولي.
ومـن يسـتحضر هـذه المؤامـرات يفهـم ويـدرك سـبب مـرور مظـالم المسـلمين والعـدوان عليهـم دون عقـاب رادع مثـل اسـتمرار الاحتـلال اليهـودي لفلسـطين، ومأسـاة البوسـنة والشيشـان، ومجـزرة بشـار للشـعب السـوري بالقنابـل الكيماويـة، وفاجعـة مسـلمي ميانمـار الآراكانيـين، ومسـلمي الصـين مـن الآيغـور، ذلـك أن إضعـاف المسـلمين هـدف مشـترك لـكل أعـداء الإسـلام برغـم تناقضاتهـم

وصراعاتهم، وما دفاعهم عن بعض المسلمين أحيانا إلاّ لضرب خصمهم وليس نصرة الإسلام ولا المسلمين، ولذلك لا يتم بتاتا إعطاء المسلمين حقهم كاملا، ولكن في أحسن الأحوال الحفاظ على وجودهم ولكن في حالة ضعف كما حصل في البوسنة.

هذه هي أهم المؤامرات التي تُحاك ضد الإسلام والمسلمين، والمسلم الموفق هو من يعي هذه المؤامرات وخطورتها أولا ثم يسعى إلى أن يتجنب أن يكون جزءا منها باتباع الفرق الضالة أو مجاراة التفسيرات العلمانية للإسلام أو الغرق في مستنقعات الشهوات المسلطة على المسلمين أو تنفيذ مخططات أعداء الإسلام الساعية لتقسيم المسلمين وتفتيتهم وبث الصراعات والفتن بينهم أو يكون أداة لإفقار بلاد الإسلام وتخريب مناهجها التعليمية.

والسبيل والوحيد لذلك أن يكون كل فرد منا متمسكا بانتمائه إلى أهل السنة والجماعة.

فالتزام السنة النبوية الشريفة في العقائد والأفكار والعبادات والأخلاق والعلم والعمل كفيل بأن يعصم المسلم المعاصر من اتباع الفرق الضالة والمناهج المبتدعة والجماعات المنحرفة، وهذا من أعظم أبواب الجهاد للنفس، وهو أيضا من أعظم الجهاد للشيطان وأعوانه الذين يسعون لإخراج المسلم عن إسلامه أو تحريف تدينه ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥٧).

والتزام الحرص على جماعة ووحدة المسلمين ما أمكن، وذلك من خلال منهج المناصحة بالحكمة لقوله صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» متفق عليه.

وبهذا المنهج من المناصحة بالحكمة نتجنب طريق الغلاة من المكفّرين والمفجرين من جماعات العنف والإرهاب ونتجنب طريق الغلاة من المبدّعين والمصنفين للناس بالظن والظلم.

وهـي طريقـة الصحابـة رضـوان اللـه عليهـم مـع الخـوارج والبغـاة وطريقـة الإمـام أحمـد مـع المعتزلـة والخليفـة المبتـدع وطريقـة شـيخ الإسـلام في التعـاون مـع سـلاطين عـصره والصوفيـة ضـد التتـار.

فالنصيحـة والتكامـل في الحـق هما سـبيل حفظ الجماعة ووحدة المسـلمين.

وكـما أن نهـج الهـدم والتخريـب المعنـوي والمـادي بحجـة الحـرص عـلى النقـاء والصفـاء ليـس مـن سـبيل أهـل السـنة والجماعـة، فـإن سـبيل التجميـع للطالـح والصالـح بدعـوى الحـرص عـلى الوحـدة وعـدم تفـرق المسـلمين والتعبـير عـن ذلـك بالمقولـة المشـهورة «نتعـاون فيـما اتفقنـا عليـه، ويعـذر بعضنـا بعضـا فيـما اختلفنـا فيـه» ليـس بسـبيل أهـل السـنة والجماعـة، فالعـذر يكـون مقبـولا فيـما يسـوغ فيـه الخـلاف مـن الفرعيـات أو مـا كان مـن مسـائل الاجتهـاد التـي ليـس عليهـا دليـل قاطـع.

أمـا تسـويغ كل خـلاف -مـما يجـوز ومـما لا يجـوز- بحجـة الحـرص عـلى الجماعـة والوحـدة فهـذا يبطـل أصـل التمسـك بالسـنة!

فالحـرص عـلى سـلامة المنهـج والعقيـدة والسـنة مهـم كـما أن الحـرص عـلى الوحـدة والجماعـة مهـم أيضـا، والحـرص عليهـما جميعـا هـو الـذي يوصـل لرضـا اللـه عـز وجـل أولا، ولنـصرة الإسـلام والمسـلمين ثانيـا وهـو الـذي يخشـاه الأعـداء خصوصـا.

# عامة المسلمين بين تجفيف المنابع و تحريف المفاهيم

كان من كلام السلف الحثّ على اتّباع الفطرة السليمة في المعتقد، والتي عليها العامة من المسلمين كما في قول الإمام سفيان الثوري: «عليكم بما عليه الحمالون، والنساء في البيوت، والصبيان في الكتاتيب، من الإقرار والعمل» وذلك في مفهوم الإيمان وأنه قول وعمل، وإلى ذلك أشار الإمام الفخر الرازي في قوله: «ليتني أموت على عقيدة عجائز نيسابور»، وذلك أن عامة المسلمين كانوا تبعاً لأهل العلم الصادعين بالكتاب والسنة وفهم الصحابة والسلف الكرام، بينما كان أهل البدعة والانحراف في الغالب هم الاستثناء والقلة والشذوذ الذي لا يلقى القبول العام وإنما هو محصور في دوائر ضيقة.

ولكن تبدل هذا الحال لمّا تمكن المعتزلة من كسب الخليفة المأمون لقولهم، حيث أجبر العلماء والفقهاء على قوله بالغصب والإكراه، وضرَب الإمام أحمد وحبَسه بسبب رفضه مذهب المعتزلة بالقول بخلق القرآن، وبقيت هذه الفتنة مدة ١٣ سنة حتى أبطلها الخليفة المتوكل، وزالت دولة المعتزلة، وانتشرت السنة عموما، لكن بدأت عملية تحول بانحسار سلطة علماء أهل السنة والجماعة عن قيادة عامة المسلمين لصالح جهات أخرى، وبدأت مسيرة غربة أهل السنة والجماعة.

ثم لما انتشر التصوف بين عامة المسلمين وقياداتهم تزعزعت عقائد العامة وتخلخلت قوة الدولة الإسلامية فانتشر الجهل والتواكل، فضاعت دنيا المسلمين ودينهم، وهُدمت الدولة العثمانية وتفتّتت قوة المسلمين، وتسلط عليهم الكفار المحتلون، وانتشرت الأفكار الالحادية بين ملايين المسلمين الذين وقوعوا في قبضة الشيوعية في روسيا والدول الحليفة لها في أوربا وآسيا وأفريقيا، وانتشرت العلمانية في الدول الإسلامية الأخرى، كما ظهرت الفرق الضالة من القاديانية والبهائية وأمثالهما، وصبّت الشهوات على أبناء

المسلمين حتى صرخ العلامة أبو الحسن الندوي بصرخته المدوية «ردة ولا أبا بكر لها"!!

ثم شاء الله عز وجل أن تحصل يقظة إسلامية وصحوة مباركة قادها علماء مصلحون من أمثال العلامة رشيد رضا والعلامة الألوسي والعلامة القاسمي قامت على بعث كتب شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب ونشرها في الآفاق، ثم ردفتها جهود الدولة السعودية خاصة بعد الطفرة النفطية ففتحت الجامعات واستقبلت الطلاب وأنشات المساجد والمعاهد وبثّت الدعاة بإشراف كوكبة من العلماء على رأسهم العلامة ابن باز، ورافق ذلك ظهور حركات إسلامية متعددة فردت للمساجد حياتها، وبدأت حلق القرآن والعلم تنتشر وتظهر السنن في منازل المسلمين وشوارعهم شيئاً فشيئاً، حتى أصبح ذلك حالة عامة استدعت من الصحف والقنوات العلمانية أن تفسح في جنباتها مكاناً للإسلام، وأن تذعن البنوك الربوية فتفتح نوافذ إسلامية، وتواكب دور الموضة الحالة الإسلامية فتقدم موديلات إسلامية، وهكذا!!

ولكن هذه الصحوة الإسلامية تضخمت وعادت لتشكل ثقافة إسلامية سنية عامة بعد أن كانت ثقافتها علمانية أو ثقافة دينية فلكلورية يغلب عليها التصوف، فأصبحت تهدد خصوم الإسلام جميعاً بعد أن كانت تتقاطع مع العالم الغربي في صد المد الشيوعي، فتبدل الحال اليوم باتفاق الغرب والشرق على حرب الصحوة الإسلامية لكونها تشكل المنافس والبديل المتوقع، والذي يؤشر لذلك تسارع وتيرة الإقبال على دخول الإسلام من أبناء الشرق والغرب من جهة، وتزايد أعداد المسلمين عبر التوالد، وتَعارض القيم الإسلامية مع نمط الانحطاط الأخلاقي والاستهلاكي والاقتصادي الذي يقوض قوة الغرب والشرق ويضخم قوة الإسلام!

من هنا كانت المشاريع الناعمة للغرب والشرق لتجفيف منابع الإسلام والتدين بينهم ومشاريع تحريف المفاهيم الإسلامية من أهم وأخطر ما يقوم به أعداء الإسلام بعد فشل مشاريعهم العسكرية الخشنة، سواء في مرحلة الاحتلال المباشر أو إدارة الصراعات والخلافات أو الفوضى كما هو حاصل في سوريا اليوم.

ولذلك فإن الحرب اليوم ضد الإسلام هي على دين العامة من المسلمين لفصل الحاضنة الشعبية عن العلماء والدعاة والصحوة الإسلامية، ويتم ذلك عبر مسارين:

### المسار الأول: تجفيف منابع التدين والإسلام

عبر تقليص مساحة العلم الشرعي في الجامعات والكليات الشرعية الرسمية والخاصة إما برفع معدلات القبول أو التشدد في معايير القبول، مع تقليص مساحة تعليم الدين والإسلام في التعليم الأساسي، فضلاً عن التحكم والسيطرة في مضمون المناهج التعليمية.

كما تم محاصرة مساحة الدعوة الإسلامية في القنوات الإعلامية حيث أُغلق عدد من الفضائيات الإسلامية المهمة أو خفض سقف ما تبقى ومنع كثير من العلماء والدعاة من الظهور على شاشات الإعلام، بل تم التضييق على مساهمتهم في وسائل التواصل الاجتماعي.

وتم منذ سنوات محاصرة العمل الخيري السني وخنقه وفسح المجال للمشاريع الرافضية والتبشيرية في ديار المسلمين، والله المستعان.

ومن ذلك السعي لمنع العمل الإسلامي السياسي عبر الأحزاب والانتخابات بحجة عدم تسييس الدين!

والجهود متواصلة في محاصرة خطبة الجمعة وإضعاف دورها في توعية المسلمين بإقصاء العلماء والخطباء المؤثرين وفرض الخطبة الموحدة وتحجيم دور المساجد على أداء الصلاة فقط وعدم بث الخطبة والإقامة والصلاة!

وهناك خطط للاستيلاء على ركن الإسلام الرابع وهو الزكاة عبر تقنين إخراجها للمؤسسات الرسمية فقط، بل تم المناداة بتقديم الزكاة لهيئات الأمم المتحدة! والتي تستهلك مصاريفها الإدارية من الأموال الممنوحة ما يزيد عن ٥٠٪، ولذلك لم تحلّ مؤسسات الأمم المتحدة مشكلةً في أي بقعة في العالم! إضافة إلى أنها لا تراعي تطبيق المعايير الشرعية في إخراج الزكاة، ولكن الهدف هو تجفيف منابع التدين من خلال خنق روح التكافل والولاء بين المسلمين وإفساح المجال لغير المسلمين مما يسهل عملية التشييع أو التنصير.

هـذه أهـم محاور تجفيف منابع الإسـلام والتدين بين عامة المسـلمين.

### المسار الثاني: تحريف المفاهيم

وذلـك مـن خـلال فـرض دعـاة للمناهـج البدعيـة والمنحرفـة في كليـات الشريعـة ومناهـج التعليـم وعـلى منابـر الإعـلام وصفحـات الجرائـد تطبيقـاً لتوصيـات مراكـز التفكـير الغربيـة والشرقيـة، لتحريـف مفاهيـم الإسـلام والديـن في كافـة المجـالات، ويشـترك في ذلـك دعـاة البـدع والأهـواء والعقلانيـون والملحـدون مـن أبنـاء الأمـة ومـن خارجهـا مـن المسـتشرقين والباحثـين ودوائـر الاسـتخبارات.

ومحاولـة إحيـاء التعصـب المذهبـي وتحسـينه وفرضـه عـلى الأئمـة والمعلمـين ومحاربـة منهـج التمسـك بالدليـل الصحيـح مـن الكتـاب والسـنة والفقـه المقـارن الـذي سـهل عـلى الأمـة دينهـا وجنّبهـا المشـقة والمخالفـة للحـق والسـنة النبويـة.

وحـصر المناصـب الدينيـة عـلى مـن تـرضى السـلطات السياسـية عنهـم ويكونـون طـوع أمرهـم لتمريـر القـرارات والمشـاريع بهـوى السـلطان لا بـرضى الرحمـن.

وفتـح المجـال لـكل العلمانيـين والحداثيـين واللادينيـين للخـوض في أحـكام الشريعـة والقوانـين المنبثقـة منهـا في الأحـوال الشـخصية لتطويعهـا لمفاهيـم اتفاقيـة سـيداو العالميـة، التـي تتناقـض مـع الإسـلام تمامـاً في الكبـيرة والصغـيرة.

والضغـط عـلى كثـير مـن الحـركات الإسـلامية وقادتهـا التكنوقـراط والشرعيـين للتنـازل عـن كثـير مـن الثوابـت الشرعيـة والقيـام بمواءمـات عـلى حسـاب الإسـلام والديـن ليوافـق الأهـواء العلمانيـة والإلحاديـة.

وتـم توظيـف حالـة التطـرف والغلـو والطائفيـة الداعشـية والميلشـيات الشـيعية المجرمـة لتشـويه مفهـوم الجهـاد والخلافـة والحكـم الإسـلامى لتوليـد مفاهيـم إلحاديـة وعلمانيـة معاديـة للإسـلام نفسـه، فشـهد العـراق حـالات مـن الإلحـاد والعلمنـة عنـد قطـاع واسـع مـن شـبابه -سـنة وشـيعة- بـل وهنـاك حـالات تنـصّر، والأدهـى مـن ذلـك وجـود حـالات تحـول للزرادشـتية تحـت وطـأة الفقـر والحرمـان وتشـوه المفاهيـم.

ما العمل؟

مـن هنـا؛ فـإن عـلى العلـماء والدعـاة وطلبـة العلـم والأئمـة والمعلمـين والوالديـن وكل عاقـل أن يقـوم بواجبـه في نـصرة هـذا الإسـلام وحمايـة عامـة المسـلمين مـن

السحق تحت سندان تجفيف المنابع ومطرقة تحريف المفاهيم بالدعوة إلى الله عز وجل بكل طاقة وسبيل وفي كل مكان وزمان ولأي شريحة كانت.
ويجب على علماء الإسلام أن يتداعوا سريعاً لوضع قائمة بالأولويات الدعوية المشتركة عبر العالم للمسلمين كافة، ثم وضع أولويات دعوية تخص كل منطقة بما يناسب تحدياتها.
ويرافق ذلك حث وتهيئة وإعداد للشباب والجيل الصاعد على تعلم الإسلام وعقائده وأحكامه بشكل سليم والقيام بواجب الدعوة والتعليم بحكمة وإتقان.
وعلى العلماء خاصة التواصي مع ولاة الأمور بالحق وبيان خطورة معاداة الإسلام الناعمة، والتي يقوم بها أفراد أو مؤسسات داخل السلطة على مجموع السلطة كلها، وبيان أن ذلك يزعزع الأمن والاستقرار ويجلب غضب الجبار، وأن يواجهوا مشاريع العدوان الناعمة بمشاريع المقاومة الإسلامية الناعمة والتي أثبتت على مدار تاريخ الإسلام أنها هي المنتصرة دوماً.
فهذه أمم الأرض دخلها الإسلام بنعومته وليس بسيفه، وها هي تتعرض لأبشع أنواع النكال والاحتلال والتخريب والعدوان ومع ذلك تبقى هذه الشعوب مسلمة متمسكة بإسلامها، ولعل ما يحدث اليوم لأهلنا في «أركان» أكبر مثال على ذلك.
وها هي تركيا وأفغانستان وجمهوريات روسيا تسلّط عليها الكفار الشيوعيون أو العلمانيون الحاقدون فجرّموا الإسلام وحاربوا الدين ومنعوا القرآن والأذان وأغلقوا المساجد وفتحوا الحانات وقتلوا الملايين من المسلمين وهجّروا ملايين أخرى، ولكن ما هي النتيجة؟ بقي الإسلام وظهر من جديد، وزال قهر لينين وستالين وأتاتوك وأمثالهم.
إن قوة الإسلام الناعمة غالِبة عبر التاريخ الماضي والقادم، فهل نكون جزءا من هذا الشرف؟ هذا هو السؤال الحقيقي.

# السياسة والعلم جزء من شمولية الإسلام

من بديهيات الإسلام البسيطة التي يعرفها كل مسلم يطالع كتاب الله عز وجل أن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله عز وجل للبشرية جمعاء من أولهم إلى آخرهم، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾(آل عمران: ١٩)، وأخبرنا الله عز وجل أن الأنبياء والرسل جميعاً كان دينهم الإسلام، فقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾(يونس: ٧٢)، وقال عن إبراهيم عليه السلام:﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ١٣١)، وقال عن يوسف عليه السلام:﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (يوسف: ١٠١)، وقال عن سليمان عليه السلام وملكة سبأ بلقيس:﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾(النمل: ٤٤)، وقال عن إيمان سحرة فرعون:﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾(الأعراف: ١٢٦)، وقال عن حواريي المسيح عليه السلام:﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٥٢).

فمن يؤمن بأن الإسلام هو دين البشرية جمعاء وهو الدين الذي جاء به كل الرسل والأنبياء، ويؤمن بما قصّه علينا القرآن الكريم من أخبار الرسل والأنبياء فضلا عمّا تعرفه البشرية من تاريخ الرسل والأنبياء مما يوافق القرآن الكريم، سيجد بوضوح أن الأنبياء والرسل مارسوا السياسة وتعاملوا معها وقدموا النموذج الصحيح للسياسة، وأن السياسة جزء من دين الإسلام عبر تاريخ البشرية، وأن انحراف السياسة اليوم هو جزء من الانحراف عن دين الإسلام عبر التاريخ حيث كان الله عز وجل يبعث الرسل والأنبياء لتقويم مسيرة البشرية، حتى ختمت النبوة والرسالات بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

فقد كان من الأنبياء من هو ملِك وحاكم كداود وسليمان عليهما السلام، وكان يوسف عليه السلام وزير المالية في حكومة عزيز مصر، وكان موسى عليه السلام مخلّص اليهود من استعباد الفراعنة واستبدادهم، وكان شعيب عليه السلام معارضا للفساد الاقتصادي في قوم مديَن، وكان محمد عليه

الصلاة والسلام مع نبوته حاكما يعقد المعاهدات والاتفاقيات مع العرب واليهود ويراسل الحكام والملوك ويقود الجيوش بنفسه، فضلا عن إدارته الداخلية لدولة المدينة المنورة.

ومن يطالع القرآن الكريم سيجد بوضوح صلة الأنبياء بالعلوم والمعارف والصناعات ورعايتهم لها ودعمهم لأهلها، فالأنبياء والرسل كانوا مشاعل العلم والمعرفة النافعة وحربا على المشعوذين والدجالين، وحريصين على تنمية مجتمعاتهم ورقيّها.

فنوح عليه السلام علمه ربُّه بناء السفن، وداود عليه السلام علمه ربه صنع الدروع الحديدية من الحلقات، وسليمان عليه السلام عُلّم منطق الطير، ويوسف عليه السلام علم إدارة المخزون الغذائي الاستراتيجي، وهذا كله سخر لنهضة البشرية وتقدمها، وقد كان الله عز وجل قادرا على خلق سفينة لنوح دون تعب، وإنزال دروع لداود دون نصَب، وهكذا، لكن سنة الله عز وجل وسنة الأنبياء والرسل هي التعاطي مع الحياة بالأسباب الكونية التي خلقها الله عز وجل.

والنبي صلى الله عليه وسلم شجّع أصحابه على تعلم العلوم المختلفة وتسخيرها لخدمة المجموع العام، فقبِل فكرة حفر خندق حول المدينة، وتعامل مع المعلومات الأولية وتحليلها حين سأل عن عدد ذبائح جيش قريش ليقدّر عدد الجيش، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قادراً أن يسأل ربه كم عددهم، لكنه تعليم لأمته بأهمية أخذ الأسباب العلمية في إدارة الشؤون السياسية والعسكرية والتوافق مع سنن الله عز وجل في الكون.

واشتمال الإسلام اليوم على السياسة والعلم هو امتداد لهذا الأصل لكل من يطالع القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة، فزعم البعض اليوم أن الإسلام لا يلتقي مع السياسة، لأن السياسة خبيثة ومتحركة بينما الإسلام طاهر وثابت، دعوى باطلة يكذبها الإسلام والقرآن الكريم والسنة والتاريخ والواقع!

فالقرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بالآيات والأحاديث التي تتناول جوانب السياسة من الحكم والقضاء والمعاملات والتحالفات والحرب والسلم،

والتاريخ يعارض هذه الدعوى بما يحتويه من تاريخ مجيد في سياسة الدنيا بأحكام الإسلام وتجاوب قيم الإسلام ومقاصده لتغيرات الحياة وتقلباتها، والواقع يرفض ذلك فالإسلام حاضر بقوة في عالم السياسة، شاء من شاء وأبى من أبى، وهذه الدعوى بفصل الدين عن السياسة هي بذاتها جزء من صراع الإسلام في المجال السياسي مع دعاة العلمنة والإلحاد.

الإسلام ما شرعه الله عز وجل دينا للبشرية إلا ليقود سياسة الدنيا بالحق والعدل، فيحقق لهم الأمن والسعادة، أما ما يزعمه العلمانيون والملاحدة من أن السياسة شر وخبث وكذب، فهذه سياستهم هم، فبعد أن ضلوا عن حقيقة الوجود وأنكروا أن الله عز وجل خلق هذا الكون كله وأنه تحت أمره وحكمه واعتقدوا أنهم نسل حيوانات وليس خلقا مكرما من الله عز وجل، كان طبيعياً أن يعتقدوا أن الأصل في السياسة فيما بينهم أن تكون حيوانية تقوم على المكر والخداع والافتراس!

بينما المسلمون والمؤمنون الذين يؤمنون بأن الله عز وجل خلق البشر مكرمين محترمين من نسل نبي هو آدم عليه السلام، كان طبيعياً أن يعتقدوا أن الحق والعدل هما أساس السياسة الشرعية التي تصلح البشرية، وهذا ما شهد به تاريخ البشرية من أن الأنبياء والرسل وأتباعهم ما قادوا الأمم إلا للخير والسعادة والعدل والأمن، وأن البشرية حين تنحرف عن سياسة الأنبياء والرسل الشرعية تنهار وتتدمر بسبب ظلمهم وعدوانهم على بعض وبسبب استفحال المنكرات والفواحش التي تهلكهم بالأمراض والعقوبات الربانية.

والواقع اليوم خير شاهد على الفوضى والظلم اللذين ينتشران بسبب السياسات العلمانية المضادة للإسلام، برغم الرقي العلمي والعلمانية الحاكمة والديمقراطية، إلا أن العالم تزداد فيه الحروب، وتكثر فيه المشاكل المناخية، وتنهار فيه الدول والمجتمعات، وتستفحل فيه المجاعات، فضلا عمّا يعانيه الناس من أزمات نفسية ازدادت معها حالات الانتحار، حتى عند الأغنياء والمشاهير، مما يستدعي ضرورة العودة للسياسة الشرعية الإسلامية لإنقاذ العالم وليس المطالبة بفصل الإسلام عن السياسة!

أما علاقة الإسلام بالعلم والمعرفة فهي علاقة وثيقة، فالإسلام يقرر من

البداية أن هذا الكون كله من خلق الله عز وجل ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ (الرعد: ١٦)، وأنه خلق هذا الكون والوجود على نظام محكم بديع، فمثلاً قال الله تعالى عن الشمس:﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ (يس: ٣٨)، ووصف سبحانه نفسه بقوله:﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(البقرة: ١١٧)، أي خلق السماوات والأرض على غير مثال سابق وبإبداع عظيم دقيق.

وبعد أن خلق الله عز وجل هذا الخلق البديع كرم الله عز وجل أصل البشرية وهو آدم عليه السلام بتعليمه الأسماء لجميع المخلوقات،﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (البقرة: ٣١-٣٢).

وجعل الله عز وجل بداية نزول الرسالة الخاتمة على البشرية الأمر بالقراءة والتعلم في الكتاب المفتوح والكتاب المنزل﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾(العلق: ١)، وبعد ذلك حث الله عز وجل عباده المسلمين والمؤمنين للتعلم واكتساب المعارف في هذا الكون الفسيح﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ ﴾(الأنعام: ١١).

فلا مصادمة بين دين الإسلام -عند الأنبياء السابقين أو عند المسلمين اليوم- وبين العلم ومعارفه واكتشافاته، لأن العلم الصحيح يتوافق مع الإسلام والدين السليم، أما ما وقع من صدام بين العلم والدين وبعض رجالاته، فهذا صدام بين العلم والدين المحرف، وهو صدام وقع أصلاً بين الإسلام وتحريف الدين عبر التاريخ، وهو الذي أرسل من أجله الرسل لمحاربة انحراف التدين، وهو المقصود بقول المسيح عليه السلام: «إنه ما جاء إلا لهداية خراف بني إسرائيل الضالة»، فالصدام مع الدين المحرف هو صدام مع الإسلام في الأصل والبداية وليس مع العلم!

ولذلك جاءت كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لتدل على بعض الحقائق العلمية التي لم تكن معروفة في زمن نزول الوحي، ومع الأيام عرف بعضها ولا تزال هناك حقائق لم يصل إليها العلم الحقيقي، ولكن لم يحدث ولن يحدث أن تصادم الوحي قرآنا وسنة مع أي حقيقة علمية.

بـل إن التفسـير الدينـي للحقائـق العلميـة في الإسـلام هـو التفسـير العلمـي لهـا، وهـو مقتـضى قولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «أنتـم أعلـم بأمـر دنياكـم» رواه مسـلم، ولذلـك لم يعـرف تاريـخ الإسـلام تجريمـا لعـالم عـلى اكتشـاف أو رأي علمـي، بخـلاف مـا حصـل مـع أديـان محرفـة أخـرى.

لكـن قبـول الإسـلام للتفسـير العلمـي للعلـوم لا ينفصـل عـن الإقـرار بـأن هـذه القوانـين العلميـة مـن خلـق اللـه عـز وجـل وأنـه هـو مـن جعلهـا سـبباً لمسـبباتها، بخـلاف الملاحـدة الذيـن ينكـرون وجـود الخالـق واللـه عـز وجـل.

وأيضـاً الإسـلام لا يقبـل دعـاوى جهلـة التصـوف الذيـن حاربـوا العلـم والمعرفـة ورفضـوا الأخـذ بالأسـباب اعتـمادا عـلى التـوكل، فهـذا منهـج منحـرف يخالـف سـيرة النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم بالأخـذ بالأسـباب الصحيحـة في شـؤونه وشـؤون المسـلمين وهـو أعظـم المتوكلـين.

إن محاولـة أعـداء الإسـلام لتجزئـة الإسـلام وحـصره في الجانـب الشـخصي والروحـاني محاولـة باطلـة شرعـاً وفاشـلة تاريخيـاً وواقعـاً،﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ﴾(الأنفـال: ٣٦).

# القابليـة للتضليل

توصـل المفكـر الجزائـري مالـك بـن نبـي رحمـه اللـه لمصطلـح كاشـف لتخلـف الأمـة الإسـلامية المعـاصرة وهـو مصطلـح «القابليـة للاسـتعمار»، ورغـم مـا دار ويـدور حـول مـدى صـواب فكـرة مالـك بـن نبـي (١٩٠٥ - ١٩٧٣م) أو خطئهـا أو دقـة انطباقهـا عـلى الواقـع الإسـلامي، فـإن جوهـر نظريتـه يقـوم عـلى أن الخلـل في نظـام التفكـير والروابـط الاجتماعيـة بسـبب سـيادة حالـة الجهـل والانحطـاط الأخلاقـي يُولِّـد في أي مجتمـع القابليـة لتقبـل الاسـتعمار والتبعيـة والخضـوع لـه وتقمّـص عاداتـه وتنفيـذ مصالحـه مهـما سـلبت مـن حقـوق المجتمـع المسـتعمر.

واليـوم نحـن نعيـش واقعـا شـبيها بفرضيـة مالـك بـن نبـي، فالمسـلمون يعانـون مـن خلـل في التفكـير يطـال جميـع شرائـح ومكونـات المجتمـع، ولذلـك تعالـج الأخطـاء بمزيـد مـن الأخطـاء غالبـاً، مـن قبـل الحكومـات والمعارضـة، ومـن قبـل العلمانيـين والإسـلاميين، وقلـما نجـد رؤيـة تقـدم حـلاً مقنعـاً موضوعيـاً، حتـى عـلى مسـتوى المشـاكل الفنيـة والخاليـة مـن أي ظـلال أيدلوجيـة.

وأيضـاً نعـاني مـن حالـة تزايـد في الـتردي الأخلاقـي سـواء بانتشـار العـري والسـفور والعلاقـات الآثمـة، أو انتشـار الرشـوة والغـش، أو تفـشي الكـذب والخـداع.

ويصاحـب هـذا حالـة إعـراض عـن العلـم والمعرفـة لناحيـة الإعـلام الهابـط والغـوص في المتـع والكماليـات الزائفـة، مـما يجعـل المنـاخ مناسـباً وملائمـاً للقبـول بالتضليـل الفكـري والإعلامـي والسـياسي والاقتصـادي!

فمنظومـة التفكـير فيهـا خلـل ولا تحسـن تمييـز الصـدق مـن الكـذب، والممكـن مـن المسـتحيل، فضـلاً عـن فلـترة مصـادر المعلومـة، هـل هـي منحـازة أو حياديـة، هـل هـي منحـازة فقـط أو تكـذب وتدجـل أيضـاً؟

ومنظومـة الأخـلاق النازفـة تجعـل البعـض يقبـل الباطـل ويؤيـده بسـبب تناغمـه مـع هـواه المنحـرف!

والجهـل بالتاريـخ والخلفيـات للأحـداث والشـخصيات والفاعلـين تسـاعد عـلى تقبـل خلـط الأوراق وتزويـر الحقائـق.

فكيـف إذا كانـت الحالـة مركبـة ومعقـدة؟، فالموضوعـي والمحايـد هنـا كمصـدر إعلامـي أو فاعـل سـياسي، هـو في مربـع آخـر منحـاز وصاحـب أجنـدة خفيـة.
أو حـين تتعقـد شـبكة التحالفـات فالأعـداء في الموضـوع الفـلاني يتحالفـون في القضيـة العلانيـة!
ومـن هنـا نجـد أن قطاعـات واسـعة مـن النـاس بمختلـف أيدلوجياتهـم أو مراتبهـم العلميـة أو المهنيـة هـم قابلـون للتضليـل!
فاحـذر أن تكـون منهـم، بالقراءة والتعلـم وتجويد التفكير والسـمو الأخلاقي.

# قواعـد فهم الواقع

## ١- سلامة المنهج

كشـفت دمـاء آلاف الأبريـاء مـن الأطفـال والنسـاء والرجـال والمسـنين عـلى يـد الميلشـيات الشـيعية والإيرانيـة في عـدد مـن دولنـا كالعـراق واليمـن وسـوريا والبحريـن والسـعودية وغيرهـا أن الانخـداع بإيـران والشـيعة مـن قبـل جماعـات إسـلامية وجمـور عريـض كان خطـأ فادحـا، وأنـه تكـرار لكـوارث التاريـخ الدامية دون اسـتفادة منهـا.

علـق الإمـام الذهبـي عـلى خطـورة مسـار أهـل البـدع حـين لخـص كارثـة انخـداع وتقريـب أبي جعفـر المنصـور لمؤسـس منهـج المعتزلـة عمـرو بـن عبيـد، بقولـه: «اغـتر بزهـده وإخلاصـه، وغفـل عـن بدعتـه»، وبعـد هـذا التقريـب للمعتزلـة واختراقهـم للدولـة بسـنوات، شـهدت الأمـة الإسـلامية إرهـاب المعتزلـة بإلـزام المسـلمين كافـة بعقيدتهـم الباطلـة (خلـق القـرآن) بالبطـش والعـدوان، وفي سـبيل ذلـك قتلـوا العلـماء وسـجنوهم حتـى سـجنوا الإمـام أحمـد بـن حنبـل بعـد ضربـه وتعذيبـه.

وفي هـذا العـصر تتكـرر الكارثـة، فقـد غفـل البعـض عـن بدعـة الخمينـي وبدعـة البغـدادي، واغـتروا بشـعاراتهم البراقـة عـن نـصرة المسـتضعفين ومحاربـة الكفـار والمعتديـن، ولكـن الحقيقـة أن بدعتهـم جلبـت الكـوارث عـلى بـلاد الإسـلام.

إن التبـين والتفحـص لسـلامة المنهـج هـو الخطـوة الأولى لسـلامة المسـتقبل، وأن لا تضيـع جهودنـا هبـاء، وأن لا نكـون ضحايـا لفئـات مجرمـة قـد نكـون بسـذاجتنا قـد سـاهمنا بنموهـا وانتشـارها.

وهـذا يلـزم قـادة العمـل الإسـلامي بوعـي حقيقـة الأفـكار المحركـة للطوائـف والتجمعـات، وأبعـاد آلياتهـم وأسـاليبهم في التغلغـل والتـسرب بيننـا لإيذائنـا والسـيطرة علينـا، والسـبيل لذلـك الوعـي اعتـماد العلـم والمعرفـة ومطالعـة التاريـخ والواقـع في بنـاء القناعـات والمواقـف والاعتـماد عـلى أهـل التخصـص الثقـات، وعـدم الاغـترار بالقناعـات العاطفيـة والشـعارات الجذابـة والتفـرد

بالقـرارات.
لقـد عانـت أمتنـا في السـنوات الأخـيرة مـن بـروز وتلميـع ودعـم بعـض الشـخصيات بسـبب طـلاوة لسـانها وبريـق شـعاراتها وجاذبيـة أطروحاتهـا، وبرغـم تحذيـر بعـض العلـماء والعقـلاء مـن هـذه الشـخصيات مبكـراً إلا أن الغفلـة وحسـن الظـن ونقـص الحـزم سـاهمت في تصاعـد شـعبيتها، ولمـا تعرضـت الأمـة للمحنـة وجدنـا هـذه الشـخصيات في صفـوف الأعـداء!
ومـن هـذه الأمثلـة أبـو القعقـاع محمـود قـولا غـاصي في حلـب، وعـلي الجفـري في اليمـن، وعـلي جمعـة وعمـرو خالـد في مـصر، وعدنـان إبراهيـم مـن المهجـر والفلسـطيني الأصـل، وغيرهـم كثـير.
أمتنـا اليـوم تُشـن عليهـا حـرب أفـكار معلنـة، ويجـب عـلى قـادة العمـل الإسـلامي أن يكونـوا عـلى قـدر المعركـة بالوعـي العلمـي المعـرفي وإسـناد المهمـة لأهلهـا مـن العلـماء والمفكريـن الحقيقيـين، والاسـتعداد لمقارعـة مختلـف الأفـكار والشـبهات، والبـدء بتحصـين الأمـة فكريـاً، مـن خـلال الاسـتثمار الأمثـل لمـوارد وطاقـات الدعـوة الإسـلامية، وهـي مـوارد كبـيرة جـداً تحتـاج إلى قيـادة واعيـة وخطـاب صحيـح.
وعـلى عاتـق نخـب أهـل السـنة اليـوم مسـؤولية قيـادة الأمـة، فهـل يكونـون عـلى قـدر المسـؤولية ويأخذونهـا بحقهـا، ويتبعـون فيهـا السـنة النبويـة بتوسـيد الأمـر لأهلـه، ولذلـك كان سـيف اللـه هـو خالـد، وليـس الصديـق.

## ٢- دقة المعلومة وسلامة التحليل

سـجل المـلا عبـد السـلام ضعيـف، أحـد قـادة طالبـان، في كتابـه «حيـاتي مـع طالبـان» أن عـدم تقبـل المـلا عمـر، زعيـم طالبـان، للمعلومـات التـي قدمهـا إليـه بصفتـه سـفير طالبـان في باكسـتان وسـوء تقديـره لحقيقـة نيـة أمريـكا بالهجـوم عـلى أفغانسـتان عقـب حادثـة ٩/١١ في نيويـورك كان سـبباً في زوال إمـارة طالبـان، وهـو تكـرار لسـوء تقديـر صـدام حسـين بخطـورة وحماقـة غـزو الكويـت وردة فعـل العـالم وأمريـكا تحديـداً.

ولا يـزال كثـير مـن العمـل السـياسي في عالمنـا الإسـلامي عـلى مسـتوى الحكومـات والمعارضـات ومنهـا التيـار الإسـلامي يعـاني مـن معضلـة ضبابيـة وعـدم دقـة وموثوقيـة المعلومـة مـن جهـة ومـن سـوء التعامـل معهـا وتحليلهـا بشـكل غـير سـليم، مـما يتسـبب بكـوارث ضخمـة ويلحـق خسـائر بالغـة وفادحـة لمسـيرة النهضـة والبنـاء عـلى كافـة الأصعـدة.

ولذلـك بعـد سـلامة المنهـج لابـد مـن الحـرص عـلى دقـة المعلومـة باعتـماد مصـادر سـليمة وموثوقـة في أمانتهـا وفي وعيهـا، فبعـض النـاس هـو محـب للخـير لكنـه غـير دقيـق أو غـير ذكي لا يفـرق بـين الحقيقـة والانطبـاع والزيـف والتزويـر، وكـما عرفنـا في علـم الرجـال التفريـق بـين الأمانـة والضبـط في الحفـظ، نحتـاج اليـوم لمعيـار في التفريـق بـين الأمانـة والضبـط في الوعـي لسـلامة المعلومـة.

وبعـد الحصـول عـلى المعلومـة السـليمة يجـب التعامـل معهـا بطريقـة سـليمة وموضوعيـة بحسـب المناهـج العلميـة المختصـة بهـا، وهـذا هـو السـبيل لبنـاء قـرار سـليم.

في غـزوة بـدر، وهـي الغـزوة الأولى للمسـلمين، كان النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصحابـه بحاجـة لمعرفـة حجـم جيـش قريـش ليخططـوا للمعركـة، وتمكـن بعـض الصحابـة مـن الإمسـاك بغـلام لقريـش فحاولـوا اسـتنطاقه عـن عـدد قريـش فقـال لهـم: هـم كثـير، فأخـذ الصحابـة يضربونـه!

ولكـن النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم اسـتطاع الوصـول للمعلومـة حـين سـأله: «كـم ينحـرون مـن الجـزور»، فقـال: عـشرًا كل يـوم، فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «القـوم ألـف، كل جـزور لمائـة».

بهـذه المنهجيـة يمكـن الوصـول لبنـاء الخطـط والقـرارات والتصـورات، لكـن البقـاء في مـدارات الظنـون والخيـالات والمعلومـات المشوشـة والناقصـة والمغلوطـة، والتعامـل معهـا بسـطحية وسـذاجة وطيبـة في عـالم السياسـة المعقـد والمركـب اليـوم هـو انتحـار سـياسي، ولعـل كتـاب «الخيـال السـياسي للإسـلاميين مـا قبـل الدولـة ومـا بعدهـا» للدكتـورة هبـة رؤوف يقـدم نموذجـا واضحـا لضعـف المعلومـة وتشوشـها في قضيـة مركزيـة في خطـاب الإسـلاميين وهـي قضيـة الدولـة، وللأسـف يتكـرر هـذا في قضايـا أخـرى دون تعلـم أو اعتبـار اللاحقـين مـن السـابقين، ولله الأمـر مـن قبـل ومـن بعـد.

### ٣-معرفة الخصوم ومكائدهم

بعد سلامة المنهج ودقة المعلومة وسلامة التحليل يلزم المؤمن العاقل النبيه معرفة خصومه ومكائدهم، وقد ذكر الله عز وجل ذلك فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٥)، وذلك أن أعداء الإسلام عبر العصور يكيدون للإسلام ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ (إبراهيم: ٤٦).

ولذلك؛ من يتأمل واقعنا المعاصر على مستوى الدول أو الحركات والمعارضة يجد أن هناك فجوة كبيرة في وعي دولنا وحركاتنا ومعارضتنا تجاه خطط خصومنا ومكائدهم وصفقاتهم ومفاوضاتهم، ويمكن أن نرى هذا بوضوح في كلام د. كامل أبوجابر الذي يقول: «كنتُ في مؤتمر مدريد رئيساً للوفد الفلسطيني الأردني كوزير للخارجية، وسمعت كلاماً في ذلك المؤتمر من شامير، رئيس وزراء الكيان الصهيوني، ورئيس الوفد في مؤتمر مدريد، حيث قال: «سندخل مفاوضات ولو استمرت لعشر سنوات، ... قبل أيام بدأت أراجع ما تم الحديث عنه في مؤتمر مدريد العام ١٩٩١، ولم أعِ ما قاله شامير تماماً، إلا الآن»!!

وتركيا اليوم تواجه وضعا صعبا بسبب أنها لم تدرك مبكراً -كما تصرح- أبعاد توريط إيران وأمريكا وروسيا لها في سوريا، مما عقّد وضعها الداخلي وأربك دورها المطلوب في سوريا.

وبسبب الغفلة والجهل عن مخططات واستراتيجيات نظام الملالي الشيعي انساقت جماعات إسلامية متعددة وشخصيات فكرية خلف شعارات التقارب والوحدة السنية الشيعية، فاخترق الشيعة أغلب الجماعات الإسلامية وكسبوا ولاء قادة وأفراد فيها انشقوا عن إخوانهم وأعلن بعضهم تشيعه وبعضهم أسس تنظيمات شيعية، وعبر غفلة وغباء هذه الجماعات تنامى الحضور الإيراني في المجتمعات السنية، وباجتماع الغفلة الرسمية والشعبية تمكن الحرس الثوري الإيراني من تكوين الخلايا الإرهابية النائمة في بلاد سنية متعددة وتكوين أحزاب شيعية تهدد السلم والأمن المجتمعي كما في العراق

ولبنـان واليمـن والبحريـن.
إن معرفـة طـرق وأسـاليب ومخططـات الخصـوم قضيـة ليسـت مسـتحيلة، ولكنهـا تحتـاج إلى سـلامة المنهـج أولاً، ودقـة المعلومـة وسـلامة التحليـل، وثقافـة واسـعة ومعرفـة بالتاريـخ وتبـصر بمجرياتـه، ومتابعـة للواقـع وتطوراتـه، وعندهـا تتكشـف المؤامـرات وتسـقط الفخـاخ.

## ٤-الرؤية الشاملة والواسعة ضرورة

نحـن نعيـش في عـالم كبـير مـن جهـة، وصغـير مـن جهـة أخـرى، بسـبب تشـابك وسـهولة المواصـلات والاتصـالات حتـى سـمي القريـة الكونيـة، ولذلـك حتـى تكتمـل دائـرة الفهـم المتمثلـة بسـلامة المنهـج ودقـة المعلومـة وحسـن التحليـل ومعرفـة الخصـوم ومكائدهـم يلـزم توسـيع دائـرة النظـر في التاريـخ والجغرافيـا والعلاقـات لأي أمـر ندرسـه.
فالنبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم وجّـه أصحابـه لخـارج الجزيـرة العربيـة نحـو الحبشـة حـين ضاقـت بهـم بطـاح مكـة وبـرر ذلـك بقولـه: «إن فيهـا ملـكا لا يُظلـم عنـده أحـد»، وفي هـذا دلالـة واضحـة عـلى مـدى اتسـاع دائـرة الرؤيـة التـي كان النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم يمتلكهـا عـن واقعـه برغـم صعوبـة المواصـلات والاتصـالات في عـصره.
واليـوم كـم سـبب ضيـق الرؤيـة مـن مصائـب وكـوارث، حيـث لا ينتبـه أولـو الأمـر مـن العلـماء والأمـراء لمـا يجـري في حدائقهـم الخلفيـة مـن قبـل الأعـداء، وبرغـم تكـرار هـذه المكائـد إلا أن اليقظـة والمعالجـة دون المأمـول في أفضـل الأحـوال!
فقـد سـبق لدولـة اليهـود أن اخترقـت دول أفريقيـا وحتـى الإسـلامية منهـا عـبر المسـاعدات التقنيـة وتبـادل المعرفـة لتكسـب نفـوذا سياسـيا في الأمـم المتحـدة وتكسـب مـن خيراتهـا الكثـيرة، وعـلى درب اليهـود سـار مـلالي الشـيعة في طهـران، فتسـللوا إلى أفريقيـا وآسـيا باسـم المسـاعدات والاقتصـاد وتكـررت زيـارات رؤسـائهم للقـارة الأفريقيـة وتزايـدت سـفاراتهم فيهـا ومؤسسـاتهم الشـيعية التبشـيرية، بينـما تقلصـت السـفارات والمؤسسـات الدعويـة السـنية، وغابـت

القيادات السنية عن زيارة أفريقيا، مما زاد نفوذ اليهود والشيعة وإيران في أفريقيا على حساب المسلمين والسنة! واليوم تسير الصين على نفس الدرب بغزو دول الإسلام وغيرها في أفريقيا وآسيا!!

من مشاكل غياب الرؤية الواسعة والشاملة عدم الاستفادة من التجارب السابقة والبقاء في دائرة تكرار تجارب الفشل دون التقدم لخطوة إضافية أو تغيير طريقة التعاطي مع الأحداث، اليوم ومع توجع القلب لما حدث في حلب من فشل، يجعلنا نستذكر مآل ثورات سابقة في تونس والمغرب وليبيا والجزائر ضد الاستعمار، وكيف أن ما يحدث في سوريا اليوم يشبه كثيراً ما سبق أن حدث، من إطالة أمد الصراع وبثّ الفرقة في صفوف الشعب وتعارض مصالح الدول المتنفذة مع مصلحة الشعب والعمل على صناعة بديل من الثورة يقبل بمراعاة مصالح الدول الخارجية وعند ذلك تنجح الثورة!

ولنا في تجربة د. توفيق الشاوي الطويلة، والتي دوّنها في كتابه الضخم «مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي ١٩٤٥-١٩٩٥» بيان عملي لكل تلك الخطوات في ثورات تحرر دول شمال أفريقيا.

كما فيها عبرة هامة لخطورة خلل الفكر السياسي الإسلامي الموروث لدى الحركات الإسلامية المعاصرة كما ظهر في الربيع العربي والتي عبر عنها الشاوي بقوله: «إن التيار الإسلامي لا يطفو على السطح، ولم يستطع أن يحافظ على مركزه القيادي في مرحلة الكفاح الوطني بالأساليب السياسية، لأنه لا يتقنها، ولكن عندما يفتح باب المجابهة بالقوة وتلجأ الحركة الوطنية إلى اقتحام ميدان الفداء والاستشهاد ففي هذه الحالة يتقدم الإسلاميون الصفوف» صفحة ٣١٦.

والدكتور الشاوي كان عضوا في قسم الاتصال بالعالم الإسلامي بجماعة الإخوان المسلمين منذ عام ١٩٣٧م وتولى متابعة ودعم الثورات التحريرية لدول شمال أفريقيا، لكنه افتتح مذكراته بقوله: «أعتذر لكثير من إخواني الذين طالما عابوا عليّ التعاون مع من كانوا يعتبرونهم غير جديرين بالثقة التي أوليتها لهم... وكنت أقنع نفسي أن الوطنية تكفي لكي تجمعني بهم في ساحة الكفاح الوطني ... الآن اكتشفت أن هذا النقد الذي وجّه إلي كان

صحيحاً، وأن كثيراً من الوطنيين الذين وثقت فيهم ... لم يكونوا جديرين بهذه الثقة»، وللأسف لا يزال الكثير منا يكرر هذه الثقة في غير محلها من الشيعة وإيران والماركسيين واليساريين والعلمانيين الذين انقلبوا لشبيحة يؤيدون الطائفية والاستبداد والدموية برغم علمانيتهم.

## ٥-فهم القضايا المركبة والمتعددة الأبعاد

بعد خطوات سلامة المنهج ودقة المعلومة وصوابية التحليل وإدراك حقيقة الخصوم ومكائدهم وسعة النظرة أختم هذه القواعد بالتنبيه على أهمية امتلاك الرؤية المعمقة التي لا تكتفي بالنظرة المسطحة الواسعة للأشياء بل تغوص في عمقها وتكشف عن طبقاتها وارتباطاتها وعواملها المتعددة ومآلاتها القادمة.

لقد استشرف النبي صلى الله عليه وسلم ضرر قتل رأس المنافقين ابن أبي سلول على مسيرة ومستقبل الدعوة الإسلامية، فقال: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»، وهو مراعاة لمآلات الحدث ويقظة لأهمية الإعلام والرأي العام ووجوب أن نقطع أسباب التشويش الإعلامي على المصالح الإسلامية من قبل خصوم الإسلام، وهو ما تتفنن داعش في القيام به بإصدارتها المتقنة مما شوه صورة الإسلام بطريقة لا مثيل لها من قبل!

ولنا في قصة الفاروق ومعاوية رضي الله عنهما مثال على تعقد القضايا، فقد عاتب الفاروق معاوية على اتخاذه موكباً في تحركاته، فبرر ذلك معاوية بقوله: «يا أمير المؤمنين إنا بأرض جواسيس العدو فيها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله ويرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت. فقال الفاروق: لا آمرك ولا أنهاك».

وفي عالمنا اليوم تعقدت القضايا وتركبت بشكل أصبح يُشْكل على كثير من العقلاء والأذكياء وليس عامة الناس وبسطائهم فحسب، فمن تعقيدات وتركيبات الثورة السورية أن الإجرام الإيراني والشيعي في سوريا يهدف للاستيلاء على سوريا موحدة وليست مقسمة بحسب ما ترغب أطراف أخرى، لأن تقسيم سوريا وظهور دويلة كردية جديدة يهدد وحدة إيران

ويعـزز انفصـال أكرادهـا ويفتـح الطريـق لبقيـة القوميـات للمطالبـة بالانفصـال والعـودة للاسـتقلال الـذي فقدتـه عـلى يـد والـد الشـاه في عشرينيـات القـرن المـاضي!

فالحـرص الإيـراني عـلى وحـدة سـوريا ليـس حبـاً بسـوريا والسـوريين والوحـدة بـل حرصـاً عـلى أنفسـهم وكيانهـم، وهـذا الحـرص عـلى وحـدة سـوريا ومنـع قيـام دويلـة كرديـة تتقاطـع فيـه مصلحـة إيـران وتركيـا برغـم تناقـض رؤيتهـم حـول مسـتقبل سـوريا والأسـد.

مـن تعقيـدات الثـورة السـورية أن مـا أنقـذ بشـار الأسـد لليـوم هـو عـدم توفـر بديـل عنـه في الثـورة يمكـن أن يـرضى بـه الفرقـاء في الداخـل والخـارج، فمـع الأسـف قـرار مسـتقبل سـوريا ليـس بيـد السـوريين!

إن فهـم تعقيـدات المشـهد يحتـاج إلى توظيـف كل الخطـوات السـابقة التـي أشرت لهـا في الخواطـر السـابقة لفصـل طبقـات المشـكلة وتحديـد تقاطعـات أطرافهـا وموازنـة أضرارهـا وفوائدهـا ومـن ثـم تحديـد أقـل الخسـائر في حـالات الضعـف، أو أعـلى المكاسـب في حـالات القـوة، وعندهـا نكـون قـد وصلنـا إلى مرحلـة النضـج والبنـاء المتـدرج وتجاوزنـا حالـة ردود الأفعـال أو التهـور والمغامـرة.

# موسم الهجوم الفكري والثقافي على الإسلام

من أساسيات علم الحرب استغلال ظروف الخصم الصعبة لشن حرب خاطفة عليه، وهذا ما يحدث اليوم مع الإسلام، حيث نشهد هجوما فكريا وثقافيا وإعلاميا شرسا وناعما عليه، ومن جهات متعددة وبطرق وأساليب متنوعة ولغايات عديدة، لكنها تجتمع على حرب الإسلام فكريا في ظل انشغاله بالحرب العسكرية والدموية الطاحنة التي أسالت دماء ما يقرب من مليون مسلم في هذه السنوات الخمس الأخيرة!!

ففي ظل ما تعانيه أمة الإسلام من تصاعد العدوان اليهودي المستمر على الشعب الفلسطيني والمقدسات الإسلامية، وفي ظل تعدد العدوان الإيراني الطائفي على لبنان والعراق وسوريا واليمن ودول الخليج، وفي ظل الدعم الخفي من أطراف متعددة لتفشي التطرف والإرهاب بين شباب المسلمين وفتياتهم لزعزعة أمنهم واستقرارهم، وفي ظل المخططات الدولية لإدامة حالة الفوضى والصراع في بلادنا كما يتبدى ذلك بوضوح في مفاوضات جنيف السورية ومفاوضات الكويت اليمنية، وفي ظل العدوان على المسلمين وأقلياتهم وتجمعاتهم في المهجر الأوروبي من العنصريين، وفي راكان وبورما من قبل البوذيين، وفي أفريقيا الوسطى من قبل المسيحيين، وفي الصين من قبل النظام الشيوعي، وفي غيرها من الدول والأماكن.

وهذا استعراض سريع لهذه الهجمات الفكرية والثقافية على الإسلام:

١- هجوم فكر الغلو والتطرف الذي يتزعمه داعش والقاعدة، وهو، وإن قدم بصورة وحجة الدفاع عن الإسلام والمسلمين، إلا أنه في الحقيقة يكفّر غالبية المسلمين! ودمر بلاد الإسلام التي انتشر فيها! وأضر بالجاليات المسلمة في كل مكان وصَله هذا الفكر! وقتل من المسلمين آلاف الأبرياء أكثر مما قتل من الأعداء! فضلاً عن أنه يقدم المبررات والذرائع للأنظمة المجرمة المحلية والإقليمية والدولية لقتل المسلمين وتدمير ديارهم، ويهدم تعاطف الشرفاء والبسطاء من غير المسلمين مع المسلمين في قضاياهم المحقة والعادلة.

٢- هجوم الفكر الطائفي التكفيري الإرهابي الذي ترعاه إيران عبر أذرعها الإعلامية والدعوية، والذي يتجسد في سبّ وشتم رموز الإسلام ومن الصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم جميعاً، وتكفير سائر المسلمين، وتغذية الحقد والطائفية في قلوب أتباعها والذين يطبقون ذلك عملياً بوحشية بالغة، وقد كشفت آلاف مقاطع اليوتيوب عن مدى الفظاعات الإجرامية المرتكبة بحق السوريين والعراقيين واليمنيين السنة نتيجة هذا الشحن الطائفي التكفيري الدموي.

٣- هجوم الغلو التبشيري المسيحي عبر القنوات والمواقع والمنتديات للطعن بكل المقدسات الإسلامية وترويج الشبهات المخادعة بين الشباب والفتيات البسطاء، والرفض التام لحوار ومناقشة أهل العلم والمعرفة بشكل مباشر وعلني.

٤- هجوم دعاة الإلحاد على الإسلام من خلال معرفات وهمية غالبا، والاعتماد على المغالطات والأكاذيب المعدة بإتقان مع تعمد الإيغال في التفحش بالتعبير والسب للمقدسات.

٥- هجوم دعاة العلمنة والحداثة وخصوصا اليساريين بالطعن في ثوابت الإسلام من جهة، والضغط على تيار الإسلام السياسي لتقديم تنازلات فكرية تحت ضغط المحاربة والحصار.

٦- هجوم المنظمات الدولية ووكلائها من المنظمات المحلية لتغيير بعض القوانين كقوانين الأحوال الشخصية والتي لا زالت تراعي أحكام الشريعة الإسلامية والتي تم تأجيل تغييرها من عدة عقود لتمرير تغييرهم للقوانين التجارية والجنائية لتوافق المسار العلماني.

٧- الهجوم على المناهج التعليمية بحجة تطويرها ومحاربة التطرف الداعشي فيها، والحقيقة هي استكمال حلقات علمنة المجتمعات الإسلامية بعد تغيير القوانين الإسلامية، والسيطرة على الفضاء الإعلامي، ومع علمنة المناهج التعليمية تكتمل الحلقات للحصول على جيل بعيد عن الإسلام وعقيدة التوحيد!

٨- التضييق على المنابر الإعلامية الإسلامية -برغم قلتها- وضعف إمكانياتها، لكن كلمة الحق ونور التوحيد يزعجان من لا يحب إلا العيش بالظلام ونشر

الباطل والضلال.

٩- تشويه شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتنفير من أهلها ومؤسساتها، حتى يفتح المجال لنشر الشهوات والشبهات دون حسيب أو رقيب، مع حصار أهل الخير ودعاة الفضيلة وتكبيلهم.

١٠- الترويج لضرورة تقديم خطاب إسلامي عصري، لكن يقوم على تحضيره ملاحدة مبدعون! وعلمانيون متأنقون! ليقدم لنا الإلحاد والعلمنة مع مراعاة الشكل و(الستايل) الإسلامي، كنوع من الأصالة والمعاصرة، على طريقة السردين الصيني (مذبوح على الطريقة الإسلامية)!

هذه عشرةٌ كاملة من أصناف الهجوم على الإسلام اليوم، والتي تمارس يوميا عبر صحفنا وقنواتنا وبرلماناتنا وحكوماتنا وسائر الأدوات العصرية للدولة الحديثة.

ولكن كما أن المسلمين في المعركة العسكرية والدموية اليوم أثبتوا لأنفسهم وللعالم أجمع أنهم قوة كبرى برغم كل ضعفهم، فها هي روسيا وإيران وأذنابها وشبيحة بشار بكل جبروتهم وبطشهم عجزوا عن كسر إرادة الثوار والمجاهدين والشرفاء في سوريا، برغم تفرق صف الثوار وقلة السلاح والدعم فضلاً عن تنكيل داعش بهم من الداخل.

فأيضاً في المعركة الفكرية والثقافية اليوم فإن المسلمين قوة كبرى وستعجز هذه الجهات ومَن خلفها من هزيمتهم والقضاء على الإسلام، لأن ذلك بشارة ووعد من الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦).

فهزيمة هؤلاء حقيقة لا ريب فيها عند المؤمنين، والكرامة الحقيقية أن نكون في عداد المدافعين عن دين الله عز وجل والذين يعملون على فضح الباطل وأهله ونصرة الحق وجنده بالدليل والبرهان والحجة القاطعة.

لقد مرت على المسلمين عصور ودهور تكالب فيها العالم عليهم، ولكن سرعان ما اضمحلت قوى الشر والعدوان وأشرقت شمس الإسلام من جديد، وها هي شمس الإسلام تشرق بقوة في قلوب مئات الملايين من المسلمين غيرة لحرمات الله عز وجل التي تهان من الظلمة والحاقدين وغيرة للدماء

الغزيـرة المسـفوحة هنـا وهنـاك، وأيضـا شـمس الإسـلام تـشرق في قلـوب عـشرات الآلاف مـن النـاس في العـالم الذيـن بهرتهـم صلابـة المسـلمين وأخـذ بلبّهـم نـور القـرآن والتوحيـد حـين دفعهـم الفضـول للتعـرف عليـه، وعـشرات الآلاف الأخـرى مـن البشريـة الذيـن يسْـلمون بعـد بحـث وعنـاء عـن الراحـة والسـعادة بـدلاً مـن الشـقاء والتعاسـة التـي سـجنوا فيهـا تحـت أغـلال الماديـة المتوحشـة في حضـارة الحداثـة والعلمانيـة، أو في أغـلال الوثنيـة والـشرك في الديانـات الوضعيـة والمحرفـة.

وسـنة اللـه عـز وجـل في الكـون أن كل هجمـة عـلى الإسـلام والمسـلمين يعقبهـا يقظـة وعـودة للأمـة إلى دينهـا وقوتهـا ومجدهـا، ومـا خـبر الحمـلات الصليبيـة واجتيـاح التتـار عنـا ببعيـدة، فتفاءلـوا وأملـوا الخـير واسـعوا أن تكونـوا مـن أهلـه وخاصتـه.

# انتبه أنت في حالة حرب!

## تمهيد

يظن كثير من الناس أنه يعيش في سلام بخلاف إخوانه في دول أخرى كسوريا والعراق واليمن والتي تشهد عدوانا إيرانيا شيعيا وروسيا علمانيا فضلا عن عدوان خوارج العصر «داعش» لعبة أجهزة الأمن الدولية والإقليمية والمحلية، أو ما يلقاه أهل أفريقيا الوسطى على يد المليشيات المسيحية أو الرهونجا الذين يذبحهم البوذيون، وقبل ذلك اليهود وإجرامهم في فلسطين، وغيرها من صور العدوان.

وهذا الظن غير صحيح إذ إن جميع المسلمين يتعرضون لحرب معلنة من نوع آخر، إنها حرب الأفكار، وهي حرب عدوانية سطرها ربنا في القرآن، فقال تعالى: «وقالت طائفة من أهل الكتاب آمِنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلّهم يرجعون»، وذلك بغرض تشكيك المسلمين بدينهم بأن أهل الكتاب اكتشفوا خطأ وبطلان الإسلام فتركوه! وهذا عين ما يقوم به جهات وشخصيات كثيرة هنا وهناك.

وفي عصرنا الحاضر يمكن القول إن بدء حرب الافكار كان على يد منظري اليسار والماركسية منذ عدة عقود من خلال محاولة تحريف فهم الإسلام بعد فشلهم في هزيمة الإسلام أو إقصائه كما حصل قديما بالجمهوريات الإسلامية في روسيا، أو تجربة أتاتورك.

ومع تواصل فشل الماركسيين وسقوط الاتحاد السوفييتى فقد غيروا طريقتهم، وتحالفوا مع المعسكر الغربي تحت يافطة الليبرالية، وأصبحوا في طليعة تنفيذ استراتيجية الغرب بحرب الأفكار ضد الإسلام والمسلمين. فهذا رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي الأسبق يقول في أكتوبر ٢٠٠٣م: (نريد لشعوب الشرق الأوسط أن يكون إسلامها كإسلام الشعوب المسلمة في شرق أوروبا)!

ثم كرر ذلك فصرح لصحيفة الواشنطن بوست في (٢٠٠٦/٣/٢٧م): (نخوض حرب أفكار، مثلما نخوض حرباً عسكرية، ونؤمن إيماناً قوياً بأن أفكارنا

لا مثيل لها) ، أما توني بلير، رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، ففي مؤتمر صحفي عقده في ٢٠٠٧/٤/١٧م، قال: (إن الوقت قد حان لتتوحد إدارات الحكومة البريطانية، من أجل تحقيق النصر في حرب الأفكار)، ولقد أصبحت تعرف هذه الحرب بعنوان واسم حرب كسب العقول والقلوب.
وهي باختصار: تغيير فهم الإسلام واعتقاد متبعيه هو الحرب الراهنة على العالم الإسلامي، وستبقى هذه الحرب قائمة وإن سكنت المدافع.

## أدوات الحرب الفكرية

### ١-الإعلام المدفعية الثقيلة

يعتبر الإعلام من أهم الأدوات المستخدمة في حرب الأفكار التي تشن على أمتنا الإسلامية اليوم، وتوظيف الإعلام في التلاعب بأفكار الشعوب أمر عام ولا يقتصر على المسلمين، ومن يطالع كتاب (المتلاعبون بالعقول) المنشور ضمن سلسلة عالم المعرفة الكويتية يعلم تطبيقات ذلك على الشعب الأمريكي منذ عدة عقود.
وقد تم توظيف الإعلام في عالمنا العربي في حرب الأفكار بعدة طرق وأشكال، منها الإلهاء عن الهزائم والخسائر أمام دولة اليهود بالأفلام والأغاني الهابطة، وهو ما برع به النظام الناصري.
وفي حاضرنا يتم توظيف الإعلام في حرب الأفكار بإشراك الجمهور بالانحلال والفجور من خلال برامج الواقع، بعد أن نجح الإعلام الفاسد في تطبيع الفجور بين الناس، ومن أبرز مظاهر ذلك تفشي ظاهرة التبرج الفاحش باللباس والسلوك مع وضع غطاء الشعر!
ومن مظاهر حرب الأفكار في الاعلام إقصاء أهل العلم والخير أو حصارهم فيه، مع فتح الباب على مصراعيه لأهل الباطل من أهل الفجور أو البدع والطائفية خاصة الشيعة أو دعاة التحريف للدين لينشروا الشهوات والشبهات وترسيخ فهم مغلوط للدين، ولذلك كثر ترداد الشبهات على ألسنة العامة اليوم.

إن تأثير الإعلام في مجال تغيير الأفكار له تأثير عظيم، ومن أعظم أدوات الإعلام تأثيرا التلفزيون بعامة، والدراما بخاصة، لأنها تخاطب جميع الشرائح، متعلمة وغير متعلمة، كبارا وصغارا، رجالا ونساء، ثم عادة يتم تقبل الرسائل المباشرة والخلفية دون مقاومة لانشغال العقول بالمتعة والترفيه والتسلية! ويكفي في الدلالة على عظم تأثير الإعلام والدراما ملاحظة تأثير دبلجة الدراما التركية المنحلة والمحافظة، فالمسلسلات التركية السيئة كان لها تأثير سلبي في زيادة التعري وزنا المحارم وتناول الخمر وتشويه صورة الأسرة، بينما مسلسل مثل «قيامة أرطغرل» له صدى إيجابي بالعموم، وأيضا يمكن فهم ضخامة تأثير الدراما في تغيير القناعات أن مسلسل «الحاج متولي» عرض لنموذج مثالي لرجل متزوج من أربع زوجات، ويعيش بسعادة هو زوجاته، مما غيّر الكثير من القناعات السلبية لدى النساء عن التعدد، والتي تكونت سابقاً بتحريض وشحن من مئات المسلسلات والأفلام، وقد كشف كاتب المسلسل أن قصة الفيلم استفادت من السيرة النبوية في التعامل مع الزوجات!

ومن هنا؛ فإن كل ما يعرض في الإعلام هو بمثابة قصف مدفعي يستهدف الرؤوس والعقول وليس أمورا عابرة، فزيّ مذيعات الأخبار -احتشاما وعريا- هو سياسة مقصودة، ومدى فحش الألفاظ والترجمة والسلوكيات على الشاشات أمور محسوبة، ونوع الضيوف ومواضيع الحوارات اختيارات مدروسة، وإن جرأة/ وقاحة الإعلانات رسالة مختارة، فلذلك لا تتعامل مع الإعلام بحسن نية أبدا! فليس بريئا سماح سجون اليهود بعرض قنوات MBC فقط للأسرى!

ومن آخر نماذج توظيف الدراما في حرب الأفكار ضد الإسلام فيلم «مولانا» المأخوذ من رواية إبراهيم عيسى اليساري المتشيع، الذي مولّه وأنتجه نجيب ساويرس السياسي المسيحي الإشكالي!

ولإدراك نظام الملالي لأهمية الإعلام في مشروعه التوسعي فقد اعتمدت إيران قبل أيام رفع ميزانية الإعلام لـ ٣ مليارات دولار لتكمل غزوها لنا من الخارج بقنواتها الفضائية، ومن الداخل من خلال أزلامها في القنوات العربية والعالمية.

من إبداعات د. فريد الأنصاري، رحمه الله، تأويله تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من نزول الفتن كالمطر بين البيوت في البخاري، بأن هذه الفتن هي البث الفضائي وما يشابهه كالانترنت الذي لا يكاد يخلو منه بيت!

وفي مقابل هذا، شهدت السنوات الماضية انفراجة مؤقتة شهدت تأسيس عدد من الفضائيات الملتزمة، والتي رغم تواضع إمكانياتها إلا أنها حققت مكاسب دعوية كبيرة، ويكفي في بيان تأثير الإعلام الملتزم دورها البالغ في نشر الدعوة في بلاد مغلقة أمام الدعوة كتونس قبل ثورة الياسمين، والتي قيل فيها إنها فتحت فضائيا!

وأيضا يكفي في بيان تأثير الإعلام الملتزم أنه زلزل أركان الطائفية حين تصدى لها بمناظرات علمية حملت مراجع الطائفية على تحريم مشاهدة هذه المناظرات.

إن الاعلام أداة خطيرة لتغيير الأفكار تجاه الخير والشر، ومن تحديات العمل الإسلامي اليوم امتلاك ناصية الإعلام من كوادر مؤهلة شرعيا وعلميا ومهنيا، وتوفر المنصات الإعلامية الكافية والمناسبة، ووجود الوعي بأهمية دعم ورعاية العمل الإعلامي من العلماء وأهل المال، كما أن القطاع الإعلامي يحتاج لكثير من الاجتهاد الشرعي لتجويد دوره الدعوى المباشر وغير المباشر، فالعمل الإسلامي اليوم يخسر كثيرا من المعارك لأنه يفتقد لمدفعية إعلامية ثقيلة.

## ٢-العبث بالتعليم قتل بطيء

بعد جولات عديدة من الصراع مع الأمة المسلمة أدرك الأعداء أن الإسلام هو منبع قوتها وحياتها وبقائها، ولذلك توجهت سهامهم لحرب الإسلام في نفوس وعقول المسلمين من خلال العبث بالتعليم، فرأينا حرصهم على ابتعاث طلبة المسلمين لبلادهم منذ عهد الدولة العثمانية، وكيف أن هؤلاء المبتعثين تحول بعضهم لطليعة هدم الدولة العثمانية العلية! ولا يزال الغرب يحرص على تذويب المبتعثين والمبتعثات في ثقافته ليكونوا حصان طروادة في مجتمعاتهم عند العودة.

ولما تمكن الأعداء من احتلال مصر أسند التعليم لدانلوب، القس المتعصب، الذي بدأ مسيرة العبث بالتعليم وحرب الإسلام من خلال التضييق على العلم الشرعي والقيمي والتركيز على صنع موظفين لخدمة المحتلين ويحملون ثقافته.

وكانت هذه سياسة عامة للاستعمار البريطاني والأوربي، فمن الهند نجد محمد إقبال يحذر من التعليم الذي يبثه الإنجليز بين المسلمين فيقول: «إياك أن تكون آمناً من العلم الذي تدرسه، فإنه يستطيع أن يقتل روح أمّة بأسرها»، ويشرح كيفية ذلك بقوله: «إن التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي، ثم يكونها كما يشاء، إن هذا الحامض هو أشد قوة وتأثيراً من أي مادة كيميائية، وهو الذي يستطيع أن يحوّل جبلاً شامخاً إلى كوم تراب».

أما البلاد الإسلامية التي نكبت بالثورة الماركسية كالجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، ومثلها جمهورية أتاتورك، فهذه الدول شهدت إبادة شاملة للتعليم الإسلامي حتى أصبح تعليم القرآن الكريم فيها يتم في كهوف تحت الأرض!

أما الدول العربية التي حكمها الشيوعيون والاشتراكيون والبعثيون فقد شهدت تضييقا شديدا على التعليم الإسلامي الصحيح وتم ملء المناهج التعليمية بأيديولوجيات مناهضة للإسلام، ومن ذلك استبدال الجامع الأزهر بجامعة الأزهر، وإنهاء استقلالية الأزهر وإلحاقه بالدولة مما أضعف شأنه ودوره، وهو ما حدث مع جامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بالمغرب. وفي هذه المرحلة شهدنا ترويج ثقافة الاستهانة بالمعلمين وخاصة معلم الدين واللغة العربية عبر أفلام السينما (أستاذ حمام) ومسرحية (مدرسة المشاغبين)، والاستمرار في سياسة دانلوب بتعظيم منزلة وأجرة المهندس والطبيب وأمثالهم عن المعلم والشيخ، حتى تدنت منزلتهم ورفعت منزلة الساقطين من نجوم التمثيل والطرب!

واليوم تتجدد الدعوة للعبث بالتعليم بعد أن عمّت الصحوة الإسلامية البلاد والعباد، فتتكاثر التصريحات الدولية بضرورة تغيير المناهج لتنتج جيلاً جديداً يحمل فهماً للإسلام يقبل به الأعداء! وقد لخص ذلك الأمريكي

اليهودي توماس فريدمان سنة ٢٠٠٥ في صحيفة نيورك تايمز بقوله: «إن الحرب الحقيقية في المنطقة الإسلامية هي في المدارس، ولذلك يجب أن نفرغ بسرعة من الحملات العسكرية، لنعود مسلحين بالكتب لا بالدبابات لتكوين جيل إسلامي يقبل سياساتنا كما يحب شطائرنا».

وما نشهده اليوم من عبث وتغيير في المناهج التعليمية في عدد من الدول الإسلامية لنزع الإسلام منها أو تخفيفه أو تحريفه بحجة حرب التطرف المقصود الحقيقي منها محاربة الإسلام وجوهر قوة المسلمين، وإلا لماذا يشترط صندوق النقد الدولى تغيير المناهج لصرف بعض القروض والمساعدات للدول؟

لا يعترض على تطوير التعليم عاقل، لكن ما علاقة تطوير التعليم بإقصاء الإسلام والدعوة لتعليم العلمانية والأديان الأخرى لأبناء المسلمين ونظريات إلحادية فاشلة علمياً كنظرية دارون؟ ولمصلحة من يتم تقليص مساحة التربية والتوجيه من المناهج ودور المعلم؟

الواقع التعليمي يكشف عن ضعف شديد في مهارات القراءة والكتابة عند أساتذة الجامعات، وليس طلبة المرحلة التأسيسية فقط، فأين التطوير والإصلاح هنا؟

من المشاكل التي تسبب بها عبث الأعداء بالتعليم مساواة الرجال والنساء في التعليم مما خلق تفاقما في مشكلة البطالة وتضخم حجم ميزانية التعليم وضعضعة استقرار الأسرة في المجتمعات الإسلامية وغيرها من المشاكل الأخلاقية نتيجة الاختلاط المنفلت والحلول الشيطانية كاقتراح فتح قاعات سينما في الجامعات!

إن اليقظة لخطر الحرب على العقول عبر العبث بالتعليم يلزم معها مبادرة أهل الكفاءة لقيادة تطوير التعليم بدلا من ترك ذلك لشياطين الجن والإنس، ويجب على الآباء والأمهات المزيد من العناية بالتعليم والتوجيه للأبناء.

### ٣-سياسة تعميم الفجور والفواحش

تنوعت السياسات الداخلية والخارجية في محاربة الإسلام بين سياسات صلبة تقوم على البطش والتنكيل بالإسلاميين والإقصاء للمظاهر الإسلامية، وبين سياسات ناعمة قانونية وقضائية فعلت كل تلك الجرائم باسم القانون والعدالة والدستور!

ومع ذلك فشلت كل تلك السياسات في القضاء على الإسلام وعلى المسلمين ونهض الإسلام والمسلمون من جديد شامخين في وجه الطغاة والمجرمين، كما عاد غلام أصحاب الأخدود مرات عديدة من الموت الذي رموه فيه «وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد».

فلجأ الخبثاء لسياسات ناعمة (سوسيوسياسية - الاجتماعة السياسية) على غرار سياسة تجفيف منابع الإرهاب = الإسلام، التي طبقها بو رقيبة بتونس، وقاد هذا المنحى الأنظمة اليسارية في البداية ثم اعتمدت القوى الغربية هذه السياسات / القوة الناعمة بتحريض من خبرائهم اليهود والمستشرقين الجدد المتعصبين ضد التيار الإسلامي بعامة.

وقد فصل د. فريد الأنصاري في كتيبه الرائع «الفجور السياسى» هذه الاستراتيجية الهادفة لزعزعة منظومة الأخلاق والتدين في المجتمع عبر سياسات مقصودة في الإعلام والتعليم والقانون والأسرة، بحيث يشتهر الفساد والفحش وحصار قوى الخير والفضيلة وإضعاف روح الضمير الأخلاقي في المجتمع، بحيث يبدو الفحش صارخا دون نكير فينتشر العري سلوكا وصورا في الشارع والفضاء العام، وتنتشر الخمارات وعلب الليل، بحيث تصبح الثقافة السائدة هي ثقافة العهر وتصبح اللغة الدارجة هي من معجم العورة، كما يقول الأنصاري!

ولترسيخ نتائج هذه السياسات الخبيثة في تعهير المجتمع يتم محاربة الحجاب ويتم حرب قوانين الأسرة -والتي هي ما بقي من منظومة القوانين الشرعية- بحجة التطوير والتحديث ومواكبة المواثيق الدولية كاتفاقية سيداو، والغاية الحقيقية هي هدم نظام الأسرة المسلمة، والتي تعد من خطوط الدفاع والقوة للأمة المسلمة، ويعرض مركزية هذا الصراع الثقافي

على الأمة المسلمة اليوم عبدالله الوهيبي في كتابه «التبرج المسيس» وما نقله عن باحثة أمريكية قولها: «إن الجندر أصبح يشكل الخط الفاصل لحرب صراعات جيوسياسية منذ الحادى عشر من سبتمبر، ويحتل مكانة مركزية في خطاب العلاقات الدولية بخصوص الشرق الأوسط»، والجندر هو المفهوم الحداثي الذي يلغي مفهوم الرجل والمرأة ويهدم بناء الأسرة والذي تعتمده اتفاقية سيداو.

إن ما نراه اليوم من جيل صاعد لا معنى له ولا قيمة بفضل انخراطه في عالم الصورة والعالم السايبري هو مخطط مقصود لبقاء الأمة في حالة التبعية، عبر غرق هذا الجيل في عالم الموضة والاستهلاك وانتشار علاقات الخنا والدياثة تقليدا للنجوم الساقطة في وحل الفن والشهرة.

ولعل هذه السياسة هي نقطة اتفاق بين القوى العلمانية الداخلية والخارجية والغربية واليسارية، فهم يختلفون في التبعية السياسية ولكنهم متفقون على النموذج الثقافي المادي الذي يعلي من قيمة اللذة والمتعة ويتجاوز الدين والأخلاق.

ومجتمعاتنا مستهدفة بهذا ضمن استراتيجيات مقصودة ومنذ زمن بعيد، ففي برقية للسفير الأمريكي بالسعودية سنة ١٩٧٩م تعقيبا على اقتحام جماعة جهيمان للحرم المكي كتب يقول: «يجب أن نواصل الاعتراف والعمل بصبر مع الحكومة في حل مشاكل التحديث بوتيرة مقبولة لثقافتهم السائدة»! وما نراه اليوم من تصاعد دعوات التأييد لنشر السينما والحفلات الغنائية في السعودية هو رجع صدى لهذه الجهود القديمة والدؤوبة في الشر والفجور!

إن وعي المصلحين بضرورة رفع سوية تدين المجتمع من خلال عمل متقن وحكيم يقوم على بناء القناعات مع شحن العواطف وفتح المجال لمساهمات الجميع في ذلك هو المسار الصحيح لكسر موجة حرب الأفكار والشبهات والعدوان الناعم بسيل الشهوات والمغريات.

فبناء القناعات الإيمانية وزرع الحصانة الأخلاقية وتهيئة المجتمع للمجابهة الثقافية باسم الانفتاح والتعددية والسياحة الوافدة وتعرية حقيقة الأساليب الناعمة في استهداف الدين هو الإستراتيجية الأنفع، والله أعلم.

## ٤-ثقافة الضرار في شكل جديد

مصطلح «ثقافة الضرار» صكه الأستاذ جمال سلطان قبل ربع قرن تقريبا لوصف موجة الكتابات والمساهمات اليسارية والليبرالية لتحريف الإسلام وتطويعه فكريًا للرؤية العلمانية، وذلك بعد أن فشلت الرؤية اليسارية والماركسية وسقط الاتحاد السوفيتي وتصاعد الحضور الإسلامي في المجتمعات العربية والإسلامية.

ومأخذ الأستاذ جمال سلطان في إطلاق هذا الوصف على هذه الكتابات العلمانية أنها تشبه مسجد المنافقين زمن النبي صلى الله عليه وسلم، إذ لنشر ورعاية نفاقهم أقاموا مسجدا كستار! لكن الله عز وجل أنزل فيه قوله: «والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله".

وهؤلاء اليوم اتخذوا من الحديث في قضايا الدين في الصحف والفضائيات ستارا لتقويض الإسلام نفسه، فبعضهم يشتغل على تحريف أحكام الإسلام وتزوير معاني الشريعة، وبعضهم يعمل على نفي أصل الدين من خلال إنكار ربانية الوحي واعتباره نصًّا كسائر النصوص البشرية، وبذلك يفتح الباب واسعا لإسقاط العقيدة والشريعة باسم القراءة الجديدة!

الجديد في ثقافة الضرار اليوم أنها تخاطب عموم الجمهور من خلال شاشات الفضائيات بعد أن كانت مقصورة على النخب ومتابعي المنظرين العلمانيين، ومن جهة أخرى أصبحت ثقافة الضرار اليوم تركز على تحليل الحرام والشهوات والفواحش وتمييع قيمة الدين مما يجتذب شريحة واسعة ممن يحاولون جمع الدين والملذات!

أهوى هوى الدين واللذات تعجبني  فكيف لي بهوى اللذات والدين

إن لجوء منافقي الفكر -بحسب سلطان- لمحاربة الإسلام اليوم من خلال شعارات ومفاهيم إسلامية يتم تحريفها وتحويرها هي حيلة قديمة ومتكررة، فما نشاهده ونسمعه ونقرؤه اليوم من طعن وتشويه لأحكام الإسلام من خبثاء برامج التوك شو وغيرهم هو اجترار لما كتبه عتاولة ثقافة الضرار قبل ربع قرن، وقد رصد جمال سلطان ذلك في عدد من كتبه التي لا

يعرفها كثير من الجيل الحاضر مثل: ثقافة الضرار، غزو من الداخل، أدب الردة، دفاع عن ثقافتنا.

وإذا كان البعض يظن أن هذا الاتهام لمنظري العلمانية العرب بعدائهم للإسلام نفسه وليس الإسلاميين فقط من تجليات نظرية المؤامرة، فأنقل له شهادة د. رضوان السيد، الذي يعدّ من رواد التنوير الإسلامي العلماني، إذ يقول في مقابلة حديثة مع موقع قناة العربية (٢٠١٧/٢/٢م) يقول فيها: «قال لي مستشرق فرنسي عام ١٩٩٨: مفكّروكم جميعاً مصابون بمرض كراهية الإسلام والخوف منه، وهم يعتبرون أنّ الجمهور غير مؤهَّل للتقدم إلا إذا ترك موروثه الديني! وقد تربَّى على أيدي الكبار هؤلاء جيلان من العرب كتبوا مئات الدراسات في ضرورات القطيعة وشروطها من أجل التقدم".

ولكن هل هذه الشبهات والمطاعن حول الإسلام هي من بنات أفكارهم ومن إبداع أقلامهم؟ يجيبنا أيضا جمال سلطان في كتابه (جذور الانحراف) أن هذه التنظيرات السلبية تجاه الإسلام هي نتاج ترديد وتطوير شبهات المستشرقين عموما، وأنه قد سبق تكرار هذه الشبهات وترويجها في مرحلة سابقة قبل ٢٠٠ سنة، فرفاعة الطهطاوي وقاسم أمين وأحمد لطفي السيد وطه حسين، هم الرواد الأوائل الذين كانوا الجسر الذي عبرت عليه ثقافة الضرار إلى أمتنا، حين تشربوا حضارة ومفاهيم الغزاة الأوروبيين تحت وطأة الهزيمة النفسية والفكرية.

واليوم يعيد أفراخ ثقافة الضرار المأساة من جديد ، فتحْت وقع الهزيمة أمام جحافل العولمة يتم إعادة اجترار الشبهات والاتهامات الاستشراقية والقذف بها في وجوه الناس يوميا من على منابر الفضائيات عبر عمائم مزورة أو شخصيات منحرفة.

إن فهم وإدراك حقيقة وخطر ثقافة الضرار التي يحقن بها الناس بشكل جماعي كإحدى أدوات حرب الأفكار والحرب الناعمة ضد الإسلام والمسلمين يستلزم مقاومة فكرية وإعلامية واعية تعمل على ترسيخ القناعة بأصول الدين وأحقيتها وعقلانيتها وبطلان التدين الذي يروج له أفراخ ثقافة الضرار، وأيضا يلزم تنبيه الجمهور لحقيقة أفكار وأخلاق وسلوك أفراخ الضرار، مما يحصن الأمة من شبهاتهم ويحاصر أكاذيبهم المتكررة والمتجددة.

وأخيراً ينبغي استحضار أن النفاق ومساجد ومنابر الضرار لا تظهر ولا تكثر إلا في حالة قوة الإسلام، واليوم رغم أننا نعاني من ضعف القوة المادية للإسلام، إلاّ أن قوته المعنوية في تقدم وازدياد والحمد لله، ولذلك فإن عدم إدراك بعض المسلمين لهذه القوة المعنوية في الحالة الإسلامية يدفعهم لبعض التنازلات عن بعض الثوابت وبشكل خاطئ، وأسوأ من ذلك تراجع بعض شباب أهل السنة عن ثوابتهم الشرعية تحت ضغط الإعلام والحرب الفكرية لمسارات علمانية صريحة أو علمانية مضمرة تحت يافطات شرعية أو انسياقا خلف شخصيات محسوبة على الإسلام المطوّر والمنفتح وما شابه ذلك من مصطلحات براقة «كسَراب بِقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا».

## ٥-التجارة حين تكون أداة غزو واحتلال

في زمن الحداثة والعولمة تضاعف دور التجارة كأداة للغزو والحرب والاحتلال وتغيير بُنية المجتمعات المستهدفة، وإذا كانت المقاطعة التجارية والحصار الاقتصادي هما المعتمدان في الماضي، فإن الانفتاح والإغراق وغزو الأسواق هي المعتمدة اليوم، فمنذ سقوط الاتحاد السوفيتي تزايد غزو الكوكاكولا ومطاعم ماكدونالدز لتلك البلاد ناقلة معها ثقافتها الرأسمالية والليبرالية.
وفي عالمنا الإسلامي تشن حرب ثقافية وفكرية تستهدف قلوب وعقول أبنائنا وبناتنا من خلال البضائع والمتاجر، فمثلا لم تكتفِ بناطيل الجينز بأن تكتسح السوق بانتشارها بين الرجال والشباب حتى وصلت للبنات والنساء بمختلف القصّات والماركات في كثير من البلاد مع الأسف، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد بل شهدنا تحويل الجينز لدشاديش للرجال وجلباب للنساء!
إن خطر التجارة اليوم في غزو مجتمعاتنا والتلاعب بأفكار الناس بما يخالف أحكام الإسلام يتم على ثلاثة مستويات:
١- ترسيخ ثقافة الاستهلاك المفرط، بما يتناقض مع تعاليم الإسلام التي تحث على الاقتصاد وعدم الإسراف والتبذير مع الاستمتاع بالطيبات والمباحات.

إن الاستهلاك المفرط حتى للمباحات من الأطعمة والأشربة والألبسة والأثاث والسيارات وغيرها هو خطأ مضرّ بمجتمعاتنا، فهو يرفع حجم المستوردات مما يضعف الاقتصاد المحلي ويجعل اقتصادنا رهينة بيد الخارج، وتتولد عنه أمراض السمنة ومشاكلها، ويشعل روح الغيرة والحسد بين الأغنياء والفقراء وبين العائلات والجيران.

ومن يطالع ضخامة أرقام التبذير والإسراف الذي نقوم به كمجتمعات عربية يدرك خطورة هذا الاستهلاك المفرط الفردي، فالدراسات رصدت أن العرب ينفقون سنويًّا ٢٠ مليار دولار على العطلات، وتنفق المرأة الخليجية ٢ مليار دولار سنويًّا على أدوات التجميل، أما المصريون فينفقون ٤٠ مليون جنيه يوميًّا على المكالمات في الهواتف المحمولة.

٢- إخضاع الدين لمعايير السوق الرأسمالي مما يحرف الدين ويحرف بوصلة التدين السليم في المجتمع ويسهل غزو أفكارنا وتلويثها، ومن أبرز الأمثلة على ذلك سوق الحجاب والمصارف الإسلامية والقنوات الفضائية، فقد تحول سوق الحجاب من خدمة المحجبات ليصبح مصدر ربح للملايين لدور الأزياء والمصممين، وبعضهم غير مسلم، من خلال تطويع الحجاب لخطوط الموضة ومتطلباتها، وأصبح الحجاب (الحداثي) لا يحتفظ بجمال المسلمة لنفسها وزوجها، بل يتفنن بإظهار ما كان خبيئا! أما محجبات عمرو خالد/ عمرو ذياب ممن يضعن قماشا على رؤوسهن ويلبسن الضيق والملفت من القمصان والبناطيل فهن خارج حديثنا اصلاً!

أما إقبال البنوك الربوية -محلية وعالمية- على فتح نوافذ إسلامية فلم يسلم من تطويع أحكام الشريعة لحيل ربوية، وللأسف تمارس بعض المصارف الإسلامية ذلك أيضا!

أما فيما يتعلق بالقنوات الفضائية فكثير منها ممّن يرفع شعارا وهوية إسلامية فإنك تحتار عن أي إسلام تتحدث فالاختلاط عام في برامجها مع تبرج مذيعاتها، أما أغانيها -تركوا مصطلح نشيد- فلا تتميز كثير منها عن سواها إلا بعدم ظهور الراقصات فيها، كما أنها تعتمد في تمويلها وأرباحها على الإعلانات الاستهلاكية!

في كتاب «إسلام السوق» كتبت د. هبة رؤوف عزت في تقديمها له: «الحداثة

كمشروع علماني فردي تحفر مسارها في المجتمع دون أن يفهم الناس أحيانا مفاتيحها، ودون أن يستوعب من يشتغلون بالفقه والدعوة مزالقها ومواطن الخلل والخطر فيها».

٣- نشر وترسيخ كثير من المحرمات في المجتمعات المسلمة من خلال إثارة الغرائز والعواطف بالدعايات التجارية نحو منتجات وبضائع في الحقيقة لا حاجة لها لكنهم نجحوا في إقناع الناس بوجود مشكلة يلزم حلها من خلال هذه المنتجات.

فالسعادة والمتعة تربط بمحرمات مثل التدخين والتبرج والاختلاط والرقص ولفت الأنظار وتقليد المشاهير، ولتحقيق هذه الحاجات المحرمة والكاذبة تنتشر المقاهي والمراقص ومحلات الألعاب ويغرق السوق بالملابس العارية والموضات المنحطة أخلاقيا!

ويلخص مؤلف كتاب «أمريكا والعقول» هذه الموجة من الغزو الفكري عبر التجارة: بقوله «بعد اختراق الدعاية الأمريكية لعقول البشر، استطاعت أمريكا أن تشعر الجميع بالجوع إلى المتعة".

إن التدين الأعوج الذي نراه في الشارع اليوم هو نتيجة حرب الأفكار عبر الدعايات التجارية وما تعرضه الأسواق من متع وشهوات، تحتاج في علاجها إلى نشر الوعي بخطر حرب الأفكار عبر البضائع والدعايات وتوفير البضائع الجيدة بسعر وجودة مناسب.

## ٦ -المجتمع المدني: حصان طروادة في زمن العولمة

ترمز أسطورة حصان طروادة لخطورة الغدر والخداع تحت شعارات براقة، فلم ينجح الإغريق بالسيطرة على مدينة طروادة رغم حصارها عشر سنوات إلا بحيلة صنع حصان خشبي ضخم أجوف مملوء بالمحاربين، ثم تقديمه لأهل طروادة كهدية من الإغريق الذين قرروا الرحيل وفك الحصار، وفعلا انسحب الجيش الإغريقي وأمر ملك طروادة بإدخال الحصان للمدينة وإقامة الاحتفالات، وفي الليل خرج المحاربون من جوف الحصان وفتحوا أبواب المدينة للجيش الإغريقي الذي عاد تحت ستار الليل وتم قتل الجميع بلا

رحمة، هذه قصة «حصان طروادة".

في عصرنا الحالي، عصر العولمة وعصر القوة الناعمة وحرب الأفكار، تم استحداث مصطلح «المجتمع المدني» كأداة سلمية للتغيير السياسي في المجتمعات، ولكن حتى تعمل هذه المؤسسات باستقلالية عن الدولة فإنها تحتاج لدعم مالي، ومن هنا تتقدم جهات مانحة كالمنظمات الدولية أو مؤسسات مدنية غربية غالبا أو مؤسسات حكومية غربية لتمويل ودعم برامج وأنشطة مؤسسات المجتمع المدني المحلي، وهذا يفتح باب التوظيف والتخادم والعمالة وتنفيذ الأجندات الخارجية.

ومن هنا تحول مفهوم المجتمع المدني في عالمنا الإسلامي من مؤسسات تقوم بحماية المجتمع وتدافع عن مصالحه ضد تغول السلطة المحلية أو ضغوطات المجتمع الدولي إلى حصان طروادة يقوم بتمرير ضغوط العالم الخارجي على المجتمع والسلطة المحلية، عبر حملات إعلامية عامة ومنظمة وندوات ومؤتمرات تستهدف كسب عقول صناع القرار من البرلمانيين والسياسيين والإعلاميين، بحيث يتم قلب الأفكار والتوجهات، وبالمقابل تجني هذه المؤسسات أرباحا ومكاسب مالية ضخمة باسم دعم البرامج والمشاريع! وتتنوع الجهات الداعمة والمستفيدة في قصة المجتمع المدني بحسب تخصصها وقضيتها وبحسب توجهها السياسي وانتمائها الفكري وبحسب الدولة الداعمة وأجندتها السياسية والفكرية.

فمنذ ظهور استراتيجية الفوضى الخلاقة في مطلع عام ٢٠٠٥، والتي أعلنتها وزيرة الخارجية الأميركية «كونداليزا رايس» تم تعميم برامج لنشر ثقافة حقوق الإنسان والثقافة الديمقراطية، ولكن سرعان ما ركب موجة المجتمع المدني التيار اليساري عموما، فمع ضمور الاتحاد السوفيتي وانفضاح الأحزاب الشيوعية والاشتراكية واليسارية والبعثية العربية والتي كانت بمثابة فروع لروسيا في بلادنا تحول الرفاق ليصبحوا نجوم المجتمع المدني، وليكملوا مسارهم من قاعات الفنادق بدلا من حفر الخنادق! منتهزين فرصة التوافق الثقافي مع الغرب لخلخلة بنية المجتمعات العربية الإسلامية، مع احتفاظهم بالخلاف السياسي مع الغرب.

ونافسهم على ذلك التيار الشيعي السياسي، فأصبحت مؤسسات المجتمع

المدني التابعة لهذين التيارين هي حصان طروادة لتهديد المجتمعات والسلطات المحلية وإحداث اختراقات لصالح المموّلين أو الموجهين.
فبدلا من الضغط الخارجي على الدول للرضوخ لبعض الأجندات والمطالب مما قد تستغله السلطات لحشد الجماهير خلفها أو الاحتجاج بالجمهور لرفض هذه الضغوط، فإن القوى الدولية تقوم بدعم بعض مؤسسات المجتمع المدني التي تتقاطع معها أو تتبع لها بسبب التمويل لحشد الجمهور خلف المطالب الدولية للضغط على الحكومة المحلية، ولعل أبرز مثال لذلك ضغط المؤسسات النسوية اليسارية المحلية على السلطات الرسمية المحافظة للرضوخ لاتفاقية سيداو العالمية التي تهدم مبادئ الأسرة في الإسلام وتشيع الفواحش والانحلال في المجتمعات.
ومن يتابع المؤسسات الحقوقية الشيعية في الداخل العربي والخارج الدولي يجد بوضوح أنها تسخّر ما تلقته من تدريب وتطوير وثقافة وتمويل من أجل الدفاع عن الإرهابيين الشيعة المحليين المتورطين في عمليات إجرامية ضد أوطانهم وشركائهم في الوطن كما في البحرين والسعودية والكويت واليمن.
وأيضا تم تسخير هذه المنابر والمؤسسات لتشويه صورة الدول السنية ووصمها بالإرهاب والقمع والاعتداء على المواطنين الأبرياء الشيعة في خدمةٍ للأجندة الإيرانية.
ومِن عجائب حكاية مؤسسات المجتمع المدني أن التمويل الغربي والأمريكي خصوصا، وغالبه تمويل شبه حكومي، يصبّ في خدمة وتقوية المعارضة اليسارية والشيعية للدول العربية التي تدعمها الإدارة الأمريكية، فما هو المقصود بذلك؟ وهل ضرب السلطة بالمعارضة كان مقصودا لخدمة مخططات معيّنة؟ وهل سيطول الزمن حتى تظهر حقائق دعم وتدريب وتأهيل قوى مثل حركة ٦ إبريل المصرية منذ سنة ٢٠٠٨ على الثورة والاحتجاجات في صربيا وأمريكا؟
والأعجب من هذا أن ما تقوم به المؤسسات الغربية باسم دعم المجتمع المدني في عالمنا العربي، يعد خيانة وجريمة بمعاييرهم، في حالة تقديم دعم أجنبي لمؤسسات المجتمع المدني في الغرب، واليوم هناك ضجة في أمريكا بخصوص مزاعم عن دعم روسي لحملة ترامب في الانتخابات الرئاسية.

فاليقظة للغزو الناعم للأفكار والذي تقوم به مؤسسات المجتمع المدني في غاية الأهمية ويلزمه عمل مكافئ يفند شبهاتهم ويوعي الجمهور والنخبة المحافظة والوطنية بحقيقة مخططاتهم.

## خطوات مقاومة حرب الأفكار العدوانية

في ما سبق استعرضنا الخطوط العريضة لحرب الأفكار العدوانية والغزو الناعم والقاتل والذي تتعرض له أمتنا الإسلامية بمجتمعاتها ودولها في مجالات التعليم والإعلام والتجارة وسياسات الفواحش وثقافة الضرار وحصان طروادة المتمثل بمؤسسات المجتمع المدني.

قد عرضنا فيها بعض الحلول والإجراءات المطلوبة لمقاومة هذه الحرب الفكرية والغزو والناعم، ونحتاج مزيداً من ترسيخ نهج المقاومة السليمة والفعالة لحرب الأفكار الدائرة على عقول المسلمين وقلوبهم.

وعموماً؛ تحارب الأفكار بالأفكار، فكيف إذا كانت أفكارا باطلة، وتقاومها أفكار محقة ومستمدة من عقيدة التوحيد وشريعة الإسلام؟! وحتى لو زخرفت أفكار بالباطل بالشبهات والمغريات، فقد أخبرنا الله عز وجل أن الحق منتصر دومًا: «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق»، ولكن المشكلة الحقيقية هي أن نقوم بواجبنا تجاه الحق كما قال تعالى: «وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا»، لكن المعضلة الحقيقية: هل قمنا بحمل الحق والدعوة إليه ومواجهة أهل الباطل بالحكمة حتى يزول باطلهم؟

ولننصر الحق ونهزم حرب الأفكار الباطلة نحتاج إلى الخطوات التالية:

١- منهجية سليمة في التفكير أمام حرب الأفكار، ولنتذكر موقف الصديق رضي الله عنه حين جاءه كفار قريش يريدون زعزعة إيمانه لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس وعُرج به إلى السماء، لكن الصديق -الذي إيمانه يرجح إيمان الأمة- كان يملك منهجية سليمة وموضوعية في التفكير فقال لهم: «إني لأصدّقه ما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء

في غـدوة أو روحـة»، وكـم نحتـاج إلى إعـادة بـث منهـج الصحابـة والسـلف في التفكـير في وجـه التحديـات وحـرب الأفـكار العصريـة.

٢- علـم ومعرفـة سـليمة وصحيحـة بالديـن والدنيـا، وكـم تسـبب غيـاب العلـم والمعرفـة أو انحرافهـما في مصائـب وكـوارث، ولترسـيخ العلـم والمعرفـة يلـزم ترسـيخ ثقافـة الرجـوع لأهـل الشـأن فيـما يسـتجد مـن شـبهات وإشـكالات وسـلوكيات مريبـة، وبذلـك تنغلـق أبـواب مـن الـشر كثـيرة جـداً «ولـو ردّوه إلى الرسـول وإلى أولي الأمـر منهـم لعلمـه الذيـن يسـتنبطونه منهـم".

٣- مبـادرة وفاعليـة مـع الأحـداث، وهـذا مـن سـنته صـلى اللـه عليـه وسـلم، فحـين سـمع أهـل المدينـة صوتـا مزعجـا مـن جهـة جبـل سـلع، خـرج النـاس يسـتطلعون الخـبر فـإذا النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم قـد ركـب فرسـه بـلا سرج وسـيفه في عنقـه وقـد عـاد مـن «سـلع» يسـتطلع لهـم الخـبر ويقـول لهـم: «لـن تراعـوا لـن تراعـوا»، فلنـترك الكسـل والدعـة التـي خسرنـا بسـببهما الكثـير الكثـير.

٤- مهـارات الإتقـان والنجـاح، مـا أصـدق مقولـة الخليفـة الرابـع عـلي بـن أبي طالـب: قيمـة المـرء مـا يحسـن، وفعـلا كلـما كان المـرء متقنـاً لمهـارات التأثـير والإقنـاع والتخطيـط والتنفيـذ والتفكـير والإبـداع كلـما كان دوره عظيـماً، ولـو درسـنا شـخصية بعـض الصحابـة والتابعـين الذيـن كان يقـال فيهـم: رجـل بألـف، لوجدنـا أنهـم أصحـاب احـتراف في مهـارات متعـددة جعلـت قيمتهـم عاليـة، واليـوم نحتـاج رفـد العلـوم والمعـارف بمهـارات التفـوق والنجـاح والقيـادة الفعالـة، لنكسـب حـرب العقـول والقلـوب الطاحنـة.

## دورك لـن يقـوم به غيرك!

لـكل منّـا دور في هـذه المعركـة، فكـما أن أبـواب ومنافـذ حـرب الأفـكار متعـددة فكذلـك أبـواب منافـذ مقاومـة الغـزو الفكـري متعـدد، ونحتـاج إلى أن نجيّـش كل الطاقـات وفي كل المجـالات لسـد الثغـرات، فعـلى التجـار والمعلمـين والإعلاميـين والأسرة والمسـؤولين وغيرهـم دور في ذلـك، وهـذا يلزمـه قيـام العلـماء والمفكريـن والهيئـات المختصـة بإشـاعة برنامـج عمـل مقنـع ومفتـوح ومعلـن للجميـع لبيـان

كيف يساهمون في الحفاظ على دينهم ودنياهم من أخطار الحرب المفتوحة عليهم بدون قصف وتفجير!

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «طوبى لعبدٍ أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة".

واليوم نحتاج إلى أن يقوم كلٌّ منا بدوره، وبالأداء السليم لنصرة الإسلام والمسلمين، سواءً كان في حراسة الآخرين وخدمتهم بما يخدم مصلحة الإسلام والمسلمين، أو كان في الساقة، أي مؤخرة الجيش، وهي مهمة قد تكون شاقة وصعبة أو غير مهمة ولا تسلط عليها الأنظار، وفي هذا المثال الذي ضربه النبي صلى الله عليه وسلم بيان لحقيقة أن التعامل هو مع الله عز وجل في البداية والنهاية، بغضّ النظر عن المكان والمنزلة والشهرة.

وفي قصة الهجرة النبوية للمدينة المنورة نرى تكاتف الجميع لإنجاح المهمّة، فالصديق هو المرافق الشخصي والمسؤول عن توفير الاستعدادات اللوجستية للهجرة، أما علي بن أبي طالب فقد كان البطل الشجاع الذي ضلل كفار قريش بمبيته في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسماء بنت الصديق شقت نطاقها نصفين لتغلّف زاد النبي صلى الله عليه وسلم ورفيقه في الهجرة، أما عبد الله بن أبي بكر فكان مكلفا بنقل أخبار مكة لتستكمل حلقات التخطيط والتنفيذ للهجرة، ولإخفاء آثار أقدامه كان يمرّ وراءه عامر بن فهيرة ببعض الأغنام. وهكذا كان لكل شخص دورٌ في الهجرة النبوية التي أضاءت بها الدنيا ودانت للإسلام.

واليوم في واقعنا المعاصر نجد أن الأزمات والتحديات تفرض علينا وتفرز لنا أدواراً لم نكن نتوقع القيام بها من قبل في وقت الراحة والرخاء، فها هي فرقة القبعات البيضاء في الثورة السورية تقوم بجهد جبار في إنقاذ الضحايا والأبرياء وإسعاف الجرحى والمصابين وإزالة الأنقاض والركام عن المحاصرين والعالقين تحتها، وقد كانوا قبل ذلك في مجالات أخرى ومسارات مختلفة، وأيضا رأينا كيف برع كثير من الشباب في جانب الإعلام والصحافة حتى أصبح بعضهم وكالة أنباء تمشي على قدمين.

أما في الجهاد والمقاومة والثورة فقد برزت أسماء مدنية لتسطر أروع

البطـولات والشـجاعات في الإقـدام والاقتحـام والفـداء والصـبر والصمـود أو في التخطيـط والقيـادة والتحفيـز وبُعـد النظـر ومـن أبـرز الأمثلـة الشـيخ زهـران علـوش وحجـة مـارع رحمهـما اللـه وجميـع الشـهداء.

والبـاب مفتـوح عـلى مصراعيـه للجميـع للمسـاهمة الإيجابيـة في نـصرة الإسـلام والمسـلمين والبشريـة مـمّا تعانيـه مـن تحديـات وعـدوان، والمسـاهمة بالالتـزام بأحـكام الديـن في نفسـه وفي مَـن حولـه أو بالدعـوة إليـه بمختلـف الوسـائل والأسـاليب والطـرق إمـا بنقلهـا للآخريـن أو بإرشـادهم عليهـا أو بتقديمهـا لهـم لمـن كان يملـك المعرفـة والمهـارة بهـا، أو بالعمـل الإعلامـي أو العمـل التطوعـى الاجتماعـي أو العمـل السـياسي المنضبـط بالـشرع سـواء كان في الحكـم والسـلطة وزيـرا أو خفـيرا، أو عـبر العمـل السـياسي الشـعبي كنائـب أو ناشـط.

إن للجميـع دورا ومهمـة يمكنـه تقديمهـا لنـصرة الإسـلام والمسـلمين، وإن دورك وعملـك لـن يقـوم بـه غـيرك، وإن عملـك هـذا مـن أسـباب فـوزك في الآخـرة، وكلّـما اتسـعت دائـرة القائمـين بأدوارهـم في ذلـك كانـت نهضـة الأمـة أقـرب وأقـوى، والعاقـل والموفّـق مَـن بَحـث عـن مهمتـه إن كان غافـلا عنهـا، أو زاد في إتقانـه إن كان مقـصّراً، أو ضاعـف جهـده إن وجـد عـلى ذلـك قـدرة وقـوة.

ولنتذكـر قولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «إذا قامـت القيامـة وفي يـد أحدكـم فسـيلة فليزرعهـا» ولنتعلـم منـه أن زمـان العمـل قائـم حتـى تقـوم السـاعة وأن الإيجابيـة والإنجـاز سـمة الإسـلام والمسـلمين، فشـمّر عـن سـاعديك وابحـث عـن دورك ومهمتـك أو أتقـن عملـك فيهـا.

# خيارات الواقع المر

في هذه الفترة الحرجة من تاريخ أمتنا يتعرض الفرد المسلم والمجتمع المسلم لمعاناة قاسية وظالمة، تكاد تذهب بالاستقرار والأمان وتخنق الأمل اللازم للحياة، وتتنوع مصادر هذه المعاناة الظالمة بين ما يسمعه ويشاهده في وسائل الإعلام أو ما يعايشه في ليله ونهاره، أما أسباب هذه المعاناة فأسباب عدة منها:

١- ما يتعلق بدينه وإسلامه كما في العدوان الباطل على رموز الإسلام ومقدساته سواء من غير المسلمين عبر الرسوم المسيئة والأفلام الحاقدة أو من ينتسبون لأمة الإسلام بالاسم والمولد ولكنهم يعلنون عداءهم لأمتهم ودينهم بسياساتهم كما يفعل غلاة علمانيي تركيا أو أفكارهم و فنونهم وثقافتهم تحت ستار الإبداع أو حرية التعبير أوحتى الإصلاح !!! التي تمجد الجنس والشذوذ والإلحاد وكسر المقدسات أو ما يحلو لهم تسميته « التابوهات» وتدافع عن الجناة والمجرمين وحقوقهم في حين تفرط في حق الأبرياء والضحايا!!

٢- ما يتعلق بحياته ومعاشه، من القوانين الظالمة والمجحفة على كافة المستويات السياسية والاقتصادية أو الاجتماعية كما في طلب محاكمة حزب العدالة بتركيا أو قوانين منع المظاهرات ضد إسرائيل في الضفة الغربية! أو ما تشهده الانتخابات العربية من مبرمج لإقصاء الحركات الإسلامية،أو تردي وضع الخدمات العامة والبنية التحتية، أو الغلاء الفاحش و التضخم مع انخفاض الأجور والقيمة الشرائية.

٣- ما يتعلق بأهله وجيرانه، من احتلال يرزحون تحته أو عدوان يشتت جمعهم أو ظلم يضيع حقهم كما في حال فلسطين والعراق والشيشان والصومال وكوسوفا وغيرها من الدول والأزمات. وهذه الأحداث والأزمات المتلاحقة تضغط بشدة على الفرد والمجتمع المسلم مما يتوجب معه أن يكون لهما موقف ودور، وهنا يوضعان رغماً عنهما أمام خيارين سيئين

عليهـما أن يختـارا أحدهـما.
الخيـار الأول هـو خيـار الضيـاع والانسـحاق بالتماهـي مـع مـا تـروج لـه القنـوات الهابطـة مـن العيـش في الشـهوات والملـذات ومتابعـة الموضـات الوسـخة كالخـصر السـاحل أخـيراً، أوالحلـم اللذيـذ بالـزواج مـن الجميـل الطويـل الأشـقر وامتـلاك السـيارة الحديثـة وسـكن الشـقة العصريـة والحيـاة الراقيـة وارتيـاد المطاعـم والمسـابح والمراقـص وذلـك كلـه لـن يتحقـق إلا عـبر بوابـة القـروض الربويـة المحرمـة، وهـذا طبعـاً مـع العـزوف عـن الاهتـمام بالشـأن العـام محليـاً وعربيـاً وإسـلامياً وعالميـاً، والاكتفـاء بمتابعـة الأبـراج عـن البـوارج وأخبـار الفنانـين بـدلا مـن أخبـار المواطنـين وهكـذا...
والخيـار الثـاني هـو خيـار العنـف وردة الفعـل والعاطفـة الجامحـة، وهـو مـا تـروج لـه القاعـدة عـبر وسـائلها الإعلاميـة، وتحاجـج القاعـدة وأمثالهـا مـن أن طريـق الديمقراطيـة التـي سـلكته الحـركات الإسـلامية لم يوصـل لـشيء فهاهـم انقلبـوا عـلى خيـار الشـعوب في اختيـار النـواب الإسـلاميين، إمـا بتضييـق مقـاس الديمقراطيـة عـبر إبداعـات متتاليـة ففـي قوانـين الانتخـاب!! أو اللعـب عـلى المكشـوف باعتقـال المرشـحين و ضرب الناخبـين.
كـما أن القاعـدة تحاجـج أن السـلوك الحضـاري والعقـلاني مـاذا رد عنـا مـن سـفاهات وعـدوان الغـرب بالهجـوم والإسـاءة إلي النبـي صـلى اللـه عليـه وسـلم. ولذلـك تقـدم القاعـدة منهجهـا مـن أن لغـة القـوة والسـلاح هـو مـا يفهمـه الغـرب و يحقـق المصالـح!!
والخطـورة هنـا تكمـن في أن البدائـل المفترضـة لهذيـن الخياريـن تعـاني مـن أزمـات داخليـة تعصـف بهـا وممارسـات رسـمية تضيـق عليهـا بمـا يـصرف النـاس عنهـا. وهـذا الوضـع المعقـد والمركـب مـن أوضـاع سـيئة تضغـط بشـدة، وخيـار مغـري تروجـه الفضائيـات ويلقـي رواجـا كبـيراً جـداً - ٥٨٪ مـن الفتيـات في منطقتنـا تتابـع برامـج تلفزيـون الواقـع مـما يفصلهـن عـن الواقـع- أو خيـار القاعـدة الـذي يجـذب النـاس بحبهـم للقـوة وكرهـم للظلـم والعـدوان، مـع ضعـف وهـزال لـدي البدائـل الأخـرى المفترضـة في تقديـم خطـاب هـادف وبناءيحمـل حلـول صحيحـة ممكنـة التطبيـق يعـزز الأمـل بمسـتقبل واعـد، يجعـل مهمـة الفـرد المسـلم والمجتمـع صعبـة جـداً في المحافظـة عـلى نفسـه وعقلـه ودينـه.

فهو يرفض أن تسحقه هذه الظروف السيئة ولا يقبل أن يكون عضواً في القطيع الذي تربيه الفضائيات الساقطة كما أنه يأبى أن يتخلى عن عقله وإيمانه لقادة القاعدة الذين «لا الإسلام نصروا والكفر كسروا» على حد تعبير شيخ الإسلام في حق المتكلمين.

ولكن هذا الفرد أو المجتمع يبحث عن معين ونصير له في معاناته هذه فلا يكاد يجد، ولذلك إن العمل على توسيع دائرة الأمل والعمل الهادف للفرد والمجتمع المسلم يكاد يكون في سلم الأولويات اليوم لكل المخلصين لهذه الأمة الإسلامية. للخروج من هذه الأزمة الخانقة يجب مراعاة الأمور التالية:

- نشر العلم والمعرفة بالدين والدنيا، حيث أن العلم هو أول المراتب « فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُم» (محمد :١٩).

- تقدير العواقب والمآلات من أهل الحكمة والخبرة، والحذر من فتنة الأصاغر وهم الصغار الذين يتكلمون في القضايا الكبري، أو فتنة الرويبضة وهم التافهون الذين ينظرون للناس، كما جاءنا في السنة النبوية.

- التحلي بالصبر على الشهوات بعدم الانجرار خلف الشهوات الدنيوية الفاسدة، والصبر على المكاره بتجنب الشباب المتهور المندفع ولو غطى غبار المعارك سائر جسده!

# المسلم المعاصر ودوائر الصراع والوعي المطلوب تجاهها

يواجه المسلم والإسلام اليوم عددا كبيرا من الصراعات والتحديات على مستويات متعددة، ومن جهات مختلفة ومتناقضة، ويمكن أن نجملها في ثلاثة مستويات رئيسية هي:

**المستوى الأول:** هو مستوى الصراع الوجودي مع الإسلام والمسلمين، والذي يهدف للقضاء على الإسلام والمسلمين قضاء تاماً، ويتمثل ذلك في الجهود الإلحادية المنظمة الفردية والجماعية التي تستهدف نزع الإيمان من قلوب وعقول المسلمين إما عبر وسائل التواصل الحديثة أو الإعلام والدراما والروايات أو عبر سياسات الإكراه كما يحدث لمسلمي تركستان بالصين وغيرها أو عبر سياسات الإبادة كما يحدث في بورما ، وحدث في أفريقيا الوسطى أو عبر حملات التنصير لفقراء ومرضى المسلمين في دول أفريقيا وآسيا أو بين اللاجئين السوريين والعراقيين في أوربا.

وقريب من ذلك استهداف مدن السنة في العراق وسوريا ومساجدهم وعلمائهم وتهجيرهم وإبادتهم بالقنابل الكيماوية من قبل القوى الطائفية المدعومة بقوى إقليمية وعالمية.

والوعي المطلوب تجاه هذا المستوى من الصراع بتشخيص هوية الفاعلين وإعلانهم أعداء صرحاء وعدم الانخداع والاغترار بأي مبررات تساق لتبرير جرائمهم الإرهابية وسياساتهم العدوانية، والمطالبة بمحاكمتهم ومعاقبتهم بمقتضى القوانين والمواثيق الدولية وعدم السماح لجرائمهم بأن يطويها النسيان أو أن يستمروا بها دون خشية من موقف أو عقاب أو مقاطعة جادة تقطع عدوانهم.

**المستوى الثاني:** هو مستوى الصراع مع الإسلام من داخله لحرفه عن مساره وتطويعه لمآرب وتوجهات خارجة عنه، ويتمثل هذا بأشكال عدة من أبرزها محاولة تيارات الغلو والتطرف خطف قيادة الإسلام والمسلمين عبر

التكفير والتفجير للعلماء والمصلحين وعامة المسلمين وهدم دولهم وبلدانهم القائمة، أو عبر الجهود الطائفية التي تسخر لها عشرات المنابر الإعلامية الطائفية التي تطعن في مقدسات المسلمين كزعم تحريف القرآن الكريم ، وردّة وكفر غالب الصحابة رضوان الله عليهم ونشر كل أشكال الشرك والوثنية، أو عبر الفرق الضالة الخارجة عن الإسلام، والتي تتظاهر بالإسلام كالقاديانية التي لا تؤمن بختم النبوة بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام وتزعم أن زعيمها القادياني نبي أيضاً! ومن فرق الضلال التي تحارب الإسلام من داخله طائفة القرآنيين التي تنكر السنة النبوية مما يهدم الكثير من أصول الإيمان والإسلام.

ومن أبرز من يصارع الإسلام من داخله جهود العلمانيين والحداثيين والملاحدة الذين يرفعون شعارات تطوير الخطاب الديني ويدعون للاجتهاد والتحديث في الإسلام برغم أن حقيقة دعواهم دعوة لتحريف أصول الدين والطعن في القرآن الكريم والسنة النبوية بحجج وذرائع شتى، ولعل ما عرضته كثير من القنوات لنماذج من الفتاوى لهذه الشرذمة التي أباحت الزنا والخمر والربا والكفر وهوّنت من كل أركان الإسلام ما يؤكد نيتهم حرف الإسلام عن مساره وهدايته.

والوعي المطلوب تجاه هذا الصراع الوعي وتعلم أسس وأصول الإسلام التي اتفق عليه الصدر الأول من المسلمين وعصور السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وهو ما تشارك به الأئمة الأربعة وبقية أئمة المسلمين في بناء مذاهبهم عليها، ومن ثم الحذر من كل دعوة واتجاه وتيار يخالف هذه الأسس والأصول الواضحة والمتفق عليها، وعلى العلماء والدعاة والخطباء تحذير المسلمين من هذه الدعاوى الباطلة مهما تزينت بشعارات الجهاد وتحكيم الشريعة وحب آل البيت أو تعظيم القرآن أو تجديد الإسلام.

**المستوى الثالث:** هو مستوى التنافس والصراع الضار والمفتت بين المكونات الإسلامية، وهو للأسف مستوى واسع جداً من الصراعات في داخل المكون الواحد نفسه كالصراعات الداخلية في المذاهب الفقهية والطرق الصوفية والجماعات الإسلامية، أو بين هذه المكونات مع بعضها البعض كالصراع بين الجماعات الإسلامية، أو الصراع بين كثير من السلطات الرسمية وجماعات

المعارضة الإسلامية.
وللأسف أن جميع المكونات في هذا المستوى من الصراع يتورط في التناقض والظلم فيعيب على خصمه ما يمارسه هو في مكان وزمان آخرين ويكيل بمكيالين وهذا ملف مليء بالتفاصيل السيئة للجميع.
ولو أخذنا مثال صراع السلطة والمعارضة الإسلامية سنجد السلطة تعيب على المعارضة الإسلامية توظيف الدين والإسلام في الصراع، ثم تمارس السلطة ذلك التوظيف بإصدار فتاوى توافق سياساتها وتدعم تيارات دينة وإسلامية تتناغم مع رغباتها!
بالمقابل الجماعات الإسلامية المعارضة تشتكى من تصرفات الدولة العميقة والتلاعب بالدستور والقوانين وتطويعها لمصالحها على حساب العدل والشفافية بينما هذه الجماعات المعارضة الإسلامية متورطة أيضاً في سياساتها وهيكلها الداخلي بتكوين (دولة عميقة) كما تكشف عدة تجارب حزبية قامت بها وجلبت لها بعض المستقلين الذين سرعان ما اكتشفوا أنهم مجرد (كمبارس) وديكور وأن القرار يقطع في أروقة التنظيم الإسلامي وليس قيادة الحزب! فضلاً عن فساد انتخاباتها الداخلية عبر الكولسة وشراء الولاءات!
ومن تناقضات وباطل هذين الطرفين مطالباتهم بالإقصاء لبعضهما البعض، بينما الطرفان يقبلان بعض الأعداء بحجة كونهم حقيقة قائمة لا يمكن تجاوزها، فبعض الأنظمة الحاكمة تريد استئصال ما تسميه (الإسلام السياسي) بينما هي لا تمانع في التعايش مع العدو الصهيوني! وبالمقابل بعض المعارضة الإسلامية لا تقبل إلا باستئصال السلطة الحاكمة بدعوى دمويتها وإجرامها لكنها في نفس الوقت تقيم علاقات وثيقة مع إيران والمليشيات الطائفية كحزب الله والمليشيات العراقية برغم كل دمويتها وجرائمها!
والوعي المطلوب تجاه هذا المستوى من الصراع هو تطبيق الأمر النبوي الكريم: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً؟ قال: «تأخذ فوق يديه» رواه البخاري.
فجميع المكونات الإسلامية لها حق الحب والتقدير والولاء والنصيحة، ويقبل منها الحق، ويرفض وينكر الباطل والظلم الذي جاءت به، والحق لا ينحصر كله في مكون واحد بل تتفاوت هذه المكونات في قربها وبعدها من الحق،

ولكـن لا تخلـو مـن خـير وحـق تسـتحق معـه حقـوق الإسـلام، والمسـلم الموفـق هـو مـن يعـرف الحـق ويـدور معـه دون عصبيـة أو حزبيـة.

إذَا وعـي المسـلم بدوائـر الـصراع التـي يجابههـا الإسـلام والمسـلمين اليـوم فـإن هـذا ينشـله مـن دوامـة التيـه بالانحـراف أو العصبيـة التـي يغـرق فيهـا البعـض.

# الإسلام والسنة في دائرة الاستهداف

من المهم في هذه المرحلة استيعاب كامل الصورة للهجمة الكبيرة التي تستهدف الإسلام والمسلمين عموما، وتستهدف أهل السنة ومنهجهم خصوصاً، مما يساعد على فهم كثير من التناقضات والمواقف المتباينة ويكشف المكائد التي تنصب في طريق كثير من الفضلاء ويجنّبهم معارك فرعية لا أولوية لها تستهلك طاقتهم، وتَصرفهم عن مكمن الشر والخطر الحقيقي الذي يستحق المقاومة.

تتنوع وتتعدد مصادر الهجوم والعدوان على الإسلام والمسلمين سواء من جهة الأعداء الخارجيين أو الداخليين، أو من جهة المنطلقات والأفكار والأيدولوجيات، أو من جهة المبررات والحجج لهذا العدوان والهجوم، أو من جهة الأساليب والوسائل في ذلك.

فالإسلام يواجِه عدواناً مادياً مسلحاً إرهابياً من جهات عدة، فاليهود يستهدفون مقدسات المسلمين في المسجد الأقصى، ويستهدفون المسلمين في فلسطين بالطرد والسجن والقتل وتأليب العالم عليهم وعلى من يناصرهم ويستهدفون أخلاق الإسلام ببث العقائد الباطلة والمجون في الإعلام، وهناك هجمات عدوانية على المسلمين من متطرفي المسيحيين في أنحاء شتى، كما أن الدول الغربية لا تتورع عن مهاجمة بلاد الإسلام ظلماً وعدواناً إذا اقتضت مصالحها ذلك كما رأينا في أفغانستان والعراق ومالي وغيرها، ونواجه عدواناً بوذياً وثنياً في بورما وتايلند وسيرلانكا، ونواجه عدوانا شيوعيا على مسلمي الصين في تركستان من قبل الصين، ومن قبل الهندوس في الهند.

ومرة تكون الهجمة فكرية تحت عناوين عدم صلاحية الإسلام للعصر الحاضر لما يحتويه الإسلام من رؤية كلية تقوم على احتكار الصواب في عقيدة التوحيد والتباين عن الآخرين باسم الولاء والبراء وخطورة تمدده بين البشرية باسم الدعوة إلى الله عز وجل!

وتارة يهاجمون الإسلام بسبب قضايا جزئية كدعوى اضطهاد الإسلام للمرأة أو

تقييده للحريات أو مناقضته مع حقوق الإنسان بالمفهوم العلماني والإلحادي حيث يمنع الشذوذ والإباحية!

وتارة يكون الهجوم على بعض المؤسسات والشخصيات الإسلامية بما لها من رمزية كالهجوم على الأزهر مثلاً أو الهجوم على هيئة كبار العلماء أو الهجوم على بعض العلماء، ومعلوم أنه لا معصوم من الخطأ أحد فردا كان أو هيئة، ولكن الهجوم والنقد لهذه المؤسسات أو العلماء من أعداء الدين والملة يراد به هدم الإسلام نفسه، لما لهذه الهيئات والعلماء من دور في حماية الدين والإسلام كما رأينا من موقف الأزهر مؤخرا في محاولات منع الطلاق الشفوي أو إباحة زواج غير المسلم بالمسلمة والهجمة الشرسة على الأزهر وشيخه.

وتارة يكون الهجوم على الإسلام بمحاولة فرض أصول جديدة على الإسلام كمحاولات ترسيخ منظومات علمانية باسم الإسلام المدني أو الليبرالي أو المستنير من قبل مراكز البحث الغربية، فضلا عما سبقها من أطروحات يسارية من فرض وجود إسلام أوربي وإسلام أفريقي وإسلام آسيوي!

وقد كان رموز اليسار والماركسية من الملاحدة والزنادقة أطلقوا قبل عقدين من الزمان - ضمن سياسة الإصلاح الروسية (البيروستريكا) والتي تهدف للعمل من خلال خصوصية المجتمعات - مشاريع تطويع الإسلام للمادية والواقع عبر تحريف معانيه والتلاعب بتفسيره وشرحه بدعوى إخضاعه للعلوم الحديثة! وتكرار تجربة الهيرمونطيقيا مع القرآن الكريم والإسلام والتي طبقت على الإنجيل والتوارة المحرفة فزادتها انحرافاً!

ومن الهجوم على الإسلام محاولة تجريم شعيرة الجهاد في سبيل الله، وعدّها من الجرائم والسياسات العدوانية، تحت دعوى محاربة الإرهاب والتطرف وما تقوم به داعش وأخواتها، والعجيب أن القوى الدولية والإقليمية هي التي ترعى داعش وأمثالها حتى تعيث إفسادا وتدميرا في بلاد المسلمين بما يدمر بناهم التحتية ويفتّت وحدتهم وصفّهم ويشتت شملهم ويهدم مدنهم أو يؤلب القوى العنصرية عليهم ويضيق القوانين والإجراءات ضدهم في المهاجر!

ومن مظاهر محاربة الإسلام السعي بخبث لضرب كل مفاصل قوة المسلمين

ووحدتهم، كاستهداف خطبة الجمعة بالتضييق والحصار وفرض رؤية أحادية عليها، وغالبا ما تكون رؤية ساذجة ذات خلفية سياسية تكشف عن تغول السياسي على الديني، أو في محاربة كليات الشريعة والمعاهد الدينية والجمعيات الإسلامية في شكل جديد من سياسة تجفيف المنابع، أو عبر محاولة الهيمنة على فريضة الزكاة بفرض سلطة الدولة عليها بالكامل وليس الإشراف الرقابي وتشجيع العمل التطوعي السليم، ومؤخرا بدأت هيئة الأمم المتحدة تنافس اللجان الخيرية على جمع زكاة المسلمين!

هذا كله على صعيد محاربة الإسلام والمسلمين عموماً المتطرف والمعتدل، الجاهل والعالم، السيئ والجيد، حيث القانون السائد بينهم: المسلم الجيد هو المسلم الميت!

أما على صعيد محاربة السنة وأهلها خصوصاً، فهذه حرب أشد تركيزا وأكثر خبثاً، ويساهم فيها بضراوة الكثير من القوى الطائفية ورموز الفرق المنحرفة بالتعاون مع بقية أعداء الإسلام والمسلمين.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك توافق السياسات الشيعية والإيرانية الطائفية على قتل أهل السنة في العراق وسوريا واليمن وأفغانستان مع سياسات روسيا وأمريكا لأن المقتول هم أهل السنة!

ومن أمثلة ذلك تكالب دعاة البدعة والتأويل والانحراف في مؤتمر الشيشان برعاية فتى روسيا وبوتين لمهاجمة أهل السنة وإخراجهم من دائرة السنة، وقد أحسن الأزهر بتبرّئه من بيان المؤتمر لما كشفت أوراقه والجهات الحاقدة التي أدارته من خلف الستار.

وبينما كان دعاة أهل السنة هم الصف الأول في محاربة الإرهاب والتطرف منذ ظهوره قبل نصف قرن، وتعرضوا في سبيل ذلك للتخوين والتكفير من الغلاة ومن بعض الفرق والمناهج المنحرفة، وتقصدهم المتطرفون بالاغتيال والقتل، تعود اليوم ماكينة الشيعة الإعلامية وبعض رموز الفرق الضالة لمهاجمة أهل السنة واتهامهم زوراً وبهتاناً بالتكفير والتطرف!

والأعجب من هذا أن دعاة أهل السنة وعلماءهم يتّهمهم الأعداء بفريتين متناقضتين، فهم يتّهمونهم بالإرهاب والتطرف والتكفير والتشدد، وفي نفس الوقت يتهمونهم بأنهم عملاء للحكام والغرب وأمريكا!

فما لكم كيف تحكمون؟!

ويواجه أهلُ السنة ودعاتهم ومؤسساتهم هجمة من نوع خاص، وهي محاولة تشويههم والطعن فيهم من قبل فصائل سنية، والدافع الحقيقي لذلك هو تضرر مصالحهم الفصائلية والحزبية إما بمنافستهم لهم في الشارع وفي صناديق الاقتراع، وإما لأن أهل السنة يرفضون تحالفاتهم مع الشيعة وإيران التي لم تنقطع وإن ضعفت أحياناً، والتي يتوقع أن تتزايد وتعلن في وقت لاحق، مما يقتضي إسكات أصوات أهل السنة التي ترفض هذا التخادم المضر بمصلحة الإسلام والمسلمين العامة لصالح مكاسب فصائلية وحزبية محدودة.

الخلاصة؛ إن إدراك دائرتي الصراع مهم جداً لكل مخلص يعمل من أجل نصرة الإسلام والمسلمين وحتى يتجنب المعارك الفرعية والمعارك الوهمية، وحتى نعرف أن جميع المسلمين مستهدفين بالحرب والعدوان، وأن من الحكمة توسيع دائرة التحالفات في القضايا العامة والكبرى، وأن من الخداع للذات التعويل على نصرة الأعداء لنا، سواء دولنا التي تعول على القوى العالمية التي قد تتقاطع مصلحتها معنا، ولكن حتى مع ذلك فإنها لا تقبل أن نحرز النصر التام، فلولا تواطؤ الغرب مع الحوثيين لتخلّصت اليمن من انقلابهم وسادت الشرعية، ولولا دعم الأكراد الماركسيين من أمريكا لنعِم الشمال والجنوب السوري بالسلام وتخلص من إجرام الروس والنظام والمليشيات الشيعية الطائفية باسم المناطق منخفضة التوتر!

أو الحركات الإسلامية والتي تعول على ملالي إيران وأذرعهم الشيعية الطائفية كحزب الله، فمن يَقتل مئات الألوف من أهل السنة هنا وهناك لن يكون صديقاً مخلصاً لك.

وقديما قال الشاعر:

كلّ العداوة قد تُرجى مودتها  إلا عداوة من عاداك في الدين

# هـل نحن على أعتاب غربـة جديدة للدين؟

روى الإمـام مسـلم في صحيحـه مـن حديـث أبي هريـرة رضي اللـه عنـه، عـن النبـي ﷺ أنـه قـال: «بـدأ الإسـلام غريبـاً وسـيعود غريبـاً كـما بـدأ فطـوبى للغربـاء»، ومـن أهـم وأصـح صفـات الغربـاء في كلام النبـي عليـه الصـلاة والسـلام أنهـم « أنـاس صالحـون في أنـاسٍ سـوء كثـير، مـن يعصيهـم أكـثر ممـن يطيعهـم» رواه أحمـد.

وقـد يغفـل كثـير مـن النـاس عـن أن غربـة الديـن ليسـت محصـورة زمانيـا بالبدايـة والنهايـة فقـط، بـل هـي أشـبه مـا تكـون بـدورات تاريخيـة متكـررة دومـا، ومـما يسـاعد عـلى توضيـح ذلـك ربـط مفهـوم غربـة الديـن بمفهـوم تجديـد الديـن والـذي قـال فيـه المصطفـى عليـه الصـلاة والسـلام: «إن اللـه يبعـث لهـذه الأمـة عـلى رأس كل مائـة سـنة مـن يجـدد لهـا دينهـا» رواه أبـو داود وصححـه الألبـاني. فهنـاك موجـات أو دورات تاريخيـة دائمـة مـن تجديـد الديـن وذلـك بعـد غربتـه، وهـذه الغربـة قـد تكـون واسـعة الانتشـار جغرافيـا أو ضيقـة، أو قـد تكـون محصـورة بجوانـب قليلـة مـن غربـة الديـن في أحيـان وتكـون بجوانـب كثـيرة في مـرات أخـرى.

ولغربة الدين والإسـلام ثلاثة مسـتويات:

**المسـتوى الأول:** غربـة الإسـلام والمسـلمين بالنسـبة للأديـان الأخـرى ولغـير المسـلمين، ومحاربـة العلمانيـين عالميـا ومحليـا للإسـلام والمسـلمين اليـوم، كـما هـو في فرنسـا مثـلا، أو مطالبـة بعـض العلمانيـين مـن بنـي جلدتنـا بإبعـاد الديـن عـن السياسـة والقانـون والحيـاة.

**والمسـتوى الثـاني:** هـو غربـة أهـل السـنة والجماعـة بـين المسـلمين، خاصـة مـع اسـتطالة أهـل البـدع اليـوم عـلى أهـل السـنة بدعـم المؤتمـرات الغربيـة والشرقيـة، وبتمـدد المـشروع الشـيعي الطائفـي العـدواني، وباسـتثمار فتنـة الغلـو والتكفـير الخارجيـة المتمثلـة بداعـش والقاعـدة وأخواتهـا.

**والمستوى الثالث:** هو غربة المصلحين العاملين في داخل أهل السنة حيث هم الصف الأول و(حرس الحدود) بتعبير الشيخ أبي إسحاق الحويني، فهم من يقارع أباطيل العلمانيين والحداثيين والمبتدعة والطائفيين والتكفيريين، وهم من يتصدى لشبهات الإلحاد وسيل الشهوات ومحاولة إنقاذ الجيل ورعايته وبيان حقيقة التوحيد ومعالم السنة، ثم تأتيهم الطعنات في ظهورهم من غلاة التبديع المداخلة!

غربة الدين تتمثل في قلة وضعف الصالحين والمصلحين وغلبة الجهل وقوة الباطل، وهي قضية نسبية قوة وضعفا، ونسبية في امتدادها الزمني والمكاني كما أسلفت.

ولذلك فإننا لو دققنا النظر في واقعنا اليوم فسنجد أننا على أعتاب مرحلة جديدة من غربة الدين والإسلام، وتتمثل في:

١-غياب العلماء والأئمة الكبار الذين كانوا محل إجماع وقبول لدى الأمة كالأئمة ابن باز والألباني وابن عثيمين رحمهم الله تعالى.

٢ -كثرة وفاة العلماء والدعاة وطلبة العلم بسبب جائحة الكورونا من مختلف دول العالم ومن كل التخصصات العلمية الشرعية.

٣- غياب غالب المحاضرات الدعوية وانتهاء مرحلة الشريط الإسلامي والمطويات الدعوية والفضائيات الدعوية والتي كان لها بالغ الأثر في نشر الدين والتوحيد والسنة والموعظة وإحياء روح التدين عند مختلف قطاعات المسلمين.

٤-إغلاق وضعف الكثير من المراكز والجمعيات الإسلامية الدعوية والإغاثية والتي قامت بدور إيجابي وكبير في رعاية الشباب والفتيات والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام وبنت المساجد والمدارس ودور الأيتام والمراكز الطبية والإنتاجية.

٥-اضمحلال نشاط طباعة الكتب وتوزيعها الخيري على طلبة العلم والمراكز العلمية والثقافية والتي ساهمت في نشر العلم الشرعي في ربوع الدنيا وأنتجت ألوف الدعاة والخطباء والأئمة وطلبة العلم والعلماء.

٦-توقف نشاط بعض كبرى مواقع الإنترنت المجانية المتخصصة بنسخ الكتب المصورة لأسباب مالية تمويلية أو بِعلّة الملكية الفكرية، وسيكون

مآل ذلك بعدة سنوات اختفاء وفقدان الكثير من الكتبالمطبوعة وما فيها من علم بسبب قلة عدد النسخ المطبوعة أصلا وإغلاق كثير من دور النشر أبوابها بسبب الإفلاس.

٧-ضعف هواية وعادة المطالعة والقراءة بسبب الإدمان على أجهزة الاتصال الحديثة ومواقع التواصل الاجتماعي، ومن قبل تكاد تندثر عادة استماع المحاضرات والسلاسل العلمية التي تربى عليها جيل كامل من شباب الصحوة الإسلامية.

٨-تزايد منابر نشر الشر من الشبهات والشهوات والمدعومة بميزانيات ضخمة.

٩-تكالب الأعداء من كل حدب وصوب على محاربة الإسلام والمسلمين بحجج شتى من الإرهاب والغلو والرجعية والتخلف والتشدد والتنطع وترك المذهبية.

١٠-الأجندات السياسية الدولية التي تسابق الزمن حتى لا تواصل الأمة المسلمة طريق السعي نحو استئناف حياة إسلامية صحيحة.

١١-الدعوة لالتزام الديمقراطية في المجتمعات المسلمة، شريطة أن تفرز الديمقراطية العلمانية أو إسلاما مهجنا ترضى عنه العلمانية!

١٢-تجريم الإسلام السياسي والجماعات الإسلامية في عودةٍ لزمن الحكم الشيوعي والشمولي في خمسينيات وستينيات القرن الماضي.

هذه المؤشرات والسياسات تشي بأننا على أبواب مرحلة جديدة من غربة الدين والسنة يَضعف فيها العلم الشرعي ويقل فيها انتشار التدين وتسود فيها مفاهيم محرفة للدين ومبدلة، ويرافق ذلك ضعف الإسلام والمسلمين خاصة مع زيادة صراعاتهم وشقاقاتهم السياسية على مستوى الدول فيما بينها أو في داخل الدولة الواحدة أو على مستوى الجماعات والتيارات والأحزاب.

## كيف نتعامل مع حالة الغربة القادمة؟

المطلوب شرعا من المسلم والمسلمة تجاه الأحداث والأقدار المستقبلية هو أداء الواجب المطلوب وليس تحقيق النتائج على أرض الواقع، ولكن يخلط بعض الناس بين أداء الواجب الصحيح وعدم انتظار النتائج، ومثال ذلك وجوب الاحتياط في البناء في البلاد المعرضة للزلازل أو الأعاصير ولو لم تتحقق الوقاية التامة في النهاية، وبين الاستمرار بتكرار أعمال جيدة مع عدم تحقق نتائج مطلوبة لأنها ليست الأعمال الجيدة المناسبة للنتائج المطلوبة! مثل مدافعة الأعداء المعتدين بإقامة حلقات لقراءة صحيح البخاري كما وقع في تاريخنا من بعض المتصوفة، نعم، قراءة وتعلم أحاديث صحيح البخاري أمر مطلوب شرعا وله فضل عظيم عند الله عز وجل، لكنه ليس الأمر الصحيح والواجب القيام به لمدافعة غزو وعدوان الأعداء.

ومدافعة الغربة القادمة والآتية تحتاج إلى القيام بمجموعة من الأعمال الصحيحة والواجبة دون انتظار لتحقق النتائج منها بدفع الغربة كاملا، بل قد تساهم في تأخير موعد حلول الغربة أو تقصير أمد الغربة فلا تطول أو تخفف من حدتها أو تقصر انتشارها، المهم أن تكون الأعمال الصحيحة والمناسبة لذلك، ولعل من أهمها في ظني ما يلي:

١-الحرص البالغ والواعي بالمحافظة -ما أمكن- على كل خير موجود في الأمة من حلقة علم أو كتاب أو عالم أو مدرسة أو مؤسسة أو منبر إعلامي أو ثغر دعوي، فلنحذر من حالة اليأس والقنوط بالتخلي عن الأعمال والجهود الإيجابية، ولنقاومها بالجد في التعلم والتعليم والدعوة والتوجيه، ولنتذكر التوجيه النبوي بالإيجابية بزراعة فسيل النخل ولو قامت القيامة، ولنحذر -في مقابل ذلك- من التهور والاندفاع في الدعوة والتعليم والوعظ والتوجيه وتجاوز المساحات الممكنة والمتاحة مما يؤول للمنع والإيقاف والتعطيل دون فائدة حقيقية، بل هي في كثير من صورها تحميس شيطاني!

٢-الإبداع والتجديد في تسخير أدوات العصر وأفكاره وأنماطه في بث الدعوة

والعلـم والتربيـة، وحـث الجميـع عـلى الانخـراط في هـذا الجهـد المبـارك، كلٌّ فيـما يحسـنه، ولنـا في دورات العلـم والقـراءة عـبر برامـج الواتسـاب أو التلغـرام وغيرهـما نمـاذج يمكـن تقليدهـا أو تطويرهـا.

٣-نحتـاج لمبـادرات خلاّقـة تجمـع المعرفـة التقنيـة مـع أهـل المـال والعلـم لجمـع وحفـظ العلـوم والمعـارف، كلنـا يـدرك أهميـة خزائـن المخطوطـات العالميـة لتراثنـا الإسـلامي وكيـف سـاهمت في النهضـة والصحـوة العلميـة، ونحـن اليـوم بحاجـة لخزائـن تـدوم للمسـتقبل تجمـع هـذه المخطوطـات ومـا حقـق منهـا ومـا نتـج عنهـا مـن دراسـات وكتـب وشروح صوتيـة، خاصـة مـع اندثـار مرحلـة شريـط الكاسـيت والتـي سـجل عليهـا آلاف السـاعات مـن الـدروس ولم تفـرغ مكتوبـة لـلآن، والتفريـط بهـذا سـيضيع عـلى الأجيـال القادمـة جهـودا ضخمـة وعلومـا مهمـة، لـو حفظـت لهـم سـتوفر لهـم الكثـير مـن الأوقـات والطاقـات التـي سـيحتاجونها للتقـدم أكـثر منـا في سـبيل تمكـين الإسـلام في الأرض.

٤-ضرورة تسـجيل الخـبرات والتجـارب عـلى صعيـد العمـل الدعـوي والسياسـة الشرعيـة، حتـى لا تضيـع عـلى الجيـل القـادم ثمـرة خـبرة هـذه المرحلـة ولا يبـدؤوا مـن الصفـر.

فمثـلا قضيـة العمـل الجماعـي وقضيـة المشـاركة السياسـية وقضيـة مركزيـة العلـم الشرعـي والعقيـدة الصافيـة والعلاقـة مـع العلـماء والمجتمـع والسـلطات الحاكمـة وفقـه الواقـع، هـذه قضايـا اسـتهلكت مـن شـباب الصحـوة أعـمارا كثـيرة وجهـودا ضخمـة مهـدورة، لا يجـوز بـأي حـال مـن الأحـوال تـرك الجيـل القـادم ليدخـل متاهتهـا مـن جديـد.

ليكـن لنـا في سـلفنا مـن العلـماء قـدوة حـين اسـتخلصوا الخـبرة التاريخيـة والشرعيـة مـن تجاربهـم في قضيـة الصـدام مـع السـلطات مثـلا والتـي لخصهـا الحافـظ ابـن حجـر في كتابـه «تهذيـب التهذيـب» في ترجمـة الحسـن بـن صالـح: «وقولهـم كان يـرى السـيف، يعنـي كان يـرى الخـروج بالسـيف عـلى أئمـة الجـور، وهـذا مذهـب للسـلف قديـم، لكـن اسـتقر الأمـر عـلى تـرك ذلـك لمـا رأوه قـد أفـضى إلى أشـد منـه، ففـي وقعـة الحـرة ووقعـة ابـن الأشـعث وغيرهـما عظـة لمـن تدبـر".

فنحتاج اليوم لوضع متن أو متون علمية محررة ومدققة في فقه الدعوة وفقه الأولويات وفقه السياسة الشرعية تجمع بين العلم الشرعي المؤصل والعميق والخبرة والوعي بحال العصر وتطوراته وتبدلاته ليجتمع فيها تنقيح وتحقيق المناط بشكل سليم وبناء، لتساهم هذه المتون وشروحها في النهضة العلمية القادمة كما ساهمت المتون العلمية في شتى العلوم في النهضة العلمية الحالية.

٥-أصبح من المحتم واللازم اليوم لإنجاز هذه المشاريع العملية والعلمية كالمتون المقترحة في البند السابق أن تكون نتيجة جهود جماعية ومشتركة، ويكون في ذلك تطبيق عملي لمبدأ الشورى، مما يفتح المجال والباب حقيقيا لابتكار أدوات ووسائل عصرية تحقق ثمرة الشورى على مستوى العلماء وطلبة العلم والنخب الثقافية الملتزمة، مما يحيي هذا الأصل الشرعي العظيم ويكون مبادرة في طرح حلول عصرية لأزمة البشرية في الاستبداد أو الديمقراطية المزيفة.

٦-هذه الأعمال وغيرها مما سيطرحه غيري من الفضلاء والعلماء والمفكرين، لا يمكن أن يتحقق إلا بترسيخ قيمة المسؤولية الفردية والذاتية دون انتظار لمعونة أحد أو مبادرة من الغير، وليكن لنا في الصدّيق رضي الله عنه قدوة ونموذج حين صاح في وجه أزمة الردة عن الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم: أينقص الدين وأنا حي؟

نعم، علينا جميعا التيقظ لمسؤوليتنا الفردية تجاه غربة الدين والإسلام والتصدي لها كلٌّ بحسب قدرته وطاقته كمسلم أو أب وأم أو معلم وإمام وتاجر أو طالب علم وعالم أو مسؤول وحاكم وموظف وهكذا، الكل عليه مسؤولية فردية متى قام بها أنقذ نفسه وساهم في إنقاذ أمته.

هذه بعض الأمور الهامة في ظني للتعامل مع غربة الإسلام القادمة.

# الشبهات كيف نتعامل معها بوعي وحكمة؟

كَثر في هذه المرحلة تداول الشبهات وقصف عقول وأفئدة المسلمين بها على مختلف أصنافهم وأعمارهم، ومما ساعد على ذلك تيسر وسائل الاتصالات وكثرة منابر السوء الفضائية والإنترنتية والصحف والمجلات وغيرها، وأيضا كثرة خصوم الإسلام في الداخل والخارج.

فالمبتدعة من الشيعة والخوارج والصوفية والأشاعرة والأحباش -والذين توصي مراكز التوجيه الغربية والشرقية بدعمهم وتمكينهم- ينشطون اليوم وعبر مختلف منابرهم في نشر شبهاتهم ومطاعنهم في السنة النبوية ومنهج السلف الصالح من داخل السور الإسلامي طالما أن الريح اليوم تجري في صفهم.

وأعداء الإسلام في الخارج، على اختلاف مشاربهم ومقاصدهم، أيضا يضغطون وبقوة لتلويث عقيدة المسلمين وطمس هويتهم الإسلامية، تحت شعارات العلمانية والحداثة والتنوير حينًا، وعبر دعوات التبشير أو الإلحاد والماركسية حينا آخر، أو عبر تحريف منهج فهم الإسلام وتطويعه لمناهج مستحدثة من المادية وما بعد الحداثة والألسنيات وغيرها ويسوق ذلك بين المسلمين الزنادقة من العلمانيين العرب والمسلمين كمحمد شحرور وأضرابه.

هذا الحال الصعب من تكاثر موجات الشبهات وتنوعها يجعل الكثير منا يجد نفسه عاجزا أحيانا عن رد بعض الشبهات، ونتفاجأ بين الحين والآخر بأن فلانا قد انحرف وضل السبيل وسيطرت عليه الشبهة، فما هو الحل والعمل حتى لا تجرفنا سيول الشبهات؟

بداية؛ لا بد لنا من تذكر مركزية طلب الهداية الربانية كما يتمثل ذلك في قوله تعالى «اهْدِنا الصراط المستقيم» في سورة الفاتحة والتي يكررها المسلم في صلاته يوميا على الأقل سبع عشرة مرة، وسبب مركزية طلب الهداية أن قلب الإنسان معرض للتقلب والتبدل بشدة كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم: «لَقلب ابن آدم أشد انقلابا من القدر إذا اجتمعت غلياً» رواه

أحمد وصححه الألباني، ومن هنا جاءت الوصية النبوية الغالية بدوام سؤال الله عز وجل الهداية والثبات «يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك» رواه الترمذي وصححه الألباني.

ومن هنا فإن المسلم في هذا الوقت خصوصا مطالب بمزيد من استشعار أهمية طلب الهداية كل يوم في صلاته وأن يكون مخلصا وصادقا في دعائه ذلك.

أما الخطوة الثانية في التعامل الواعي والحكيم مع الشبهات فهي الاقتداء بأبي بكر الصديق رضي الله عنه في حادثة الإسراء والمعراج، حين جاءه المشركون والكفار يريدون تشكيكه في النبي صلى الله عليه وسلم وفي دعوته ورسالته ونبوته فقالوا له: يزعم صاحبك أنه أُسرِي به إلى بيت المقدس ورجع في ليلة!

فكان جواب الصديق صاعقا لهم: إن كان قال ذلك فقد صدق!! وذلك لقوة إيمانه ويقينه، وبسبب هذا الموقف لقب رضي الله عنه بالصديق.

فالمسلم والمسلمة يجب عليهما اليقين التام بصدق وصحة دين الإسلام والقرآن والسنة، وذلك كأصل عام ولو جهلا بعض العقائد والأحكام الشرعية أو حكمتها أو جهلا بعض المواقف التاريخية وملابساتها، فعندما تجيئهم الشبهة من خصوم الإسلام في الداخل والخارج فهم بين أن يعلموا بطلان الشبهة على التفصيل، أو أن يتمثلوا موقف الصديق حيث التسليم للإسلام ورد الشبهة بالعموم ولو لم يعلموا رد الشبهة مفصلا.

وهنا تبدأ الخطوة الثالثة وهي التعلم، فالإسلام يحث على العلم أصالة «فاعلم أنه لا إله إلا الله» وهو يشمل علم الدين والدنيا.

فالمسلم والمسلمة يلزمهما تعلم قدر ضروري من العلم الشرعي ليصح به إيمانهما وإسلامهما، وكلما توسعوا في العلم الشرعي زادهم الله هدى ونورا، وكذا الحال في علم الدنيا، فالعلم بذاته يكرم الإنسان كلما ازداد منه.

ومن التعلم عند ورود الشبهات سؤال أهل الاختصاص، واليوم قد أنعم الله علينا بتوفر العلماء والدعاة وسهولة الاتصال بهم مهما بعدت ديارهم، فيمكن الاتصال بهم عبر الهاتف أو رسائل الهاتف والواتسب أو المسنجر أو سواها من البرامج، أو عبر البحث على شبكة الإنترنت، حيث يمكن البحث

تحت عناوين عامة مثل: الرد على شبهات المستشرقين، الرد على شبهات الشيعة، الرد على شبهات الملحدين، وهكذا.
ويمكن أيضا العودة للمواقع المتخصصة بالموضوع الذي تتناوله الشبهة كمواقع القرآن الكريم المتخصصة أو مواقع السنة النبوية أو مواقع العقيدة وهكذا، وكذلك يمكن البحث من خلال المواقع المختصة بالرد على الشبهات ، مثل موقع ركن الحوار أو موقع المحاور أو موقع بيان الإسلام للرد على الشبهات حول الإسلام، أو مواقع المختصين بالرد على الشبهات كموقع مكافح الشبهات لأبي عمر الباحث للرد على شبهات عامة والنصارى بخاصة أو موقع د هيثم طلعت للرد على شبهات الداروينية.
كما أن هناك عددا من الكتب المختصة بنقض الشبهات العلمانية مثل كتاب د. أحمد السيد سابغات، وكتاب زخرف القول للدكتور فهد العجلان وم. عبد الله العجيري، وكتاب موسوعة أهل السنة للشيخ عبد الرحمن دمشقية لنقض شبهات الأحباش، وكتاب دفاعا عن الآل والأصحاب لنقض شبهات الشيعة.
ونقطة أخيرة تساهم في رفع الوعي في دفع ونقض الشبهات وهي تفحص هوية المنبر أو المصدر الذي خرجت منه الشبهة وتوقيت نشرها، ومدى مطابقتها لمحكمات وأسس الإسلام.
فإذا كان مصدر الشبهة هيئة أو شخصا معروفا بعداوته للإسلام فهذا مؤشر كبير على وجود كذب وتزوير في مضمون الشبهة، وإذا كان ملقي الشبهة من رموز العلمانية وكلامه يناقض أسس ومحكمات الإسلام والشريعة مثل نفي سلامة وصحة القرآن الكريم، أو أننا في هذا الزمان يجب أن نجدد فهم الدين ولا نتقيد بأقوال الأئمة الأربعة مثلا بل نفتح الباب لتفسير الإسلام والقرآن بنظريات علمانية ومن قبل شخصيات علمانية لا تؤمن أصلا بصحة الإسلام فهذا كاف لأصحاب الوعي برفض كلامهم.
وعلى صعيد الشبهات السياسية والتاريخية فإن التيقظ لتوقيت نشر بعض الشبهات وأنها تتزامن مع صراع سياسي تسخّر فيه كل الوسائل الإعلامية ولا يتورع أي طرف عن استخدام كافة أساليب التزوير، ومن ذلك مثلا ما نشهده حاليا من هجوم على تاريخ الدولة العثمانية حيث يصور على أنه

احتلال تركي ونفي كل ما فيها من خير وفضل.
ومن أمثلة الوعي في رد الشبهات رفض أي شبهة وتشكيك بالعلماء العاملين المعروفين بالدعوة والعمل والعلم من قبل شخصيات نكرة تستخدم في شبهاتها ضد الدعاة والعلماء الشتائم والألفاظ البذيئة، فالتعامل مع مصدر الشبهة وتوقيتها ومضمونها هو من شيمة أهل التفكير النقدي والمنطقي وعلامة على الوعي واليقظة الفكرية.
هذه بعض الأسس المهمة لكل مسلم ومسلمة في هذا العصر الذي تكاثرت فيه الشبهات بحيث يعجز الكثير من المسلمين عن الإحاطة بجواب مفصل عليها، ولكن تفعيل هذه الأسس يجنب صاحب الحق الانزلاق في فخاخ أهل الشر بإذن الله تعالى.

# احـذروا تبديل الدين باسـم تجديده!

مـن البشـارات النبويـة مـا رواه أبـو هريـرة -رضي اللـه عنـه- أن رسـول اللـه -صـلى اللـه عليـه وسـلم- قـال: «إن اللـه يبعـث لهـذه الأمـة عـلى رأس كل مائـة سـنة مـن يجـدّد لهـا دينهـا»، رواه أبـو داود وصحّحـه الألبـاني.

وذلـك أن الديـن قـد يضعـف نـوره في قلـوب النـاس بسـبب الجهـل أو التقصـير والمعصيـة أو الفـتن والتحديـات الصعبـة، وهـذا يكـون عـلى مسـتوى المجتمـع كـما في الحديـث السـابق و قـد يكـون عـلى مسـتوى الفـرد كـما في قولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: إن الإيمـان ليخلـق في جـوف أحدكـم كـما يخلـق الثـوب، فاسـألوا اللـه تعـالى أن يجـدّد الإيمـان في قلوبكـم» رواه الحاكـم وحسّـنه الألبـاني.

فتجديـد الإيمـان عـلى مسـتوى الفـرد وتجديـد الديـن عـلى مسـتوى المجتمـع عمليـة في غايـة الأهميـة لتواصـل مسـيرة الإيمـان والديـن في الأمـة، وهـي تقـوم عـلى مواصلـة التعلـم والدعـوة والتذكـير لمعـاني القـرآن الكريـم والسـنة النبويـة والعمـل بالأحـكام الشرعيـة والأخـلاق الحسـنة ونبـذ البـدع والمحدثـات والمعـاصي والـشرك والجهـل والكسـل.

يقـول العلامـة المنـاوي في كتابـه فيـض القديـر عنـد شرحـه لحديـث المجدديـن حـول بيـان صفـات المجـدد للديـن: «إنـه يكـون قائمـاً بالحجـة، نـاصرًا للسـنة، لـه ملَكـة رد المتشـابهات إلى المحكـمات، وقـوة اسـتنباط الحقائـق والدقائـق النظريـات مـن نصـوص الفرقـان وإشـاراته ودلالاتـه واقتضاءاتـه، مـن قلـبٍ حـاضرٍ وفـؤاد يقظـان»، وقـد تعـددت محـاولات العلـماء في سرد أسـماء المجدديـن عـبر القـرون، والمشـترك بينهـا أنهـا لعلـماء مجتهديـن مشـهود لهـم بالديانـة والتقـوى والعلـم والفضـل أو لشـخصيات فاضلـة لهـم دور إيجـابي في نـصرة الإسـلام، مثـل: الأئمـة الأربعـة وابـن دقيـق العيـد والعـز بـن عبـد السـلام وابـن تيميـة ومحمـود سـبكتكين فاتـح الهنـد وهكـذا.

وفي العصـور الأخـيرة عرفنـا عـدداً مـن العلـماء المجدديـن كمحمـد بـن عبـد الوهـاب والشـوكاني والدهلـوي ورشـيد رضـا والألبـاني وغيرهـم، وقـد نتـج عـن

جهودهم جميعاً انتشار العلم بنوعيه الشرعي والدنيوي وانحسار الجهل ومظاهر الشرك والبدع، وتضاعف الالتزام بأركان الإسلام من الصلاة والصوم والزكاة والحج، وشيوع عمل الخير والبر للضعفاء والفقراء والأيتام، ونصرة قضايا المسلمين في كل مكان والتداعي لنصرة القضايا العادلة لعموم البشرية والبيئة.

ولكن في مقابل هذا التجديد الصحيح للدين الذي قام به العلماء المجتهدون المجددون ظهرت محاولات منحرفة حاولت رفع رايات تجديد الدين لتمرير مشاريعها المضادة للدين والهادفة لتبديل الدين في الحقيقة، يقول د. محمد البهي الخولي عنها: «تلك المحاولات الفكرية التي يدعي القائمون بها إصلاحاً أو تجديداً في الإسلام، وهي في واقع أمرها إخضاع الإسلام لِلون معين من التفكير، أجنبي عنه، سواء في هدفه أو فيما يصدر عنه".

وهؤلاء المندسون تحت غطاء التجديد للدين والإسلام ليسوا على شاكلة واحدة، ويمكن أن نركز على ثلاثة خطوط رئيسة معاصرة هي:

١ -أصحاب الأهواء والانحرافات، سواء كانوا من أصحاب العمائم أو الأجندات العلمانية التي نُبذت شعبياً فأعادوا نشرها بوضع عمة لها! وهؤلاء تجديدهم للدين يتمثل في إنكار السنة النبوية جزئيا أو كلياً، وتحريف معاني القرآن الكريم والطعن فيه واعتباره يعالج قضايا مرحلة تاريخية انتهت، وليس صالحا لمعالجة حياتنا المعاصرة، وفتح باب الاجتهاد في الدين للجميع دون اشتراط وجود قدرة علمية شرعية كما هو المشترط للاجتهاد في بقية العلوم الأخرى! ولذلك لا مشكلة عندهم في تبديل الدين بدل تجديده، فالخمر والزنا والربا حلال! والتعري هو الحجاب! والقرآن الكريم ليس كلام الله تعالى! والصلاة ليست واجبة! والإيمان بالله عز وجل والإلحاد المنكر لوجود الله عز وجل وجهتا نظر يمكن أن يدخلا كلاهما جنة الله عز وجل التي ينكر الملحد أصلا وجودها ووجود الله عز وجل! فهل هذا تجديد للدين والإسلام أم تجديد للشرك والمعاصي وملّة الشيطان؟!

٢ -أدعياء منهج إحياء اتّباع آل البيت الكرام ونصرة المستضعفين ومحاربة الشيطان الأكبر والأصغر، والذين جعلوا تجديد الدين مقصورا على بث الخرافات والأكاذيب حول كرامات آل البيت، وأحيوا الشرك والوثنية بالطواف

حـول القبـور والركـوع والسـجود لهـا ولـو بعكـس القبلـة! والذهـاب لهـا زحفـا! وللوصـول لشـهواتهم عظّمـوا زواج/ زنـا المتعـة فتضاعفـت نسـبة جرائـم الزنـا وامتهـان الدعـارة وإدمـان المخـدرات!! فهـل هـذا تجديـدٌ الديـن وإحيـاءٌ لمنهـج آل البيـت الكـرام؟!

وتسـبب هـذا التبديـل للديـن ورفـض منهـج ادعـاء الحـق الإلهـي مـن قبـل الأدعيـاء بتزايـد أعـداد الملحديـن بـين شـبابهم المتعلـم!

وأمـا علاقتهـم بالآخريـن فقـد تجسـدت نـصرة المسـتضعفين عندهـم بالتفجـير وقتـل الحجـاج في مكـة المكرمـة عـدة مـرات، وقتـل مئـات الآلاف مـن الأبريـاء في عـدد مـن الـدول ونهـب خـيرات وثـروات العـراق، فهـل هـذا هـو تجديـد الديـن؟!

أمـا مـا يبثونـه مـن فكـر ودعـوة وإعـلام وتعليـم للطلبـة في بلدانهـم أو عـبر اسـتضافتهم في إيـران فهـو تكفـير الصحابـة رضي اللـه عنهـم وعمـوم المسـلمين، والطعـن بسـلامة القـرآن الكريـم، كـما هـو ثابـت في كتـب ومقـالات ومحـاضرات ودروس مـن تأثـر بهـم مـن المسـلمين السـنة! فهـل هـذا تجديـد الديـن والإسـلام؟!

٣ -أهـل الغلـو والتطـرف، الذيـن رفعـوا رايـة الجهـاد وتحكيـم الشريعـة، ولكنهـم سـلّطوا رصاصهـم وقنابلهـم عـلى المسـلمين مـن العلـماء والمجاهديـن والعامـة بعـد تكفيرهـم في كل بلـد أصبحـت لهـم فيـه شـوكة وقـدرة، بـدلا مـن مقاومـة الغـزاة المحتلـين.

فبدّلـوا مفهـوم الجهـاد وتحكيـم الشريعـة ليصبـح نـشراً للفـوضى والتخريـب وتشـويه صـورة الشريعـة وجوهـر العـدل فيهـا لتصبـح ظلـمات مـن الظلـم والحمـق بجهلهـم وتلاعـب القـوى الدوليـة بهـم.

ومَـن نظـر في حقيقـة تجديدهـم للديـن سـيجده قتـل العلـماء والصالحـين وانتهـاك حرمـة المسـاجد بالتفجـير والقتـل حتـى أنـه لم يسـلم الحـرم المـكي نفسـه مـن جرائمهـم، وبـث الجهـل والتشـدد في فتاواهـم، وتناقضهـم فيـما بينهـم الـذي يوصلهـم لتكفـير بعضهـم بعضـا وقتـل بعضهـم بعضـا.

وأيـن هـذا الغلو والإرهاب من تجديد الدين ونصرة الإسلام؟!

والمسـلم العاقـل هـو الـذي لا ينخـدع بشـعارات تجديـد الديـن التـي ترفعهـا جهـات كثـيرة، ويفحـص صحـة دعـوى هـذه الجهـات مـن خـلال تبـيّن حقيقـة

علم ومعرفة وتقوى وصلاح وخدمة الإسلام من قبل القائمين عليها، ويضيف لذلك تفحص نتائج سلوك هذه الجهات عبر مسيرتها، هل نشرت العلم السليم والسلوك القويم وتسير في مسار خدمة الدين حقيقة وساعدت الفقراء وساهمت بتنمية المجتمع ومتصالحة مع محيطها؟! فإن كانت هكذا، وإلاّ فاحذرها وتجنّب سمّها وخطرها على الدنيا والدين.

# أمتنا وعدوان الداخل والخارج

تعيش أمتنا في هذه المرحلة الصعبة منعطفا كبيراً، فالقوى العالمية في حالة تخبط؛ فهذه أمريكا لا ندري هل اقترب موعد أفول نجمها مع تولي ترامب القيادة، أم أن ما يحدث هو تجديد لشبابها وقوّتها؟ وهذا الاتحاد الأوربي يعاني المشاكل والتفكك بانسحاب بريطانيا منه، ويعاني من صعود القوى اليمينية المتطرفة عبر الانتخابات الديمقراطية كما حدث مع هتلر وموسيليني من قبل!

أما روسيا بوتين فهي تستعيد عدوان الدب الروسي الشيوعي على جيرانه مطلع القرن الماضي ولكن باسم القومية الروسية هذه المرة!

والصين لا تزال تزحف وتتمدد اقتصاديا على المنهج الرأسمالي بينما تدار سياسيا بالطريقة الشيوعية الديكتاتورية!

والجامع المشترك بين هذه القوى العالمية المتخبطة والمتصارعة فيما بينها أننا نحن المسلمين الضحية لصراعهم وتخبطهم، فالمسلمون في هذه الدول الكبرى يعانون من الاحتلال والاضطهاد والظلم خاصة في روسيا والصين، أما في أمريكا وأوربا فهم يعانون تفشي حالات العدوان والعنصرية عليهم، ففي أوربا وقعت سنة ٢٠١٥ وحدها ٧٠٠٠ حالة اعتداء على المسلمين! وبالمقابل دشن ترامب عهده بقرارات مجحفة بحق المسلمين.

ولم يسلم المسلمون في خارج هذه الدول من تخبط وصراع هذه القوى، فالطائرات الروسية لا تزال تقصف في درعا وحماة برغم تعهداتها وضماناتها في مؤتمر الأستانة لرعاية وقف إطلاق النار، ولا يزال التراخي الأمريكي والأوربي يمنح الطاغية بشار الأسد قبلة الحياة والبقاء والمشاركة في مفاوضات السلام الرابعة في جنيف.

ولم يقف الأمر عند ذلك بل شهدنا تواطؤ إدارة أوباما الأمريكية مع إيران لعقد صفقة ذهبية على حساب المسلمين في المنطقة، سمح من خلالها لإيران بالتغول والعدوان والإجرام، وساهم الروس مع الإيرانيين بتنفيذ

المجازر البشعة والإبادات الجماعية والقصف الأعمى المجنون ضد الأبرياء من الأطفال والنساء والرجال.

وكعادة اليهود المجرمين فقد استغلوا ما يجري لجني أكبر قدر من المكاسب، فزادوا من وتيرة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية، وتمادوا في الاعتداء على المسجد الأقصى والقدس، ونشر الأكاذيب بأنهم يواجهون الإرهاب والتطرف، ولذلك فهم مضطرون لترسيخ يهودية الدولة وإجبار الفلسطينيين من عرب الـ ٤٨ على التماهي مع الهوية اليهودية وإلا فمصيرهم الطرد من أرضهم برغم جنسيتهم الإسرائيلية، فقد انتهى زمن الدولة العلمانية والليبرالية والحرية، وجاء زمن الدولة اليهودية!

وفي ظل هذه الحالة من التخبط والفوضى تجرأت دول تافهة كبورما البوذية لشن حرب تطهير وإبادة دينية وطائفية بحق المسلمين الأركان فيها، فقتلوا مئات الآلاف وشردوا الملايين، وأيضا شنت دولة أفريقيا الوسطى حربا ظالمة مجرمة على المسلمين فيها، ولم تلقَ هذه الجرائم حسابا وعقابا حقيقيا مما زاد في طغيانهم وإجرامهم ضد المسلمين الضعفاء.

وحالة التخبط والصراع هذه بين هذه القوى الكبرى لا يعرف أحد ما قد تمتد إليه من زمان أو ما قد تتطور إليه من صراع مفتوح أو محدود، وهل ستكون فيما بينهم أم ستجري على أرضنا وتسير بسببها دماء أهلنا؟

وهذا كله يستوجب من الأمة العودة لربها ودينها وتجعلهما القدوة والبوصلة التي تسير من خلفها، فإن هؤلاء ما تسلطوا على أمتنا إلا بسبب انتشار المعاصي والمنكرات والمفاسد من العامة والخاصة والساسة، وتركنا الأخذ بالأسباب الشرعية والكونية، وهذا الضعف والهوان الذي تعيشه الأمة من أسبابه تقصير أهل العلم والدعوة عن القيام بواجبهم الصحيح.

والمنكرات والمعاصي التي عوقبنا عليها وقصّر العلماء في دفعها لا تقتصر على الفواحش الأخلاقية والمظالم السياسية والمفاسد الاقتصادية بل أيضا انتشار البدع والفرق الضالة وأهمها الشيعة والخوارج، ومنها الأحباش والبهائية والقاديانية وغيرها، ولعل أثر هذه الفرق فى إضعاف الأمة وهوانها أكبر من أثر المنكرات الأخرى، كما يلى:

١-هذه الفرق الضالة تنخر في جسد الأمة من داخلها فتحرف دينها

وتضعف صلتها بربها حيث تضع الوسائط بين الأمة وبين الله عز وجل باسم الإمامة وباسم الأولياء وباسم الشهداء.

٢- هذه الفرق تحارب البقية من العلماء الصادقين فتسجنهم أو تقتلهم مما يزيد في جهالة الأمة وضياعها.

٣- هذه الفرق تتحالف مع أعداء الأمة الخارجيين عبر التاريخ، وتحالف الشيعة والروس اليوم ضد أهل سوريا أكبر دليل.

٤- هذه الفرق تقتل المسلمين أكثر مما تقتل من أعداء الأمة، فهل توجد مقارنة أصلا بين قتلى إيران وداعش من الكفار وكم قتلا من المسلمين؟

وبجانب عداوة هذه الفرق الضالة للأمة الإسلامية من داخلها هناك التيار العلماني المتطرف الذي يشمل أفرادا وقوى من أصول مسلمة، وأفرادا وقوى من أقليات غير مسلمة، والتي تجد في حالة التخبط العالمية والتهديد الإرهابي الداعشي فرصة ثمينة للمجاهرة بعداوة الإسلام والطعن فيه والمطالبة بالعلمانية الفجة والصريحة، وبعضهم أقل وقاحة فيغلّفها باسم المدنية والتعايش.

هذه هي حالة الأمة اليوم: عدوان من خارجها ومكر وخيانة من داخلها، وقوى الخارج تَدعم بشكل مباشر وغير مباشر قوى العدوان الداخلية ولو تعارضت مع أيدلوجيتها، لأن في دعمها إضعافا واستنزافا لقوة الأمة وإشغالها عن بناء قوتها واستعادة مجدها.

منذ أن انطلقت «الراصد» كانت الرؤية واضحة بأن الخارج يوظّف الفرق الضالة لمصلحته ضد الأمة، واليوم نجد أن هذا التوظيف يتم تكثيفه ومضاعفته، وإذا كان قبل عقد ونصف التركيز على الشيعة فإنه في هذه المرحلة تم إضافة الخوارج لهذا التوظيف وذلك من قبل الشيعة ومن قبل الخارج الغرب والشرق، لإبقاء الساحة الإسلامية مشتعلة.

وهذا تذكير لما كتبناه في افتتاحية العدد الأول قبل ١٤ عاما:

"أيها القارئ الكريم يسعدنا أن نضع بين يديك جهداً نراه ضرورياً في رصد حركة الفرق والطوائف المخالفة لمنهج أهل السنة والمسلمين، والداعي لهذا ما تشهده أوضاع المسلمين اليوم في كافة أرجاء الأرض من انبعاث لفكر هذه الطوائف أولاً، وتشكيل هذه الفرق والطوائف دولاً وقوى سياسية فاعلة،

وأهم من هذا أنها بدأت بالتسرب إلى أهل السنة والمسلمين وافتراس الكثيرين من أبنائهم وقادتهم.

إن الصراع في عالمنا اليوم هو بين القوى المتدينة، سواء قلنا بصراع الحضارات أم لم نقل، فإن سيطرة القوى المتدينة ظاهرة لكل مراقب، وتعمل هذه العقائد على فرض المواقف والسياسات على العديد من الدول والقوى بصرف النظر عن صحة وصواب هذه الأفكار.

وإن أعداءنا، واليهود تحديداً منهم، ومن القديم حاربونا من خلال إنشاء ورعاية وتوجيه الفرق الضالة والمبتدعة والتحالف معها، واليوم الساحة مهيأة أكثر من أي وقت مضى لرعاية وإنشاء ودعم العديد من القوى البدعية والطائفية لتكون سلاحًا بيد أعداء الإسلام لكن باسم الإسلام!

وإن نظرة على خارطة العالم الإسلامي مع وضع أسماء القوى الطائفية والفرقية المؤثرة فيها ليوضح بشكل لا نقاش فيه هذا الخطر الزاحف من داخلنا دون أن يعيره الكثير من المسلمين الانتباه الكافي.

ومن أجل هذا كانت هذه المجلة التي تهدف إلى تبصير أهل الإسلام بخطر الفرق والطوائف على مستقبل الدعوة الإسلامية وبلادهم، وتوضح لهم حقيقة الأدوار التي يقومون بها مع التحذير من الخطط القادمة وكيفية العمل على مقاومتها» . أ.هـ

وللأسف لم تجد تحذيراتنا القديمة من الخطر الشيعي ما كنا نرجوه من يقظة مبكرة، وأن نتمكن من منع وقوع الكوارث التي نعيشها اليوم بسبب تمدد الفكر الشيعي الطائفي التكفيري والإرهابي في غالب الدول الإسلامية ونجاحه بإنشاء ميلشيات شيعية إرهابية طائفية من مختلف الدول والأقطار ساهمت في الحرب الطائفية على المسلمين في سوريا.

ونرجو اليوم أن تجد تحذيراتنا من استمرار الخطر الشيعي الإرهابي الطائفي آذانا واعية، فالخطر الشيعي حتى لو هُزم في سوريا واليمن والعراق فإنه لن يزول حتى يزول نظام الملالي أولا، ثم تفكيك شبكاته في مختلف التجمعات الشيعية في العالم، ثم وجود وعي مقاوم حقيقي يجتث بقايا الأفكار الطائفية والإرهابية بمختلف صورها العسكرية والسياسية والمدنية.

إن إيران اليوم إذا صدقت إدارة ترامب في تحجيمها ستنتقل للسيناريو الآخر

وهـو سـيناريو التعايـش والتفاهـم عـلى طريقـة إسرائيـل في مسـيرة السـلام، «مـا اسـتوليتُ عليـه فهـو لي، ونتفـاوض عـلى مـا عنـدك»! ثـم لا شيء كـما يعلـن ويـصرح سـادة السـلطة الفلسـطينية! وقـد سـبق أن انخـدع البعـض بانفتـاح خاتمـي واعتـدال روحـاني والتـي كانـت فرصـة للمـلالي مـن زرع الخلايـا النائمـة وتجييـش الشـيعة في العـالم خلفهـم.

ونرجـو أن تجـد تحذيراتنـا بخطـر فكـر الغلـو والخـوارج المتمثـل في داعـش والقاعـدة وأخواتهـا آذانـا صاغيـة، فإنهـم اليـوم أداة في يـد الشـيعة وفي يـد الـروس والغـرب، مـن أجـل المزيـد مـن إضعـاف أمتنـا وتشـتيتها وتنفيـذ مـا يعجـزون عـن تنفيـذه بأنفسـهم.

ولفهـم خطـر هـذه الجماعـات المتطرفـة والخارجيـة يكفـي أن نتأمـل هذيـن المثالـين: تكـرار هجـمات داعـش عـلى تركيـا دون إيـران، برغـم أن داعـش تزعـم أنهـا تقاتـل إيـران وتركيـا في سـوريا! وتوعـد داعـش حركـة حـماس بالقتـال قبـل قتـال اليهـود وإسرائيـل حـين يصلـون غـزة!

إن ظاهـرة الغلـو المعـاصر هـي اسـتمرار لظاهـرة الخـوارج الأولـين في خطوطهـا العامـة، والتنبـه لهـا ولخطورتهـا مـن أول درجـات الوعـي اليـوم، والعمـل عـلى مقاومتهـا بـكل وضـوح وقـوة واجـب شرعـي مـن جهـة، وسـيجنب الأمـة أكلافـا باهظـة في المسـتقبل، قـد لا تقـل عـما دفعتـه الأمـة اليـوم مـن دمـاء وأعـراض وأمـوال بسـبب التهـاون تجـاه الخطـر الشـيعي الإرهـابي الطائفـي، لسـذاجة بعـض العلـماء والمثقفـين والجماعـات الإسـلامية وانخداعهـم بشـعارات التقريـب والوحـدة مـع الشـيعة!

والشـباب الغاضـب اليـوم لِهـوان أمتـه وعـدوان الفجـار عليهـا إذا كـرر الخطـأ الجسـيم بالتهـاون في شـأن الخـوارج والغـلاة بالتحالـف معهـم ضـد الطغيـان والظلـم، فلـن ينفـع الأمـة بـشيء بـل سـيمكن للأعـداء مـن رقـاب الأبريـاء، ومـن بقـي مخلصـا سـيكون ضحيـة لسـذاجته وغيرتـه الجاهلـة!

فالحذر الحذر.

# الواقع الإسلامي إلى أين؟

## تمهيد: خريطة الصراع بين الحق والباطل

منذ لحظة خلق الله عز وجل لآدم عليه الصلاة والسلام أعلن إبليس عداوته له وذلك بعد طرده من الجنة بسبب استكباره على الأمر الإلهي بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام فقال لعنه الله:﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾(الأعراف: ١٦-١٧)، وقال أيضاً: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ (الإسراء: ٦٢).

فنبّه الله عز وجل آدم عليه الصلاة والسلام لحقيقة العلاقة مع إبليس فقال سبحانه:﴿يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ (طه: ١١٧)، لكن إبليس خدع آدم عليه الصلاة والسلام بوسوسته وقسمه بالله كاذباً فأهبطهم الله من الجنة وأكد على آدم حقيقة العلاقة مع إبليس فقال جل وعلا:﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾(البقرة: ٣٦)، وأكد القرآن الكريم حقيقة هذه العداوة الشاملة والأبدية لجنس البشر فقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾(يوسف: ٥)، وقال أيضا:﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(فاطر: ٦).

وبرغم هذا التوضيح الربانيّ المتكرر لعداوة الشيطان لجنس بني آدم إلا أنه نجح في استمالة كثير منهم ليكونوا حزبه وأعوانه ضد المؤمنين أتباع الأنبياء، قال جل جلاله:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١١٢ - ١١٣)، وقال:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا﴾ (الفرقان: ٣١).

وبيّن مكونات حزب الشيطان من المجرمين في عداوة أهل الإيمان والإسلام فقال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾

(المائدة: ٥١)، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾(النساء: ١٠١) وهؤلاء أعداء الخارج، وألحق بهم الطابور الخامس الداخلي فقال:﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۘ﴾(التوبة: ٦٧).

أما عن سبب هذه العداوة من إبليس وحزبه من الجن والإنس لأهل الإيمان فقد بينه القرآن الكريم بوضوح وهو الحسد، فقد حسد إبليس آدم عليه الصلاة والسلام على ما فضله ربه به من تكريم، فرفض السجود له واستكبر عن أمر الله عز وجل، قال قتادة: (حسد عدو الله إبليس آدم عليه السلام ما أعطاه من الكرامة، وقال: أنا ناريٌّ وهذا طينيٌّ)، وعلى نفس المنوال سار اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾(البقرة: ١٠٩).

ومن هذا الحسد نشأت كل الشرور، فعصى إبليس أمر السجود، ثم وسوس لآدم وخدعه، ثم حسد ابن آدم أخاه فقتله، ثم بوسوسة الشيطان ظهر الشرك في أمة نوح عليه الصلاة والسلام، وأصبح كل نبي يأتي يجد أعوانا للشيطان يحسدون أهل الإيمان على طاعتهم واستسلامهم لله، ويتكبرون على أمر الرحمن، لما في الاستسلام لأمر الله عز وجل من مصادمة لشهواتهم وأهوائهم وملذاتهم الباطلة.

فهذه هي خريطة العداوة والحرب عبر التاريخ بين معسكر الإيمان بقيادة الأنبياء ومعسكر الكفر والإجرام بقيادة الشيطان، وهو الأمر القائم لليوم.

## نظرة سريعة على خريطة العداوة والحرب للإسلام والمسلمين عبر تاريخهم الممتد:

كل مطالع للسيرة النبوية يجد محطات العداوة والحرب واضحة فيها سواء بتكذيب كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وتعذيب أصحابه وحصارهم في شعب أبي طالب ثلاث سنوات ومطاردتهم مهاجري الحبشة عند النجاشي، ثم ملاحقتهم للنبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة بعد فشل خطة اغتيالهم له.

ثم معاركه مع قريش واليهود والأحزاب المتعددة، ومحاولات اليهود المتكررة

باغتياله بالسم أو الغدر، ومكائد المنافقين ضده لم تتوقف.
ومن ذلك إصدار كسرى أمرا بإحضار النبي له بواسطة عامله على اليمن بعد أن وصلته رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ظهور الدجالين الكذابين كمسيلمة.
وعقب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت غالبية العرب وعزمت على مهاجمة المدينة فأرسل الصديق الجيوش لحرب المرتدين، ولما تولى الفاروق وكسر فارس تآمروا عليه حتى اغتاله العبد المجوسي، وفي زمن عثمان ظهر ابن سبأ الذي هيج الناس على الخليفة حتى قتلوه، واستمرت الفوضى طيلة خلافة علي بسبب مكائد اتباع ابن سبأ.
وفي زمن الأمويين لم تتوقف حوادث الخوارج أو الشيعة أو الشعوبية ضد الدولة، وبدأ ظهور الفرق الضالة والمبتدعة بدسٍّ من كهنة وأحبار الأمم السابقة والزنادقة، وفي زمن العباسيين قويت شوكة الشيعة والباطنية حتى سيطر القرامطة على منطقة البحرين وعطلوا الحج وقتلوا الحجاج وسرقوا الحجر الأسود ٢٠ سنة، وتمكن البويهيون الشيعة من السيطرة على مركز الخلافة العباسية في بغداد، ونشأت دولة العبيديين الشيعة في المغرب ثم استولت على مصر وأعلنت خلافتها الفاطمية، وكانت دولة الإسلام تتلقى موجات الصليبيين والمغول والتتار، حتى احتل الصليبيون بيت المقدس، ودمر التتار بغداد، ثم سقطت الأندلس.
وبعد قيام دولة العثمانيين بدأت تتكون قوة أوروبا فتوقفت الفتوحات وساعد على ذلك قيام دولة الصفويين الشيعة في إيران التي فرضت طائفيتها بالقهر والإجبار والقتل، ثم بدأت حركة الاستعمار الغربي في أفريقيا وشرق آسيا.
وتبع ذلك حروب روسيا ضد المسلمين هناك وضد الدولة العثمانية، حتى قامت الثورة الشيوعية الروسية فزادت الكوارث على المسلمين هناك حتى قتلوا مئات الملايين من المسلمين.
ووصلنا للعصر الحديث حيث كانت غالبية بلاد الإسلام محتلة من الأوربيين أو ثورات شيوعية محلية، ثم تراجع ذلك لصالح قيام دول وطنية علمانية غالبا على تفاوت بينها في العداء للإسلام أو الحياد معه وتصاعد الصحوة

الإسلامية.

واليوم نحن على أعتاب موجة جديدة من الصراع بين الحق والباطل تكاد تجمع معا كافة أنواع العداء والحرب وكافة وسائل ذلك العدوان وتشمل كافة أماكن المسلمين لأول مرة في التاريخ!!

## التخطيط لحرب الإسلام والتآمر عليه قديم:

إن هذه الخريطة المعقدة من الحرب والعدوان على المسلمين لم تكن تصرفات عشوائية ولا ساذجة بل كانت نتيجة تخطيط وتدبير ومؤامرات كثيرة، من الممكن أن نعد في ذلك:

- المؤامرة على قتله صلى الله عليه وسلم بمكة ليلة الهجرة بمشاركة إبليس على هيئة شيخ غريب عن مكة، وأيضا تواصيهم على مقاطعة المسلمين وبني طالب في الشعب.
- وفي المدينة تعددت مؤامرات اليهود والمنافقين ومنها تعاونهم مع الأحزاب لغزو المدينة.
- ومؤامرة ابن سبأ وأعوانه وأنصاره ضد الخليفتين عثمان وعلي.
- ثم مؤامرات الشعوبيين والباطنية المتكررة في العصر الأموي.
- ومنها صناعة المقولات الباطلة وترويجها على يد الزنادقة.
- ثم نشأة الاستشراق الذي طلب علم الشرق الإسلامي ليستفيد منه ومن ثم سخّره لحرب الشرق والإسلام، واستفحل هذا الشر على يد الملك لويس التاسع ملك فرنسا الذي هزم في الحملة الصليبية السابعة ١٢٤٩م وسجن في دار لقمان بالمنصورة في مصر، وهناك في سجنه استخلص قاعدة خبيثة لحرب الإسلام لم تعرفها أوربا من قبل وهي: (إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده، فقد هُزِمتُم أمامهم في معركة السلاح، ولكن حاربوهم في عقيدتهم، فهي مكمن القوة فيهم).
- ويقال إن بطرس الأكبر قيصر روسيا الخامس (ت ١٧٢٥م) كان قد أوصى بحرب المسلمين كل ٢٠ عاماً حتى لا يقوى المسلمون من جديد، ومن تأمل تاريخ المسلمين في هذه القرون الأخيرة يجد ذلك مطبقا بشكل حرفي تقريباً، بل لعل المدة الزمنية تقلصت في العقود الأخيرة وأصبحت الحروب تشن

على المسلمين كل ١٠ سنوات أو أقل!!

■ أما اليوم فإن هذه المخططات والمؤامرات تتخذ طابعا بحثيا وعلميا وتقدميا، فمن يراجع مؤتمرات الأحزاب الشيوعية العالمية والمحلية قبل عدة قرون يجد مخططات اختراق المسلمين وحرفهم عن الإسلام لصالح الإلحاد والشيوعية واحتلال بلادهم والاستيلاء على خيراتهم، ويقابلهم في ذلك مخططات الاستعمار والاحتلال المباشر وغير المباشر.

واليوم أصبحت مراكز الدراسات والأبحاث تتولى مهمة التخطيط والتدبير في اختراق عقول المسلمين وتحريف دينهم وتوجيه دولهم ومعارضتهم لاتخاذ سياسات معينة تخطط مصالحهم هم لا مصالح الإسلام والمسلمين.

## ماذا يشكل الإسلام والمسلمون اليوم لمعسكر الباطل:

لعل مما يبيّن لنا رؤية معسكر الباطل للإسلام والمسلمين اليوم هو تلخيص توصيف صمويل هنتنجتون في كتابه «صدام الحضارات» للحضارة الإسلامية اليوم:

١- نمو ديمغرافي كبير يهدد الحضارات الأخرى وخاصة الغرب الذي يشهد انكماشا سكانيا.

حيث يبلغ عدد المسلمين اليوم في العالم ١,٩ مليار بنسبة توازي ٢٤,٨ ٪ من سكان العالم البالغ عدده ٧,٨ مليار.

والمؤشر المفزع للنخب العالمية التي تقود الحرب على الإسلام والمسلمين أن نسبة تزايد المسلمين أعلى بضعفين من غير المسلمين، وذلك بسبب حث الإسلام على الزواج والإنجاب وتحريم الزنا والفواحش، وهي التي تفتقدها الأمم الأخرى على تفاوت وتتسبب في تناقص أعدادهم.

٢- الهجرة الإسلامية للغرب مما هدد التركيبة السكانية فيها.

تعاني دول أوربا من شبح الفناء بسبب الإلحاد والفردانية حيث يحرصون على اللذة الجنسية دون اكتراث لتكوين أسرة سليمة، ولتعويض النقص في السكان المطلوب للقيام بالأعمال يلجأون لفتح باب الهجرة، ولكن منذ عام ١٩٩٠ و٩٠ ٪ من المهاجرين إلى أوربا هم من المسلمين، مما جعل الإسلام أكثرية عددية بالهجرة وارتفاع نسبة الولادات بينهم، وقد جعل هذا بعضهم

يقـول إن أوربـا سـتكون مسـلمة في ٢٠٥٠ لكـن هـذا مبالـغ فيـه.

٣- العـودة للديـن بـين المسـلمين أولاً، ثـم اسـتقطاب عـشرات الآلاف مـن غـير المسـلمين للإسـلام سـنويا.

قبـل عـدة عقـود كان الجهـل بالإسـلام هـو السـائد، ومـن النـادر أن تجـد مـن يلتـزم بـأركان الإسـلام العمليـة مـن الصـلاة والصيـام والـزكاة والحـج، ولكـن بفضـل اللـه عـز وجـل تبـدل الحـال اليـوم بشـدة، وأصبـح مئـات الملايـين يلتزمـون بتأديـة أركان الإسـلام.

وكذلـك كانـت الشـيوعية هـي أيديولوجيـة الغالبيـة مـن الشـباب المثقـف، ولكـن اليـوم تبـدل الحـال وأصبـح ذلـك صفـة لبعـض العجـزة مـن بقايـا ذلـك الجيـل الغابـر.

وهـذه العـودة للديـن صاحبهـا دعـوة لنـشره وتعليمـه بـين عـوام المسـلمين وغـير المسـلمين، وبحمـد اللـه لا يـكاد يمـر يـوم عـلى كوكـب الأرض ولا يشـهد دخـول أفـواج مـن البـشر في الإسـلام، مـن كل الديانـات والبـلاد والقـارات والمسـتويات التعليميـة.

ولذلـك دخـل في الإسـلام شـخصيات علميـة وسياسـية واقتصاديـة وثقافيـة لهـا مناصـب وتأثـير مـما أشـعل الأضـواء الحمـراء لـدى كثـير مـن الدوائـر المعاديـة للإسـلام والمسـلمين.

٤- زيـادة اسـتياء المسـلمين مـن الظلـم والعـدوان الواقـع عليهـم بمختلـف الأشـكال والصـور.

هـذه العـودة للديـن والشـعور بالهويـة الإسـلامية وشـيوع العلـم وسـهولة تـداول الأخبـار بفضـل تطـور وسـائل التواصـل والإعـلام، أدّت إلى توعيـة قطاعـات كبـيرة مـن المسـلمين بحقيقـة العـدوان والظلـم الواقـع عليهـم أو عـلى إخوانهـم المسـلمين في أماكـن أخـرى، وهـذا الوعـي كان لـه آثـار إيجابيـة مـن الشـعور بمشـاكلهم وهمومهـم، والضغـط عـلى دولهـم لنـصرة إخوانهـم، ودعـم الحمـلات الإغاثيـة لهـم، بـل ومناصرتهـم بالنفـس، وهـذا أيضـا أقلـق كثـيرا مـن خصـوم الإسـلام الذيـن يريـدون إبـادة المسـلمين الواقعـين تحـت سـيطرتهم دون إثـارة بقيـة المسـلمين!

٥- هزيمة العلمانية والشيوعية في بلاد الإسلام في أي استحقاق انتخابي نزيه.

وهـذه أصبحـت حقيقـة مسـلّم بهـا، وهـي نتيجـة طبيعيـة لزيـادة التديـن في كافـة المجتمعـات المسـلمة، مـما حـدا بخصـوم الإسـلام لتعقيـد القوانـين الانتخابيـة لعرقلـة فـوز حملـة الشـعارات الإسـلامية مـن جهـة، واسـتخدام العلمانيـين والشـيوعيين والليبراليـين للشـعارات الإسـلامية في حملاتهـم الانتخابيـة!

ونزيد عليها:

٦- تصاعـد قـوة المسـلمين اقتصاديا وعلميا وعسـكريا عن العقود السـابقة.

فمـع ظهـور الطفـرة النفطيـة بسـبب منـع البـترول السـعودي بالأخـص عـن مؤيـدى اليهـود في حـرب ١٩٧٣ تحسـنت اقتصـادات عـدة دول مسـلمة، وخاصـة دول الخليـج التـي وظفـت ذلـك لمصلحـة مواطنيهـا ومقيميهـا وتفاعلـت بقـوة لخدمـة ومسـاعدة الكثـير مـن الـدول المسـلمة وتسـابقت شـعوبها في دعـم المشـاريع الخيريـة لصالـح إخوانهـم المسـلمين في كل مـكان.

وحجـم التجـارة للـدول الإسـلامية مجتمعـة في منظمـة المؤتمـر الإسـلامي (٥٧ دولـة) يبلـغ ٢,٨ ترليـون دولار، مـما يجعلهـا في المرتبـة الثالثـة بعـد الصـين ٣,٦٨٥ ترليـون دولار وأمريـكا ٣,٧ ترليـون دولار.

وقـد أصبـح هنـاك ثـلاث دول مسـلمة في مجموعـة العشريـن (G٢٠) هـي السـعودية وأندونيسـيا وتركيـا.

وهنـاك تقـدم عـلى صعيـد ترتيـب الجامعـات والجيـوش للـدول المسـلمة فضـلا عـن تحسـن الصناعـات العسـكرية في بعـض الـدول.

٧- اتجـاه العـالم أكـثر صـوب النظام الاقتصادي الإسـلامي كبديل عن الربا.

أصبـح معتـادا في الإعـلام والتسـويق اليـوم سـماع مصطلحـات سـياحة الحـلال، الفنـادق الحـلال، التسـوّق الإسـلامي، مسـتحضرات التجميـل الحـلال، الأدويـة الحـلال، وذاك كلـه انعاكـس لموجـة التديـن الكاسـحة التـي تبحـث عـن اقتصـاد إسـلامى بديـل عـن الاقتصـاد الربـوي العالمـي، حيـث تتصاعـد نسـبة نمـو الاقتصـاد الإسـلامي (تمويـل حـلال، أغذيـة حـلال، أدويـة ومسـتحضرات حـلال، ترفيـه وسـياحة حـلال، ملابـس محتشـمة، إعـلام محافـظ) وبلغـت قيمتهـا ٢,٣ ترليـون دولار.

ولا تخفـي البنـوك الربويـة العالميـة أنهـا فتحـت نوافـذ للتمويـل الإسـلامي بسـبب تزايـد الطلـب عليـه، كـما أن كبـار المنظريـن الاقتصاديـين في العـالم يصرحـون بـأن

إلغاء الربا هو الحل لمشكلة الاقتصاد العالمية!

٨- انخراط كثير من الجاليات الإسلامية في الغرب في المجالات السياسية والمجتمعية لصالح الإسلام.

وهذا نتيجة طبيعية لزيادة عدد المسلمين في هذه المجتمعات إما عن طريق الهجرة أو بسبب التحول للإسلام من قبل كثيرين من أبناء هذه المجتمعات.

٩- استمرار المسلمين في الصمود في وجه العدوان الغاشم سواء في فلسطين أو سوريا أو الصين وروسيا أو أركان وغيرها من المناطق.

ولعل نموذج الشعب الفلسطيني يعد رائدا في ذلك ومثله بقية الشعوب المسلمة في المنطقة العربية وآسيا وأفريقيا وأوروبا والتي تتوق للحرية والانعتاق من الظلم والطغيان الصريح كما تفعل الصين وبورما بحق المسلمين، أو بشكل غير مباشر كما تفعل روسيا في الشيشان وجمهوريات آسيا حيث تستعبدهم عبر واجهات محلية تتبع موسكو، أو ما تفعله فرنسا في دول أفريقيا، وأمريكا عبر سياساتها الابتزازية والانتهازية في مناطق متعددة في العالم.

هذه لعلها أبرز ملامح وضع المسلمين في العالم اليوم، والتي بناء عليها يتم وضع الخطط والمؤامرات لحربهم والقضاء عليهم.

## المخططات العدوانية على الإسلام والمسلمين اليوم:

١- محاصرة الدعوة الإسلامية بإغلاق القنوات الفضائية وتقليص منابر الدعوة ومحاربة الدعاة وتسليط الصوفية والأشاعرة على وزارات الأوقاف والقضاء والإفتاء وبرامج الإعلام الدينية، وتصدير الزنادقة لتحريف الإسلام في القنوات الفضائية.

٢- شيطنة العلماء والدعاة والرموز لضرب القيادة الدينية والفكرية للشعوب المسلمة.

٣- محاربة الإسلام من خلال تشريع القوانين المناقضة له وخاصة قوانين التعليم والإعلام والانتخابات والأحوال الشخصية، في عودة للحالة البائسة زمن الاحتلال والاستعمار القديم.

٤- العمل على ضرب أي وحدة أو تجمع بين الدول المسلمة، ودعم جهود

تفتيتها وإثارة النزاعات بينها وإدامتها بحجة حماية الأقليات ورعاية الإثنيات.

٥- تهجير ملايين المسلمين من مناطقهم بحجج شتى كمحاربة الإرهاب أو شق الطرق وإقامة السدود أو بالعدوان المباشر عليهم، خدمة للمخطط اليهودي والشيعي بالهيمنة على المنطقة.

٦-إثارة النزاعات بين الحكومات والشعوب والقوى الإسلامية بما يضعف المجتمعات والدول ولا يحقق لها مصلحة أو فائدة.

٧-نشر المخدرات والمسكرات بين الشباب والفتيات بشكل ضخم.

٨- ملء الإعلام بالعري والفحش والأفلام والمسلسلات ومخاطبة الغرائز والعقل الباطن، وتصدير الزنادقة والمنحرفين لتقديم الفتاوى والنصائح الإسلامية لتوجيه الشعوب بعيداً عن الإسلام.

٩- فرض مخططات هدم الأسرة (اتفاقية سيداو) وإشاعة الفواحش والسعي لتوطين الشذوذ وشرعنته، وتقليص نسبة تكاثر المسلمين وتسهيل الوصول لموانع الحمل للمتزوجين وغير المتزوجين.

١٠- دعم الفرق الضالة كالشيعة والخوارج / داعش والصوفية والأشعرية المتطرفة، لبث الصراعات والنزاعات في المجتمعات وإدامة حالة من القلق وعدم الطمأنينة والتشجيع على الجهل والخرافة.

١١- توجيه الإرهاب المنسوب للإسلام لضرب الدول والمجتمعات والتجمعات الإسلامية في العالم.

١٢- إدامة الضيق الاقتصادي لإلهاء الشعوب بالبحث عن لقمة العيش عن التطلع لمكافحة العدوان الواقع عليها.

١٣- مواصلة اللعبة الانتخابية كنوع من الملهاة باعتبارها الوسيلة القانونية للتغيير، بينما تم نزع كل آليات التغيير الحقيقية منها.

١٤- فرض التطبيع مع العدو اليهودي كأمر واقع لا دافع له.

١٥-استمرار سرقة خيرات الدول والشعوب المسلمة عبر اتفاقيات وتحايلات وضرائب ظالمة جائرة.

## ماذا يمكن أن نفعل لإبطال هذه المخططات والمؤامرات:

### أولا: الحفاظ على رأس المال

- متابعة تطور الخطط الجديدة أو ما تفرع عن القديم.
- تزويد العلماء بتفصيلات المخططات والمؤامرات المعادية ليكونوا على دراية بما يحدث وأبعاده.
- تزويد الدعاة والخطباء بأولويات المواضيع الدعوية بحسب مكانهم وشريحتهم، ويضع ذلك العلماء والمفكرون.
- التركيز في تربية الشباب والفتيات الملتزمين على ما يسد الثغرات أمام هذه المخططات.
- العمل على بناء برامج دعوية تحصينية للعامة.
- التشجيع على الزواج ودعم كل الأنشطة الميسرة له والداعمة لنشر ثقافة تأسيس أسرة ناجحة.

### ثانياً: المتاح في المجال العام

- حسن استغلال مناخ الحريات والانفتاح لصالح الدعوة.
- حث الساسة الملتزمين والمحافظين على حماية القوانين والتشريعات من العبث.
- التواصل مع الجهات الأمنية لبيان خطورة الفرق الضالة على الأمن الوطني والقومي.
- حث الشخصيات والجهات الموثوقة والقادرة على تقديم مقترحات وبدائل نافعة ومفيدة مضادة للمخططات العدوانية في مجالات المرأة والحرية والسياسة والاقتصاد.
- تفعيل الإعلام الإلكتروني لبيان مخاطر هذه المخططات والاعتداءات لدى الجمهور وبناء رأي عام رافض لها.
- مناصحة الحركات الإسلامية المخدوعة ببعض المخططات كالتقارب مع الشيعة أو بعض مقولات النسوية.
- تفكيك الجبهة المعادية، فمثلا تنبيه الأشاعرة والصوفية لخطر الشيعة وتكفيرهم للصحابة والأئمة الأربعة، بيان سلفية الأئمة الأربعة وكثير من

أتباعهـم الأعـلام عـبر التاريـخ، بيـان خطـر التصـوف الغـالي عـلى نـشر الخرافـة والجهـل لـدى الأوسـاط المتنـورة، وهكـذا.

- الحـرص عـلى التشـبيك والتعـاون بـين الجهـود والمبـادرات الإيجابيـة لمنـع التكـرار والتضـارب واسـتغلال كافـة الطاقـات بـدون هـدر.

# احذروا فخ متاهة الفوضى

لا بد من التنبه منذ البداية إلى أن أمتنا الإسلامية قطعت أشواطا جيدة في مسيرة تقدمها ونهضتها خلال القرن الماضي، فعلى الصعيد المعنوي هناك تزايد في التمسك بالالتزام الديني وانحسار للأفكار الضالة كالصوفية الخرافية والطقوس البدعية والشركية العامة والانغرار بالتشيع وشعاراته، كما أن هناك تزايدا في أداء أركان الإسلام والحرص على نشر العلم الشرعي والدعوة إلى الله عز وجل، كما أنّ هناك تراجعا في مساحة الأميّة في العالم الإسلامي.
بينما على الصعيد المادي نجد هناك تحسنا في مستوى الخدمات التعليمية والصحية والبنْية التحتية من الطرق والمستشفيات والمدارس والجامعات وانتشار خدمات الماء والكهرباء والاتصالات، وهناك قطاع واسع من المسلمين -أفرادا وشعوبا ودولا- تجاوز مرحلة الفقر والعوز والجهل والتخلف.
نعم، لم نصل للحالة المطلوبة والمنشودة، سواء على مستوى رقيّنا التاريخي أو بالمقاييس المادية المعاصرة، لكن بالتأكيد أن هناك حالة من التقدم والرقي تشهدها الأمة بعمومها حتى رغم ما تعانيه بعض البلدان من حروب طائفية واستعمارية فإن القوة النفسية للأمة ظهرت فيها بوضوح عبر الإصرار على المقاومة والجهاد رغم قلة الإمكانيات، وأظهرت القوة الكامنة في أمتنا من خلال الاختراعات البسيطة والهامة التي حلّت بعض المشاكل الحياتية بسبب الظروف الصعبة كتوليد الكهرباء من أمواج البحر في غزة أو توليد غاز الطبخ من مخلّفات الحيوانات في سورية، أو من خلال تطوير بعض الأسلحة في ساحات المقاومة والجهاد بإمكانيات بسيطة.
لهذا كله «يتداعى الأكلة» من مختلف الجهات على أمتنا المسلمة اليوم برغم ما بينهم من صراعات وخلافات، حيث يشنون عليها كل أنواع الحروب العسكرية والنفسية والفكرية والأخلاقية والاختراق ودعم الفرق الضالة والمنحرفة وتشجيع الفتن والخلافات وتوسيع نطاقها.
هذه الحالة المتفاقمة من التكالب على أمتنا المسلمة تهدف إلى جرّنا

لمتاهة الفوضى حتى نضيع فيها وتذهب قوتنا التي راكمناها خلال العقود المنصرمة على مستوى الأفراد والشعوب والمجتمعات والدول، عبر إدخالنا في حروب بينية على مستوى الدولة الواحدة حيث يُحرّض الشعب على السلطة، والسلطة على الشعب، أو بين فئات المجتمع الواحد، أو على مستوى صراعات بين الدول أو بين المجتمعات، مما يدخلنا في دوامة رهيبة نطحن فيها أنفسنا دون أي ثمرة!

ومن الأدوات المستخدمة في إشعال هذه الحروب البينية نشر الأكاذيب والشائعات عبر وسائل الإعلام التي تحرّض على دول أو قادة أو مؤسسات وجماعات بدون أدلّة وبدون بيّنات، مما يثير حفيظة البعض فيعادي ويهاجم، ويتولد عن ذلك ردة فعل معاكسة لا تتحكم بعواطفها فتقوم بالرد بأكاذيب جديدة فتلّوث الجو وتشحن النفوس ونعيد سيرة البسوس وداحس والغبراء!

ومن الأدوات المستخدمة دعم الأعداء لبعض فرق الضلال بشكل مباشر أو غير مباشر، فكلنا شاهد كيف تم توظيف (داعش) لخدمة عدة أجندات معادية للإسلام برغم تصارع هذه الأجندات مع بعضها البعض، ولا تزال ورقة داعش والتطرف والإرهاب يتلاعب بها أعداء الإسلام ويحرقون بها الأغبياء والمغفلين من الشباب الجاهل والقيادات المخترقة والمجرمة، وعلى المنوال نفسه فإن هناك اليوم دعوات دولية لإعادة توظيف بعض الطرق الصوفية على وجه الخصوص وما يتقاطع معها من مذاهب كبعض الأشاعرة والأحباش ودعاة التعصب المذهبي في محاربة التطرف وإن كانوا يقصدون في الحقيقة محاربة الإسلام نفسه، والدليل على ذلك أن من يدعم هذه المخططات في النهاية قوى عسكرية معادية لنا، كمركز راند الأمريكي التابع لوزارة الدفاع الأمريكية، أو القيادة الروسية المجرمة بقيادة بوتين، والتي توارت خلف قاديروف رئيس الشيشان لمهاجمة أهل السنة وتحريف مفهومهم بإخراج الحنابلة والسلفيين من أهل السنة في مؤتمر جروزني المعروف.

ومن الأدوات المستخدمة لإدخال المسلمين إلى متاهة الفوضى فسح المجال لإيران أن تعيث في دولنا الإرهاب والعدوان والاحتلال من جهة، وتكبيل من يحاول التصدي لها عبر قرارات دولية وانتقادات من منظمات حقوق

الإنسان!
ومن أدوات نشر الفوضى وإغراقنا في المتاهة كذبة المفاوضات الدولية، فمنذ مفاوضات استقلال الدول العربية ومن ثم مفاوضات السلام مع اليهود وأخيرا المفاوضات السورية لا تُنتج هذه المفاوضات إلا تكبيل يد المعارضة وإنقاذ ودعم وحماية وتقوية الطرف المجرم المعتدي.
ومن أدوات توسيع متاهة الفوضى تعاون القوى الدولية مع قوى إرهابية ككثير من المنظمات الكردية ودعمها بالسلاح في وجه الثورة السورية وحليفها التركي سواء من أمريكيا أو روسيا!
ومن أدوات دعم متاهة الفوضى القرارات الخطيرة التي تعمل على تفجير أحوال الأمة وضرب بعضها ببعض كقرار المتهور ترامب بنقل السفارة، والذي لا مبرر له ولا لتوقيته إلاّ إدخال المنطقة في دوامة ومتاهة لا تخرج منها.
ومن مداخل متاهة الفوضى المواقف الكارثية للسلطات الحاكمة في دولنا، والتي لا منطق لها ولا فائدة، ويقف خلفها لوبيات منتفعة مالياً أو لها ارتباطات خارجية أو داخلية، فهي تستعدي فريقا من سكانها ظلماً، أو تناصر ظالماً يعتدي على شعبه، أو تسمح للانحلال والفجور بالتزايد، أو تتقاعس عن خدمة مواطنيها والتصدي للمخاطر الزاحفة بما يناسبها، ويقابل هذا مواقف المعارضات العربية والإسلامية، فبعضها مرتبط بالمشاريع الخارجية الأمريكية والروسية والإيرانية، وبعضها لا يقل فساداً عن السلطات الحاكمة ويفتقد لأي برنامج حقيقي للإنقاذ.
إن كل هذه الأدوات المتناقضة والمتعارضة والمتطابقة والمتقاطعة والتي تستخدم ضدنا تولّد حالة من التوهان والفوضى لا يمكن الإمساك بخيوطها وفهم تشابكاتها وتعقيداتها مما قد يجرّنا لليأس والقنوط، وهذا انتحار، أو يجرنا لردة فعل غير محسوبة، وهذه مصيبة إضافية وتجرنا لمتاهة من الفوضى والحروب الداخلية و»تصومل» كل مجتمع وبلد ينزلق لهذه المتاهة والتي لا يعرف لها قرار أو نهاية زمنية تنتهي عندها.
هذا هو حالنا اليوم: واقع مركب معقد لا يوجد فيه حليف شريف في كل القضايا، ولا توجد فيه سلطة مصيبة وناجحة في كل الملفات والقضايا، ولا توجد معارضة مثالية وناجحة، ولا توجد قوة كافية لنصرة الحق على كل

الأصعدة، وقبل هذا كله لا يملك أحد تصورا صحيحا وسليما وكاملا للمشهد الإسلامي بكامله، فضلا عن أن يكون عنده القدرة لتنفيذ وحماية رؤيته وتصوره.

**فما العمل؟ وما الحل؟**

لا توجد وصْفة سحرية ولا توجد وصفة كاملة، ولكن هذه بعض الأفكار والتوصيات نأمل أن تكون نافعة في هذا الواقع الصعب وأن تجنّبنا متاهة الفوضى:

١- أي حلّ لا يحافظ على المكاسب الموجودة ويفرط فيها ليس حلاً، إلا إذا كان يقلل -يقيناً- شراً واقعاً أكبر منه.

٢- يجب تجزئة الحلول والمعالجات، فما نقبله هنا قد لا نقبله هناك، وما يمكن إنجازه هنا ننجزه، ونترك ونتجاوز ما لا يمكن إنجازه الآن.

٣- تحديد الأعداء ودرجاتهم وأهدافهم قبل التعامل معهم، فلا نُخدع بكلامهم، بل نعمل على الاستفادة من تناقض مصالحهم ورغباتهم.

٤- لا تحالفات دائمة ولا حروب دائمة، يجب استعمال الهدن بما يقوي صفّنا، وليس بما يمنح العدو وقتا ليرتب أوراقه ضدنا.

٥- التصدي للشرور وهي صغيرة أسهل بكثير من تركها تكبر وتصبح مشكلة يصعب حلّها، كمشكلة داعش مثلاً، التي تأخر العلماء والأمراء في حلّها فتعاظمت، واليوم هناك مشاكل من هذا النوع يجب حسمها مبكرا.

٦- أثبتت الأحداث أن العقلية التي تُدار بها سياسة الدول والمعارضة عقلية بائسة تحتاج إلى مراجعة وتطوير.

٧- لا يزال سلاح الإعلام والوعي غير مفعّل بالشكل السليم ولا يعبّر عن مصالح الأمة، فالغالبية هم بين مخلصين أمين إعلامياً، ومتقنين لكنّ لاءهم مضروب!

٨- لا بد من الوعي بأن الزمن في صالحنا مهما لحق بنا من مصائب وخسائر، فلا نيأس.

٩- لا بد من الحرص على نقاط الالتقاء ودوائر الاجتماع بالنسبة لكل قضية على حدة.

١٠- أمتنا تحوي الكثير الكثير من الطاقات والقدرات والمعادن النبيلة

والثمينة، وفي كل الشرائح، وعلى كل المستويات، والتحدي الأعظم هو: كيف ترتبط هذه الفرص بشكل سليم لإنجاز الكثير من المبادرات والمهام الرائدة لنصرة أمتنا؟

# كم مِن ابن سبأ في عصرنا؟!

معلوم كم هو الدور الخبيث الذي قام به ابن سبأ في عصر الخلافة الراشدة، زمن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، حيث بث الأراجيف بين الناس، وشحنهم بالأكاذيب، حتى ثاروا على عثمان رضي الله عنه فقتلوه، فكان بدء ظهور الخوارج على يده، والذين سرعان ما انفصلوا عن معسكر علي رضي الله عنه وجيشه، وبقي ابن سبأ يوجههم من المدائن.

وعمد ابن سبأ إلى بقية معسكر علي رضي الله عنه فنشر بينهم البدع والخرافات حول وظيفة آل البيت وخاصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فاخترع عقيدة الوصية والولاية في استجلاب لعقيدة اليهود، ثم أظهر القول بالرجعة والتقية وألوهية علي، وعمل على وقوع الحرب يوم الجمل حين غدر بجيشي علي وعائشة رضي الله عنهما، وتكونت بذلك فرقة الشيعة.

وقد تميز ابن سبأ بكونه منافقا يظهر الإسلام ويبطن الكفر واليهودية، وكان واسع الحيلة خبيث التفكير، يعتمد على السرية وضعاف الإيمان وقليلي العقل، ويلجأ لمحاربة الإسلام بإظهار الدين مع تحريفه واختراع أفكار وعقائد باطلة بدلاً من عقائده، وقد نجح في اغتيال خليفتين من الصحابة، وإيقاع الحرب بين المسلمين، وإيقاف حركة الدعوة الإسلامية للعالم، وبث الصراعات والخلافات في الأمة.

نعم، لم تهزم الأمة وتفنى، وسرعان ما عادت حركة الدعوة الإسلامية والفتوح لتعمل على يد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه والدولة الأموية من بعده، ونعم، لم يحرف دين الإسلام بالكامل كما حدث لدين المسيحية على يد بولس، بل سرعان ما تضاءل باطل ابن سبأ وانحصر في مجموعات سرية صغيرة مبعثرة هنا وهناك.

ولكن بقي لهؤلاء السبئيين جهد خبيث في نشر باطلهم والكيد للمسلمين، ولذلك عَرف تاريخ المسلمين العديد من الحركات الباطنية، التي حرصت

على زعزعة الإيمان بنشر الشبهات والعقائد المحرفة، وتكوين التنظيمات السرية المسلحة التي تحولت لدول وإمارات كدولة القرامطة والبويهيين والعبيديين وقلاع الحشاشين، وفي عصرنا الحاضر تعد جمهورية الملالي والميلشيات الشيعية الطائفية في عدد من الدول تجسدا صريحا للسبئية.
وفي التاريخ القريب شاهدنا أمثال ابن سبأ يجتاحون الكثير من الأحزاب والتنظيمات، ولعل من أشهر تلك الوقائع، قضية اليهودي المصري «إيلي كوهين - أمين ثابت» الذي نجح الموساد الإسرائيلي في زرعه داخل النظام السوري، وكاد أن يرشح كرئيس للوزراء سنة ١٩٦٥!
وهناك أيضاً نجيب جويفل، الذي نشأ في التنظيم الخاص لجماعة الإخوان المسلمين، وهو فتى صغير، وشارك في كتيبة الإخوان بحرب فلسطين وعمره ١٩ سنة، ثم تنقل بين عدد من الدول العربية كمصر وسوريا ولبنان والأردن والسودان والكويت والجزائر، وعمل فيها جميعاً على شق جماعة الإخوان المسلمين قبل أن يظهر بصفة ضابط استخبارات في نظام جمال عبد الناصر في منتصف الستينيات!
وإذا انتقلنا إلى الوقت الحاضر وتفحّصنا أمثال ابن سبأ في الجماعات والتيارات فسنجد ذلك ظاهراً بوضوح من خلال خدمة بعض الجماعات التي ترفع شعارات الإسلام والجهاد لمصالح أعداء الأمة وأن كل ثمرات هذه الجماعات هي تفتيت وحدة المسلمين وتفريق صفهم ببث الشبهات والأباطيل، والجماعات التي تزعم الجهاد تضم إلى ذلك قتل واغتيال وتفجير العلماء والدعاة وقادة المجاهدين لأعداء الأمة، فهل هذا يصدر إلا من توجيهات سبئية؟
والسبئية جمعت بين اليهودية والتشيع، وهذا ما نجده بوضوح في سياسة الطرفين وهذه بعض الأمثلة على تغلغل السبئيين في صفوف بعض الجماعات والتيارات على الساحة اليوم:

- نصّت الخطة الإيرانية الخمسينية التي نشرت قبل ٢٠ سنة تقريباً على تثوير شباب أهل السنة ضد دولهم وحكامهم، وفعلاً بعد أن كان الشيعة هم المجرمون الذين ينشرون الإرهاب والتفجير والاغتيال وخطف الطائرات في لبنان والعراق والكويت والسعودية والبحرين، أصبح شباب السنة من

تنظيم القاعدة ثم داعش هم من ينفذ غالب الجرائم الإرهابية، ولكن بعض هذه الجرائم تمت بمساعدة من إيران أو بتوجيهات من قادة القاعدة المختبئين في طهران!

- أيضاً تم اختراق تنظيم القاعدة وتنظيم داعش من بعض الشيعة الخليجيين الذين تولوا مناصب قيادية، وقصة صباح المهاجر الشيعي من الإحساء الذي اندس في تنظيم القاعدة بالعراق وقام بقتل كثير من أهل السنة حتى كشف أمره قصة مشهورة في العراق.
- وتنظيم داعش قام بإعدام أحد رموزه وهو أبو عمر الكويتي (حسين رضا لاري) -وهو شيعي زعم أنه تسنن- وقد بلغ به الغلو في التكفير أنه كفّر الظواهري وتنظيم داعش! ومن درس ضلال ابن سبأ يجد أنه ادّعى في علي رضي الله عنه الألوهية التي يؤمن بها الشيعة أو بعضهم، فلما رفضها علي رضي الله عنه وأنكرها، ادّعى ابن سبأ أن عليّا رضي الله عنه كافر مرتد حتى قتله الخوارج![1].

وعلى الجهة المقابلة نجد تيار الغلو في الجرح والتعديل يتطور غلوه من التبديع والجرح المعنوي إلى الإفتاء بقتال المخالف والاصطفاف مع الانقلابيين على السلطة الشرعية في بلدهم وباعتراف المجتمع الدولي كما فعل ربيع المدخلي في فتواه الأخيرة بخصوص ليبيا، وهذه الفتوى وأمثالها والسلوكيات الطائشة التي تناقلت مواقع التواصل أخبارها من استهانة هذا الفريق بالتهجم المسلح على مخالفيه هو تطور خطير لا يبعد أن يكون بتحريض السبئيين المندسين بينهم.

فهذا الفريق يكثر بينهم الغرباء من دول شتى بحجة طلب العلم والدراسة، وقد تبين ارتباط بعض المندسين ممن يدعى أنه مسلم جديد من بلاد الكفار بأجهزة أمنية لا ترقب في مسلم إلاً ولا ذمة، ولا يستبعد أن يكون منهم بعض يهود العرب مثل يهود اليمن ويهود المغرب.

ومما يدلل على الاختراق اليهودي لمثل هذا التوجه أن في الجامعة العبرية بتل أبيب قسم خاص لدراسة الإسلام وعلم الحديث بالذات من قبل دكاترة يهود منهم البروفيسور كيستر ود. إبراهيم، وهم يتابعون كتب علم الحديث والجديد فيه، ويحرصون على الكتب التراثية، وطلابهم من

اليهود، فأين سيذهب هؤلاء الطلبة بعد الدراسة؟ وهل النقاشات الغريبة والاتهامات العجيبة والآثار النادرة التي توظف من قبل هذا التيار في منتدياتهم ومنشوراتهم بعيدة عن اجتهاد هؤلاء اليهود من طلبة الحديث!

الخلاصة: إن السبئيين ليسوا قلة في عصرنا، وكذلك كانوا من قبل، والواجب على العقلاء الحذر والانتباه من الغزو الداخلي في الإسلام وأنه لا يقتصر على دعاة البدع والضلال من الفرق الضالة الصريحة، ولا يقتصر على دعاة الحداثة والعقلانية والعصرنة والعلمنة، بل يشمل أيضا جماعات جهادية وتيارات علمية تنسب نفسها للمنهج السلفي، فالحذر الحذر من سبئيي إيران وإسرائيل، وسبئيي الشيعة واليهود.

وكما قال المسيح عليه السلام: «مِن ثمارهم تعرفونهم»، فمن كان يرفع شعار السنة والعلم أو الجهاد والرباط، ثم لا يصبّ عمله إلا في تفريق صف المسلمين ونشر البغضاء في صفوفهم ظلما وعدواناً، أو يقتل أهل السنة والإسلام ويزعزع أمنهم ويضيع أرضهم دوماً، فهؤلاء باض السبئيون بينهم وفرّخوا، والله المستعان.

---

[١]أصول وعقائد الشيعة الإثنا عشرية تحت المجهر، ودور ابن سبأ في تأسيسها ونشأتها، د. حافظ موسى عامر، ص ١٧٩.

# رسالة إلى شباب أهل السنة:
# تجنبوا تكرار أخطاء الماضي

تعيش الأمة في هذه المرحلة أوقاتا عصيبة من جهة ما تتعرض له من فتن وابتلاءات ومصائب من أعدائها في الداخل والخارج، فاليهود ماضون في عدوانهم للاستيلاء على المسجد الأقصى وإزالته بالكلية وحرمان المسلمين منه، وأمريكا وروسيا تحتلان الكثير من بلاد الإسلام، وإن كان الروس أكثر وحشية وهمجية وولغا في الدماء والأعراض، والبوذيون يشنون حروب إبادة بحق المسلمين في بورما والهند وسريلانكا، وفي الصين المسلمون يسامون الضيم، وإيران والشيعة من كل حدب وصوب يتقاطرون لحرب أهل السنة في سوريا والعراق، الذين يرفضون الغزو الإيراني والشيعي، وفي أفريقيا عصابات النصارى تفتك بالأبرياء في أفريقيا الوسطي، ودول الربيع العربي تتعرض لموجة ممتدة من الثورات المضادة نشرت الفساد والقتل والفوضى.

وعلى الجهة المقابلة هناك منح ربانية وعطايا إلهية لهذه الأمة، تتمثل في إقبال المسلمين على دينهم وانتشار شعائر ومظاهر الإسلام، وكثرة الدعاة والمؤسسات الإسلامية، وانتشار روح الجهاد ضد العدوان على المسلمين، والإقبال على تعلم الدين، وتزايد أعداد الداخلين في الإسلام من كل الأديان والملل.

ومن هنا فإن الواجب على الشباب المسلم اليوم، وهم الغالبية العظمى من تعداد المسلمين والإسلاميين، المحافظة على الإنجازات التي تحققت، ورعايتها وتنميتها، حتى تتمكن الأمة من تجاوز محنتها في طريقها إلى المجد والسؤدد كما وعدها ربها ونبيها، (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [التوبة، ٣٣]، وفي الحديث (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر).

والحفاظ على المكتسبات لا يتحقق إلا إذا تجنب الشباب تكرار أخطاء الماضي، والتي عطلت مسيرة النهضة سنين عديدة، والداعي لهذه الرسالة هو تكرار فئات من الشباب نفس الأخطاء السابقة التي وقعت في مسيرة الدعوة والصحوة الإسلامية دون اعتبار واتعاظ، وهو بحد ذاته مخالفة شرعية لتحذير النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين".

واليوم يجب على الشباب -إضافة لتعلم العلم الشرعي الصحيح- دراسة تجارب العمل الإسلامي الماضية والاستفادة من دروسها، وإذا كان أعداؤنا يعتمدون على تراث كبير من الدراسات الاستشراقية مكنتهم من فهمنا ومعرفة مكامن ضعفنا فتسللوا منها، ولا يزالون يهتمون بدراسة واقعنا حتى تستمر سيطرتهم على بلادنا ومقدراتنا، فإن من تضييع الأمانة والتفريط في إعداد القوة الزهد في معرفة تاريخنا الإصلاحي والدعوي والسياسي والجهادي، مما يضيف لنا خبرات وحلول ويكون لنا ملكة اجتهادية سليمة لهذه النوازل.

ولعل من أكبر الأخطاء الواقعة في البعد عن دراسة التجارب السابقة، سيطرة مقولة خاطئة على تفكير كثير من الشباب وهي «الإخوان الجماعة الأم»، مما طمس تجارب أقدم وأنضج وأكبر، كان الأستاذ حسن البنا نفسه من ثمراتها، وأي دارس للمجلات القديمة في مصر والشام والعراق والجزائر وغيرها، كالفتح والمنار والبصائر والمقتبس، سيجد كنوزا من التنظير السياسي والجهادي والدعوي ومئات التجارب الناضجة للعمل الإسلامي، التي لو اطلع عليها الشباب اليوم، لوفّروا على أنفسهم وأمتهم دماء وأنفسا عزيزة وأوقاتا وجهودا عظيمة، ولاختصروا المراحل، بدلا من الطريقة الفاشلة في التعلم من خلال التجربة وتعلم الصواب والخطأ منها، والتي فوق تضييعها للجهود والوقوع في كوارث، لا يستفيد منها إلا من جربها، وهكذا تبقى الجهود الفاشلة تتكرر دون استفادة من السابقين، بسبب المنهج السقيم في التعلم من التجربة الذاتية فحسب، وهو عين ما حذر النبي صلى الله عليه وسلم منه «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين".

**ومن أمثلة تكرار التجارب الخاطئة التي تلوح في الأفق:**

١-الاغترار والانخداع بحزب البعث العراقي، حيث أصبح بعض الشباب يمجد رموز البعث السابقين! فبرغم تطور البعث العراقي نوعا ما وفقدانه لشخصية ديكتاتورية، إلا أنه حزب علماني لا يهتم لتطبيق الشريعة، والدين الذي يفضله هو الدين بالصبغة الصوفية.

نعم نتحالف ونتعاون معه في إسقاط نظام المالكي الطائفي، لكن لا بد أن نكون معه شركاء بنفس القدر من القوة والحضور، وإلا سيكون مصير ثورة سنة العراق كمصير الثورات ضد المستعمر في القرن الماضي، حيث قام بها الشعب المسلم، وقطف ثمرتها العلمانيون، وأبلغ مثال على ذلك الثورة الجزائرية ضد فرنسا، التي قدمت مليون شهيد، ثم حكم الاشتراكيون الذين وضعوا الشيخ البشير الإبراهيمي زعيم جمعية العلماء المسلمين في الجزائر والتي كانت مخزن الثورة في الإقامة الجبرية حتى مات!!

٢- بقاء بعض الشباب يجرى خلف رايات (داعش) في كل بلد، وذلك انبهارا منه بالبطولة والشجاعة والتي تتناقلها مقاطع اليوتيوب فقط، ولا أثر لها على الواقع والأرض، وساهم في هذا تأخر كثير من العلماء والدعاة من التحذير من ضلال داعش، حتى استفحل شره وزاد أذاه للناس.

وهذا التأخر في نقد داعش ناتج من رؤية خاطئة تجاه أخطاء وانحراف تنظيم القاعدة كأصلٍ لداعش بكونه تنظيما يجابه أمريكا وبعض الأنظمة، فليس الآن وقت نقده! حتى زاد الغلو في التكفير عندهم والتساهل في قتل المسلمين، فلما وصل التكفير والقتل لبعض فصائل الثوار، استفاق هؤلاء العلماء والدعاة، ولكن كانت داعش قد تم اختراقها من قبل مخابرات سوريا وإيران بشكل مخيف، وكانت دعايتها خدعت آلاف الشباب.

وعليه يجب المسارعة بكشف حقيقة ضلال داعش في سوريا والعراق على الصعيدين الفكري والمنهجي، وعلى صعيد الواقع الخياني للثورتين السورية والعراقية.

٣- في دول الربيع العربي هناك حالة غريبة من تكرار تجارب فاشلة على غرار تحالف الإخوان المسلمين مع جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٢، والتي قامت على الشراكة بين الطرفين، وانتهت بزج الإخوان في السجون، كما هو

الحال اليوم في مصر!

وقد كان بالإمكان تجاوز الوصول لمرحلة الانقلاب الكامل والإقصاء، لو تم الاستفادة من تجربة أربكان - أردغان لعلاج هذا الواقع الانقلابي، فهل لو صعّد أربكان رفضه للإقصاء سنة ١٩٩٧، هل كان يمكن لأردغان المشاركة في الانتخابات والفوز فيها وتغيير أحوال البلاد؟

٤- استمرار رفض بعض الشباب للمشاركة السياسية، برغم أن تاريخ مشاركة الإسلاميين والسلفيين لها قديم، فرشيد رضا كان يرأس البرلمان السوري سنة ١٩١٨، وفي السودان كان لمقربين من جماعة أنصار السنة المحمدية مشاركة في مجلس السيادة على السودان سنة ١٩٦٥، وفي عام ١٩٧٥ كان الشيخ إحسان إلهي ظهير عضوا بالبرلمان الباكستاني ممثلا لجماعة أهل الحديث، والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق منذ منتصف الثمانينات وهو يؤصل للمشاركة السياسية.

واليوم تجد من الشباب من لا يزالون في المربع الأول وهو رفض المشاركة، وبعضهم يشارك بانتخاب أحسن الموجود، ولا يقدم هو المرشح الجيد، وبعضهم كسر الحواجز وشارك على عجلة فوقع في أخطاء وزلات.

والواجب المشاركة السياسية مع التعلم من تجارب السابقين وعدم التعجل حتى نتجنب الزلل بالإفراط أو التفريط.

٥- التغافل عمدا عن تصحيح أخطائنا وقصورنا، بحجة أننا في معركة مع الخصم، والعجيب وحتى عندما لا توجد معركة لا يتم ذلك أيضاً!!

للأسف أن مما يعيق تمدد العمل الإسلامي اليوم في جزء كبير منه، هو تراكم المشاكل والأخطاء الذاتية في شرايين العمل الإسلامي نفسه، حتى أصبح حالة مصغرة أحيانا من حالة الترهل والفشل والفساد التي تعاني منها الأنظمة التي ننتقدها ونعارضها.

ومن ذلك تقديم الولاء على الكفاءة، وعدم تقديم حلول والاكتفاء بالنقد، العجز عن إيجاد نموذج لما ندعو إليه.

٦- عودة قطاع من الشباب للتعاون / التحالف مع إيران وحزب الله برغم جرائمهما المتواصلة في سوريا والعراق وغيرهما، بحجة البحث عن سند ودعم لقضية فلسطين! وقدر رأينا خيانتهما لفلسطين وكل قضايا الأمة.

ولا أدرى كيف يرتجى من هؤلاء دعم، وهم يقتلون الفلسطينيين في العراق وسوريا ولبنان، والأخطر من هذا كيف نطلب عون الله عز وجل لفلسطين ونحن نخذل إخواننا الفلسطينيين -هناك- والعراقيين والسوريين واللبنانيين !! هذه أخطاء إذا تجنبها الشباب، فيرتجى أن يمن الله عز وجل علينا برحمته ونعمته فنرى تقدما وازدهارا ونصرا قريبا بإذن الله.

# العمل الإسلامي اليوم وفخ مخططات نتنياهو والتشيع!!

مع رحيل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، نجد أن الواقع المعاصر للعمل الإسلامي يمر بمرحلة حرجة في داخل وخارج العالم الإسلامي، بعد مسيرة طويلة للعمل الإسلامي بدأت مع رموز بارزة مثل: محمد رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، مروراً بمرحلة تأسيس جماعة أنصار السنة المحمدية سنة ١٩٢٦م، على يد الشيخ حامد الفقي، وجماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨م، على يد الشيخ حسن البنا.

ثم كانت المرحلة الأبرز بعد هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧م؛ حيث سطع فشل كل الدعوات والأفكار الشيوعية واليسارية والقومية والناصرية والبعثية والعلمانية، وأصبح التيار الإسلامي هو الأبرز والأظهر، وبقي العمل الإسلامي في تقدم وازدهار ليومنا هذا، وإن كان المد اليوم يتسم بالتدين الشعبي دون ارتباط تنظيمي أو فكري محدد بأحد مكونات العمل الإسلامي.

**ومن مظاهر ريادة التيار الإسلامي:** أنه هو الفائز الأكبر في أي انتخابات نزيهة، على أي مستوى كان: طلابية، نقابية، بلدية، برلمانية، رئاسية (حالة تركيا)، كما أن الكتاب الإسلامي هو المسيطر على السوق، والإقبال الكبير على المساجد، والعمرة، والحج، وانتشار الحجاب، حتى أصبح هو الأصل في الشارع، ومنافسة الرموز الإسلامية الإعلامية في القنوات غير الملتزمة، وانتشار المؤسسات المصرفية الإسلامية.

وبالطبع فإن هذا الوضع لا يرضي أعداء الإسلام، وأعداء العمل الإسلامي، وهم جهات عديدة جدّاً، قد تلتقي منطلقاتهم ومصالحهم وقد تختلف، ولذلك أقيمت كثير من الندوات والمؤتمرات لبحث هذه الظاهرة، وكيفية التصدى لها ومعالجتها، وقد نفذت كثير من هذه التوصيات عبر سياسات محلية وإقليمية وعالمية، وعلى مستويات متعددة إعلامية وثقافية وسياسية واقتصادية وأمنية، فنجح بعضها، وفشل الآخر.

وسنعرض في هذه المقالة مخططين ما زالَا قيد التنفيذ اليوم لضرب العمل الإسلامي في الداخل والخارج، وقد قطعَا شوطاً كبيراً في الإضرار بالعمل الإسلامي؛ مما يستوجب الحذر والتحذير منهما، ومحاولة استدراك ما فات، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

### المخطط الأول:

### مخطط «نتنياهو» لضرب العمل الإسلامي في دول الغرب:

قطع العمل الإسلامي شوطاً كبيراً في إنقاذ أجيال المسلمين هناك، بعد أن كان الغرب يفرغ هذه الطاقات من محتواها الإسلامي، ومن ثم يبتلع هذه الطاقات الشابة، ويعيد تصديرهم لنا بحيث يكونون رعاة لمصالحه ودعاة لأفكاره، بل وجنوداً لحرب الإسلام بيننا!

فنجح العمل الإسلامي في الغرب في استنقاذ المهاجرين وأبنائهم أولاً، والمبتعثين للدراسة هناك ثانياً، واستقطاب شرائح متنوعة من أبناء الغرب للإسلام ثالثاً، مما أشعل الضوء الأحمر عند «نتياهو»؛ الذي أدرك خطورة الالتزام والإسلام بين المسلمين في الغرب وأبناء الغرب نفسه، وهذا ما سيفقد إسرائيل أنصارها على المدى البعيد، وهو حال الغرب اليوم حيث أصبح الإسلام هو الدين الثاني في بلاد الغرب عموماً، وهو الأول من ناحية التمسك به؛ ولذلك عمل «نتياهو» على وصم العمل الإسلامي بالإرهاب والتطرف، حتى يتم منع العمل الإسلامي من الحقوق المدنية المتاحة للجميع هناك؛ والتي تصب في مصلحة العمل الإسلامي المنضبط، فالإسلام لم ينتشر هناك بالتطرف والإرهاب، بل انتشر بالأخلاق الراقية والعقيدة السليمة والحكمة السديدة.

ومن أجل ضرب العمل الإسلامي في الغرب أسس نتنياهو معهداً مختصّاً في مكافحة الإرهاب؛ لترويج نظريته حول (الإرهاب الإسلامي الدولي)، وإخافة العالم منه، وإقناعه بشتى السبل لإعلان الحرب عليه.

وقد نظم معهده عدة مؤتمرات نذكر منها:

المؤتمر الأول: عقد في القدس عام ١٩٧٩، وصدرت أبحاثه عام ١٩٨١ في كتاب بعنوان: «الإرهاب الدولي: تحدٍّ واستجابة».

المؤتمر الثاني: عقد في واشنطن عام ١٩٨٤، وصدرت أبحاثه في كتاب «الإرهاب: كيف يمكن للغرب أن ينتصر؟» عام ١٩٨٦، وأصدر سنة ١٩٩٣ كتاب «مكان

بين الأمم: إسرائيل والعالم» للغاية نفسها، ثم صدر له سنة ١٩٩٦ كتاب لم يلتفت إليه كثير من الباحثين والدراسين، بعنوان: «محاربة الإرهاب: كيف تستطيع الديمقراطيات هزيمة الإرهابيين المحليين والدوليين»، رأى فيه أن الإرهاب الإسلامي يهدد العالم الآن، وهو وريث الشيوعية بل أخطر منها، وأنّ العداء للغرب والولايات المتحدة بوجه خاص متأصل في ثقافة المسلمين، وأنّ إسرائيل ضحية للإرهاب العربي منذ الأربعينات، وما يفعله الفلسطينيون هو إرهاب لا مقاومة، والذين يساندونهم إنما يساندون الإرهاب، وأن الحريات والديمقراطية في الغرب خاصة التي ينعمون بها هي سبب قوتهم، ولذلك جاءت خطته لمقاومة الإرهاب بتجميد الموارد المالية للحركات الإسلامية؛ كما حصل مع غالب المنظمات الإسلامية الخيرية والدعوية، ونادى بإدخال تغييرات على القوانين والتشريعات تمكّن الغرب من مقاومة الإرهاب؛ حتى في الدول الديمقراطية.

ومن أبرز ألأمثلة على ذلك: قانون الأدلّة السرية؛ الذي يعد سيفاً مسلطاً على نشطاء العمل الإسلامي، ومن نتائج هذا التنظير: موجة الكره للإسلام في الغرب؛ بمنع المآذن والمساجد والنقاب.

وساعد على ذلك عمليات «تنظيم القاعدة» التي كانت مكاسب مجانية لفكرة نتياهو، مما يثير الحيرة والتساؤل بخصوص قلة ضحايا اليهود من كل التفجيرات في أمريكا وأوروبا!!

### المخطط الثاني:

### المخطط الإيراني، الخطة الخمسينية لنشر التشيع:

وهي الخطة التي أعدها مكتب شورى الثورة الثقافية الإيرانية، ونشرت في عام ١٩٩٨م، وجاء فيها بخصوص العمل الإسلامي: وجوب العمل على فصم العلاقة الجيدة بين العمل الإسلامي والقيادات السياسية للدول السنية، والعمل على تبديلها بعلاقة جيدة للقوى الشيعية مع السلطات، وأن السبيل لذلك هو تثوير القوى السنية ضد السلطات، ونسبة بعض الأعمال التخريبية لهم، في الوقت الذي على القوى الشيعية الانحياز للسلطات.

والمتأمل لواقع العمل الإسلامي اليوم في الدول الإسلامية يجد أنّ «تنظيم

القاعدة» قد قام بالشطر الأكبر في هذا المخطط؛ من خلال عملياته التفجيرية في الدول الإسلامية، مما جعل السلطات تقف ضد مجمل العمل الإسلامي، وفي الوقت نفسه قامت بعض القوى الشيعية بالتقرب من السلطات، وأصبح من اللافت للنظر بطش السلطات بأعضاء «القاعدة» بسبب أعمالهم التخريبية، والتساهل مع أعضاء التنظيمات الشيعية الذين يقومون بأعمال مشابهة لأعمال «القاعدة»!!

ومن الأمثلة الصارخة اليوم: ازدياد توسّع المسافة والهوة بين القوى الإسلامية في الكويت (سلفيين- وإخوان- ومستقلين) وبين الدولة، مع ارتفاع أسهم الشيعة لدى السلطات؛ برغم التاريخ الإرهابي لشيعة الكويت ضد الدولة؛ بتفجيرات منشآت الدولة، ومحاولة اغتيال الأمير الراحل!!

# من توصيات مؤسسة راند
# في تغريب المجتمعات الإسلامية

هذه مقتطفات مركّزة من رسالة الدكتوراه المتميزة المعنونة بـ «مؤسسة البحث والتطوير (راند) وموقفها من الدعوة الإسلامية» للدكتور عبدالله المديفر.

**تمهيد:** مؤسسة راند هي مؤسسة أبحاث أمريكية تأسست سنة ١٩٤٥ وتتبع للقوات الجوية الأمريكية، ثم استقلت سنة ١٩٤٨، لكن لليوم يحتل العسكريون ربع مقاعد مجلس أمنائها! ونصف إنتاجها البحثي يقدّم لجهات عسكرية أمريكية! والباقي يقدم للمؤسسات السياسية الأمريكية، ومنها تنزلق للساسة في عالمنا العربي والإسلامي!

وتنبع خطورة هذه التوصيات مِن أنها «تحرص على تقديم خلاصة لنتائجها وتوصياتها للمستهدفين ومن وسائلها في ذلك: (عروض الإحاطة) للمجالس والوزارات وغيرها، وهذه العروض تعد وفق منهج عملي حديث، يهدف إلى الوصول إلى أقصى درجة من الكفاءة والتأثير والإقناع، ويعتمد على أسس مستمدة من علم النفس المعرفي وعلم اللغة"!!ومن هنا يكون تأثير هذه التوصيات كبيرا على المسؤول الفارغ من وجهة نظر ذاتية!

**لب طروحات راند:** أساس طرح وفكر مؤسسة راند لتغريب المجتمعات الإسلامية هو دعم وترسيخ وتمكين نفوذ (المسلمين المعتدلين) بين المسلمين.

**فمن هو المسلم المعتدل عند راند؟؟** هم ٣ فئات: العلمانيون، المسلمون الليبراليون (التنويريون)، التقليديون المعتدلون مثل الصوفية والأحباش!ولمعرفة المسلم المعتدل، هناك اختبار يكشف ذلك عند مؤسسة راند وهو:

أن يقبل بالديمقراطية!

والقبول بمصادر غير إسلامية في تشريع القوانين!

واحترام حقوق المرأة وحقوق الأقليات! طبعا بالمفهوم الغربي!
نبذ الإرهاب والعنف غير المشروع، وطبعا بالمفهوم الغربي الذي لا يشمل إرهاب اليهود ضد الفلسطينيين!

### توصيات مؤسسة راند تجاه الشريعة الإسلامية:

لقد ساهمت مؤسسة راند في وضع دستور أفغانستان الجديد بعد إزاحة حكم طالبان، وعقدت مؤتمرا بعنوان «الديمقراطية والإسلام في الدستور الأفغاني الجديد»، ويرى الباحث المديفر أن توصيات المؤتمر لن تقف عند حدود أفغانستان بل ستتمدد عبر الحدود لبقية دول الإسلام مع الأيام!
فلا مانع من ذكر الإسلام في الدستور لكن بشرط أن تتساوى فيه مبادئ الإسلام ومبادئ الديمقراطية والتعددية والالتزامات الدولية!!! وعند التطبيق ستكون الأولوية للمبادئ غير الإسلامية عند التعارض كما هو حاصل منذ عقود طويلة في كثير من بلاد الإسلام!!
ولذلك تقترح راند أن ينصّ على الإسلام في الدستور بالصيغة التالية: «المبادئ الأساسية للإسلام هي التى تكون مصدر إلهام لكل التشريعات»، وذلك لفتح الباب لكل التفسيرات والتحريفات للإسلام بدلا من كون تفسير الإسلام من حق علماء الشريعة كما أن حق تفسير القانون للقانونيين وليس للأطباء والمهندسين!!
ولذلك ترفض توصيات مؤتمر راند السماح للقضاة المختصين (خاصة الشرعيين) بمهمة مراجعة توافق القوانين مع أحكام الإسلام طبقا للدستور ومرجعية الشريعة، بل أن يسند ذلك للنواب والوزراء غير المختصين والمؤهلين!!
ولم تكتفِ بذلك بل نصّت على تقليص عدد عضوية القضاة الشرعيين في البرلمان في دول مثل أفغانستان حتى لا يتمكنوا من تفعيل الشريعة في الدستور والقانون!!
وركزت دراسات راند على أهمية محاصرة مشاركة الأحزاب الإسلامية في الدستور والقانون وذلك تحت عنوان عدم استغلال الدين في السياسة!!
هكذا يعمل خصوم الإسلام على محاصرة الشريعة والإسلام في الدساتير والقوانين بالدستور والقانون نفسه!!

### توصيات راند بخصوص حد الردة:

لحماية (المسلمين المعتدلين) عند راند، والذين هم من محرّفي الدين والمتلاعبين به فإن المؤسسة طالبت بالنص على الحرية الدينية في الدساتير حمايةً لهم من تهمة الردّة وإخضاعهم للمحاكمة والعقوبة! وهذا يكشف عن مخطط تغيير الدين وأحكام الإسلام الذي تسعى له راند وغيرها من المؤسسات.

### توصيات راند بخصوص أحكام الزواج وتوابعه في الدستور والقوانين:

نصّ مؤتمر الديمقراطية والإسلام في الدستور الأفغاني الجديد على أن قانون الأحوال الشخصية يحدد الاتجاه الذي يسير فيه المجتمع، ومن هنا تنبع خطورة تلاعب توصيات راند ومثيلاتها نحو قوانين الأحوال الشخصية في بلاد الإسلام.

فبدايةً يسعون لنزع الصبغة الشرعية عن هذه القوانين والمحاكم ودمجها في القضاء المدني الوضعي!

ويدعون لعدم الاقتصار على مذهب فقهي محدد في قوانين الأحوال الشخصية لفتح الباب لمصادر مدنية/علمانية في هذه القوانين، والتي تعد البقية الباقية من أحكام الشريعة في القوانين السائدة!!

طبّق هذا في ماليزيا فوُضعت قيود على الطلاق من طرف واحد! واستحدث قانون ملكية (أكثر عدالة) وهذا يعني التلاعب بأحكام الميراث كما يطالَب به اليوم في المغرب!

توصي راند بضرورة الإكثار من عبارة (وفق الدستور) عند تعديل أحكام الزواج والطلاق والإرث، بعد أن تم تقييد الشريعة في الدستور، لتصبح علمنة هذه القوانين قانونية ودستورية ووفق الشريعة بحسبهم!

### العلاقة بين الديمقراطية والقانون والشريعة الإسلامية:

الخلاصة لهذه الخطوات الديمقراطية والدستورية هي إعادة استعمار بلاد الإسلام بطريقة قانونية لا عسكرية، لتصبح القيم الغربية والاستعمارية هي الحاكمة على بلاد الإسلام، وعزل بقية القوانين الإسلامية عن دنيا المسلمين.

مـن هنـا نفهـم حـرص الجهـات الدوليـة عـلى (تطويـر) التشريعـات والأنظمـة القانونيـة في بلادنـا.

إذًا؛ التلاعـب بالقوانـين لمصلحـة الأعـداء هـو بوابـة السـيطرة والهيمنـة المعـاصرة، بحيـث تشرعـن كل خطـوات السـيطرة والهيمنـة بالقانـون وتجـرّم كل خطـوات المقاومـة والممانعـة والدفـاع عـن الحقـوق والخـيرات!!

### توصيات رانـد بخصوص الجهاد في سـبيل الله:

تنفـي بعـض دراسـات رانـد اسـتخدام القـرآن الكريـم لمفهـوم الجهـاد بمعنـى القتـال، وتقـصره عـلى معنـى الـصراع الداخـلي! وتزعـم أن تفسـير الجهـاد بالقتـال تـم لاحقـا لتبريـر الفتوحـات الإسـلامية!!

وطبعـا هـذا تحريـف لمعـاني القـرآن الكريـم بخصـوص الجهـاد، وتجاهـلٌ لدلالـة الأحاديـث النبويـة عـن الجهـاد، واعتـماد للتفسـير الماركـسي المـادي في تفسـير التاريـخ بجعـل الفتوحـات الإسـلامية قـد تمّـت بغـرض مـادي اقتصـادي، وأنـه تـم تبريرهـا دينيًـا في وقـت لاحـق!!

تسـتغل دراسـات رانـد انحرافـات الغـلاة وتطرفهـم للطعـن في كل مفهـوم الجهـاد الإسـلامي بوصفـه تمـردا وإرهابـا، برغـم أن عـدد مـن قـام بعمليـات إرهابيـة مضـادة للجهـاد وصحيـح الديـن لا يبلـغ عـدة آلاف مـن بـين مليـار وسـبعمائة مليـون مسـلم!!

ووقـوع انحـراف مـن الغـلاة لا يبطـل جهـاد المسـلمين الصحيـح دفاعًـا عـن أوطانهـم وخيراتهـم ضـد المحتلـين والغـزاة كـما تفعـل غالـب دراسـات رانـد.

ومِـن وسـائل إبطـال الجهـاد تـوصي رانـد بالعمـل عـلى تشـويه صـورة الجهـاد لفصـل الحاضنـة الشـعبية عـن التعاطـف والدعـم للمجاهديـن، وإذا كان هـذا يصـح بحـق الغـلاة والمنحرفـين إلا أن رانـد لا تفـرّق في ذلـك بـين الغـلاة وبـين الجهـاد الصحيـح، وتخطـو خطـوة إضافيـة بالتوصيـة بـضرورة التركيـز عـلى إبعـاد طلبـة المـدارس الدينيـة عـن تعظيـم الجهـاد والمجاهديـن عمومـا وليـس الغـلاة فقـط.

### توصيات راند بخصوص المساجد:

تبدي دراسات وتقارير راند قلقها من انتشار المساجد في العالم بسبب تأثيرها في المسلمين، ولذلك تقترح توصياتها مراقبة المساجد، خاصة تلك التي يسيطر عليها شخصيات متشددة حتى لا تكون منبرا للإرهاب، رغم أن عادة الإرهاب اللجوء للسرية، أما المساجد فأماكن عامة لا تصلح للعمل الإرهابي السري.

أيضا تتعامل راند مع المساجد على أنها منبر إعلامي، لا يمكن لغير الإسلاميين اعتلاؤه! وكأن المنابر الإعلامية التابعة للعلمانيين من الصحف والفضائيات تفتح أحضانها للإسلاميين؟!

من هنا ترحب راند بسيطرة الحكومات على خطبة الجمعة ومحتواها بحجة محاربة الإرهاب والتشدد!

وهنا يجب على الخطباء ووزارات الأوقاف التعاون معًا للقيام بحق خطبة الجمعة لا أن تصبح منبرا للعنف أو التهاون أو تنفيذ أجندات سياسية للمعارضة أو السلطة.

وتعرب دراسات راند عن قلقها من دعم السعودية لبناء المساجد في العالم ونشرها للدعوة الوهابية وإقبال الشباب عليها، كما أنها منزعجة من اعتماد المساجد في أوروبا للأئمة من بلاد الإسلام لا من خلال معاهد في أوروبا مما يعرقل تطور (إسلام أوربي) وهو ما تم اتخاذ خطوات لإعداد الأئمة من خلال تعاليم ومواثيق أوروبية!!

ومَن يتابع خطوات بعض الدول العربية والإسلامية يشعر أن توصيات راند قد وصلتها وبدأت في اعتمادها!!

### توصيات راند بخصوص التعليم الإسلامي:

اهتمت تقارير ودراسات راند بالمدارس الإسلامية بشكل لافت، وقد صرحت بشكل واضح في دراسةٍ عن التعليم الإسلامي في باكستان بانتفاء أي رابط أو علاقة للتعليم الإسلامي بالتجنيد لصالح التشدد، فالمدارس الدينية تعلّم مناهج معلنة ومعروفة وليست سرية أو متشددة.

لكن توصيات راند -في محاولة للقضاء على جهود مقاومة ومدافعة الغزو

العسكري والفكري لبلاد الإسلام- تدعو للتأثير في التعليم الإسلامي، كما في دراستها عن التعليم الإسلامي في مصر وغيرها، من خلال:

- حذف مفهوم وأحكام الجهاد من مناهج التعليم، وكذلك عقيدة الولاء والبراء.
- التركيز على توجيه الجيل الجديد من الطلبة.
- استكتاب العلمانيين والحداثيين للمناهج التعليمية!
- التوسع في تعليم تاريخ ما قبل الإسلام، والحضارات القديمة والثقافات المنفصلة عن الإسلام لإحياء الوثنيات وربط الطلبة بها بدلا من الإسلام!
- التركيز على تعليم اللغة الإنجليزية لربط الطلبة بمصادر للمعرفة خارج إطار لغتهم وثقافتهم ودينهم!وفي دراسة أخرى تقرر أن مستقبل (الإسلام السياسي) سيتحدد في المدارس، ولذلك سيركزون على تغيير المناهج التعليمية، من خلال تقليص الفجوة بين طلبة التعليم العلماني وطلبة التعليم الإسلامي من خلال التضييق على التعليم الإسلامى وتوسيع دائرة التعليم العلماني.

وتعترف دراسة (الحرب بوسائل أخرى) أن أمريكا لا تستطيع تغيير المناهج الدينية بنفسها، ولكن يمكن ذلك من خلال الشركاء كالمنظمات الدولية، وهو ما ترجم واقعيا في عدد من الدول العربية والإسلامية بوجود لجان استشارية خارجية لوضع المناهج!!

ولذلك تقدم أمريكا هِبات بمئات الملايين (لتحسين) التعليم في عدد من الدول!

**الخلاصة:**

توصيات راند تقوم على تغيير التعليم الإسلامي والتوسع في التعليم البديل!

تنتقد دراسات راند دعم السعودية السابق للمدارس الإسلامية في العالم، والادّعاء أن ذلك يساهم في نشر التشدد والحركات الإسلامية والسلفية/الوهابية، وتوصي بوقف هذا الدعم.

### توصيات راند بخصوص القبيلة والعشيرة:

لاحَظ باحثو راند أن الإسلام عنده القدرة على تحويل ولاء القبائل إلى الولاء للإسلام، وأن ذلك يعيق إزاحة الإسلام عن قيادة المسلمين، ويجعل للمسلمين

قـوة مـن ترابـط العشـائر وترابـط أبنـاء العشـيرة الواحدة.ولذلـك ترصـد إحـدى دراسـات رانـد لخطـة اليهـود بدايـة احتلالهـم لفلسـطين لبـثّ الخلافـات بـين عشـائر فلسـطين مـما سـهّل لهـم السـيطرة عـلى بقيـة فلسـطين لاحقـا سـنة ٦٧.
كـما رصـدت دراسـات رانـد مركزيـة دور العشـيرة والقبيلـة في اسـتقرار دول الخليـج والأردن، لكنهـم أيضـا يزعمـون أن ذلـك يخلخـل بنـاء الدولـة الحديثـة وتكـوّن المجتمـع المـدني= العلماني!وتـرى رانـد في القبليـة حاجـزا يمنـع الديمقراطيـة مـن إيصـال نخبـة حداثيـة للبرلمـان لأن العشـائرية تميـل للمحافظـة والإسـلامية.
وبذلـك فـإن أي عامـل اسـتقرار وقـوة لبلادنـا كالقبليـة الرشـيدة فـإن رانـد تـوصي بإضعافهـا واسـتبدالها!

# مراكـز الأبحاث الأمريكية والسـنة النبوية: مؤسسـة راند نموذجا

## تمهيـد مرحلـة ما قبل مراكز الدراسـات:

كان الاسـتشراق -وهـو طلـب علـوم أهـل الـشرق ولغاتهـم- منهجـا راسـخا في أوروبـا مـن قـرون عديـدة، وكان يعتمـد عـلى جهـود فرديـة غالبـا، وبعـد الحـرب العالميـة الثانيـة وانحسـار الاسـتعمار خـفّ اهتـمام أوروبـا بالاسـتشراق، وفي مؤتمـر للمسـتشرقين بباريـس في سـنة ١٩٧٣ تـم التوافـق عـلى إنهـاء اسـتخدام اسـم «مسـتشرق".

ولكـن أمريـكا، بوصفهـا القـوة الصاعـدة، اهتمـت بـه، فأصـدرت الحكومـة الأمريكيـة مرسـوما يشـجع ويدعـم الجامعـات عـلى فتـح أقسـام خاصـة للاسـتشراق، واسـتقدمت أمريـكا خـبراء مـن أوروبـا، غالبهـم يهـود، وعـلى رأسـهم برنـارد لويـس، وكانـت الجامعـات الأمريكيـة قـد افتتحـت أقسـاما لِلّغـات الشرقيـة منـذ عـام ١٨٣١.

بقـي دور هـذه الأقسـام هامشـياً في السياسـة الأمريكيـة تجـاه الـشرق الأوسـط، حتـى جـاءت أحـداث٩/١١، والتـي صدمـت الأمريكيـين والعـالم، واسـتغلتها مراكـز الدراسـات والأبحـاث التـي لم تكـن تكـترث كثـيرا لشـؤون الـشرق الأوسـط والإسـلام لتتصـدر الموقـف في تحليـل وتفسـير مـا حـدث وتقديـم الـرأي والمشـورة للساسـة والإعـلام والمجتمـع، وهاجـم المسـتشرقون الجـدد في مراكـز الدراسـات المسـتشرقين التقليديـين في مراكـز الجامعـات بعـد أحـداث ٩/١١ بحجـة عـدم تنبؤهـم بالخطـر القـادم!

ويبـدو أن المسـتشرقين الجـدد اسـتغلوا الفرصـة للصعـود عـلى أكتـاف المسـتشرقين التقليديـين، وتـولي مهمـة القيـادة بأنفسـهم في التعاطـي مـع الـشرق الأوسـط.

## نشـأة مراكز الدراسات:

يعـرّف هاشـم صالـح مراكـز الدراسـات بأنهـا: أي منظمـة تقـوم بأنشـطة بحثيـة

سياسية تحت مظلة تثقيف وتنوير المجتمع المدني بشكل عام، وتقديم النصيحة لصنّاع القرار بشكل خاص.

كانت بداية هذه المراكز اعتراض بعض النخبة الفكرية على عدم الأخذ بنصائحهم من قِبل الرئيس ويلسون في اتفاقية فرساي ١٩١٩ فقرروا تأسيس معهد لتقديم أفكارهم للنخبة والجمهور باعتباره معهدا غير ربحي وغير حزبي، لكنه لم يستمر طويلا.

وتنقسم المراكز إلى مراكز ذات تمويل حكومي (جامعات بدون تلاميذ)، ومراكز ترويجية دعائية، ومراكز فخر وغرور.

فظهرت مراكز الدراسات والأبحاث المستقلة عن الجامعات، حيث يُعتقد أن أول مركز ظهر في سنة ١٠١٩ عبر أربعة اجيال من الاهتمام والأسلوب:

١- مؤسسة كارنيغي للسلام ١٩١٠، مؤسسة هوفر الخاصة بالحرب والثورة والسلام ١٩١٩، ومجلس العلاقات الخارجية ١٩٢١، حيث اعتنت بالقضايا الاجتماعية والإصلاحية لأمريكا عقب الحرب الأهلية، وكانت الغاية إعلام صناع القرار والجمهور بالعواقب المحتملة لخيارات السياسة الخارجية.

٢-مؤسسة راند ١٩٤٨، حيث أضافت البعد الاقتصادي والسياسي بعد الحرب العالمية الأولى والقضايا الاستراتيجية والعسكرية التي تهم صناع القرار بعد الحرب العالمية الثانية.

٣-مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ١٩٦٢، حيث جمع بين دراسات السياسات وتسويقها إعلاميا، وتعاون بقوة مع اللوبيات وجماعات المصالح، ثم تضخمت أعداد المراكز من ٢٥ إلى مئات المراكز نتيجة تنافس التيارات المحافظة والليبرالية واليسارية، والذي سمّي حرب الأفكار.

٤ -مركز كارتر ومركز نيكسون وأمثالهما، والقائمة على تراث شخصية معينة.

اليوم تزايدت أعداد المراكز وتضخم نفوذها ودورها وتجاوز الدور الإعلامي والإرشادي لدور المشاركة في صنع القرار والسياسة. حيث بلغ عددها في أمريكا ١٧٧٦ مركزا، حيث ساهمت طبيعة النظام الأمريكي السياسية الحزبية والانتخابية، والتي تحتاج إلى صناعة أفكار لتشكيل رأي عام يتيح له الفوز بالانتخابات! كما أن الدستور الأمريكي كفل حق جماعات الضغط والمصالح

(اللوبيات) ومنها مراكز الدراسات والفكر بالتأثير في السياسات عبر التأثير على النواب، لذلك لا تقارن مراكز أوروبا بأمريكا، لا من حيث العدد ولا الإمكانات ولا الدور.

فعبر قرن ونصف (١٨٦٥ -٢٠١١) تقريبا تحولت هذه المراكز من اتحادات ولجان تقدم النصيحة والمشورة إلى منظومات فكرية تنفيذية تصنع الأفكار وتسعى لتطبيقها على أرض الواقع. يقول جيمس ماكقان: لقد ولّى الزمن الذي كان فيه شعار مراكز الفكر: لنبحث، لنكتب، وسيجدون ما نقوم به. وأصبحت المراكز تنافس اللوبيات على التأثير في السياسة الأمريكية، وأصبحت أيضا محط أنظار الساسة بعد انتهاء خدمتهم الحكومية، كما أن رموز هذه المراكز أصبحوا مرشحين للمناصب الحساسة مما يديم تأثيرها.

تؤثر مراكز الفكر على الساسة من خلال: توليد أفكار وخيارات مبتكرة، تأمين اختصاصيين للعمل في الحكومة، توفير مكان للنقاش على مستوى عالٍ، تثقيف مواطني أمريكا، إضافة لجهود الحكومة في التوسط وحل النزاعات، ولذلك يسميها البعض مدافع التفكير وليس مراكز التفكير!

وهناك شكوك في أن البعض أو الكثير من دراسات مراكز الفكر هذه هي لغاية الترويج والفرض لرؤى معينة تحت اسم دراسة علمية!

هذه المؤسسات تتباين في توجهاتها الفكرية (محافظة، ليبرالية، يمينية، وسطية، يسارية) وتتباين في مصادر التمويل بين حكومية أو أهلية، وتتباين هل هي مقتصرة على شؤون الشرق الأوسط أو هو أحد اهتماماتها.

وهذه المراكز والباحثون فيها كحال المستشرقين من قبل، فيهم مَن يجاهر بخدمته للسياسات الرسمية الاستعمارية للسلطة، وفيهم مَن يتحرج من ذلك ويدّعي الحياد إن كان لا يمانع من استفادة السلطة منها بشكل غير صريح.

لم تكن هذه المراكز تهتم كثيراً بالشؤون الإسلامية، وقد شكّل نجاح ثورة إيران بقيادة الخميني ضد الشاه في ١٩٧٩ موجة عابرة من الاهتمام أعقبتها مرحلة الجهاد الأفغاني، والتي تقاطعت معها السياسة الأمريكية ضد التمدد السوفييتي، لكن أحداث ٩/١١ شكلت المنعطف الأكبر لتولي العديد من المراكز الأمريكية الشؤون الإسلامية اهتماما بالغاً، وأصبحت تنافس مراكز

الاستشراق التقليدية في الجامعات الأمريكية.
ويعرّف الباحث د. عبد الله بن محمد المديفر موجة الاستشراق الجديدة بما يلي: جهود فكرية منظمة يقوم بها غربيون بدأت بعد الحرب العالمية الثانية تستخدم العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة، وتجعلها وسيلة لدراسة العالم الشرقي أو تحقيق تغريبه وفرض الهيمنة عليه، أو هما معًا، وذلك من خلال مؤسسات ووسائل وأساليب جديدة.
ورغم اتحاد الغاية بين هذه المراكز التقليدية والجديدة، وهي مواصلة الصراع الفكري مع الإسلام بصور متعددة، إلا أنه أصبح هناك تنافس وتباين بين هاتين المجموعتين من المراكز الاستشراقية التقليدية بالجامعات والمراكز السياسية المستقلة، من مظاهره:
أن المستشرقين التقليديين كانوا علماء بارعين ومتخصصين في اللغة العربية وبعض العلوم الشرعية أما الجدد فهم جهلاء بكل ذلك، ولا يهتمون بهذه الجوانب، ولذلك تجدهم من خلفيات متعددة إعلامية أو سياسية أو أمنية، واستبدلوا لقب المستشرق بالخبير والمختص والباحث.
واختفت الدراسات الاستشراقية التقليدية التي تركز على قضايا جزئية كتحقيق مخطوط أو قضية فرعية لصالح الدراسات الاجتماعية والسياسية التي تمس مجتمعا أو دولة أو إقليما.
ولم يعد هناك دور للمستشرق التقليدي الفردي لصالح الاستشراق الجماعي/ الفريق.
وغابت الدراسات الاستشراقية السافرة في هجومها على الإسلام لصالح الدراسات التي تراعي عدم إثارة جمهور المسلمين.
وانتهت مرحلة الدراسات والتقارير السرية لصالح الأبحاث المنشورة، أما السرية فلا تتجاوز الـ ٥٪.
كما أن غالب المستشرقين الجدد له رأي مسبق معادٍ للإسلام والمسلمين، ويوظف دراساته لتطويع الإسلام لمصالح أمريكا، لذلك هناك فارق في درجة العداء للإسلام بين خبراء مراكز التفكير فالمستشرقون الجدد أشد غلوا مقارنة بمراكز المستشرقين التقليديين في الجامعات الأمريكية التي أسسها المستشرق اليهودي برنارد لويس. ومنذ سنة ٢٠٠٣، تم فتح عدة فروع لهذه المراكز في

البلاد العربية وإصدار دراسات وتقارير ومجلات باللغة العربية.

**مؤسسة راند:**

الاسم هو اختصار للبحث والتطوير، تأسست سنة ١٩٤٥ بشراكة بين سلاح الجو بالجيش الأمريكي وشركة دوجلاس للطيران، وبهذا يتضح الأصل العسكري لراند، وكانت في بادئ الأمر تركز على الأبحاث التقنية العسكرية بهدف إدامة البحث والتطوير في القطاع العسكري بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وضرب اليابان بالسلاح النووي.

وفي ١٩٤٨ تم إنهاء الشراكة وتحويلها الى مؤسسة مستقلة غير ربحية، وذلك بسبب تحسس بعض العلماء والباحثين من المواقف العسكرية للجيش، وحصلت على تبرع من شركة فورد، واستلمت عقد تطوير سلاح الجو، ولكن رغم استقلالية مؤسسة راند وسواها من المراكز الأمريكية فلا يعني هذا موضوعيتها التامة فيما تقدمه من دراسات، خاصة عن الإسلام والمسلمين، بل الخلل فيها هو الأصل، رغم أن كثيرا من أبحاثها يتعلق بالجانب العسكري.

ولمؤسسة راند دور كبير في الدراسات التقنية التي غيّرت وجه العالم عبر أكثر من ٦٠ سنة، فهي مؤسسة شبكة الإنترنت ومبتكرة البريد الإلكتروني ومخترعة منهج نظم تحليل النظم ونظريات اتخاذ القرار في حالة عدم اليقين.

وفي الستينيات من القرن الماضي اهتمت بالبعد الاجتماعي والسياسي والأمن الداخلي، وعقب أحداث ٩/١١ اهتمت بالعالم الإسلامي.

يعمل في «راند» ١٦٠٠ موظف من ٤٥ بلدا، مما يكسبها خبرة واسعة بالدول والمجتمعات ومكوناتها. وتبلغ ميزانيتها ١٠٠ مليون دولار، وهي أكبر ميزانية لمركز دراسات. أما إيراداتها في ٢٠٠٧ فقُدّرت بـ ٢٢٣ مليون دولار من التبرعات والعقود وعوائد المطبوعات.

اشتهرت المؤسسة بحصول ٣١ من أعضائها على جوائز نوبل، وصنفت في المركز الثامن بين أفضل ١٥٠ مركزا في العالم في ٢٠١٣. وتصدر «راند» سنويا ١٠٠٠ موضوع، ولا تكتفي بإصدار البحوث، بل تعمل لها ملخصا للنخبة المشغولة، وتصاغ على أسس من علم النفس المعرفي وعلم اللغة لمزيد من التأثير والإقناع، وتحرص على وصولها لها.

واليوم هي أشبه بمنظومة متكاملة لديها كلية دراسات عليا تمنح الدكتوراه في التحليل السياسي وعدة معاهد وفروع خارج أمريكا، وكان لها دور كبير في الحرب الباردة ضد روسيا، ولذاك سماها الروس أكاديمية الدمار والموت.

### موقف مؤسسة راند من السنة النبوية:

لمحاولة معالجة جذور الإرهاب في العالم الإسلامي والبحث لها عن حلول ضمن سياق ما بعد أحداث ١١/٩ قامت معظم مراكز الدراسات الأمريكية بدراسة الحركات الإسلامية ودورها السياسي، إلا أن مؤسسة راند خالفت ذلك، وركزت على دراسة الإسلام نفسه وكيفية تطويعه وتعديله وتبديله ليتوافق مع القيم الديمقراطية الليبرالية والاستراتيجية اللازمة لتنفيذ هذا التطويع والتبديل للإسلام، ولكن على عادة المستشرقين الجدد فإن هذه الدراسات يقدمها غير مختصين بشؤون الإسلام، وهاجسهم التوظيف السياسي للإسلام للمصلحة الأمريكية، وأبرز نموذجين لذلك تقرير «إسلام حضاري مدني» أو الاسم الآخر له «الإسلام الديمقراطي المدني» حيث طرحت له ترجمتان بالعربية، وتقرير «بناء شبكات الاعتدال الإسلامي".

تتنوع طبيعة دراسات مراكز الأبحاث بين كونها دراسة للفهم أو التفسير للوقائع أو للتأثير والتغيير كما هو حال هذه الدراسة «الإسلام الديمقراطي» حيث تصرح معدة التقرير أن تحقيق الحاجة والهدف قد تصل لتغيير الدين أو إعادة بنائه!

صدر تقرير الإسلام الديمقراطي سنة ٢٠٠٣، والغاية منه الإجابة عن سؤال: كيف نتخلص من الإرهاب الإسلامي الموجّه ضد أمريكا والعالم الغربي؟

ورغم جسامة المهمة المتوخاة من التقرير إلا من تصدت للإجابة باحثة غير متخصصة بالشريعة، وليست ذات اطلاع عليها، بل هي ممثلة سابقة ومتخصصة بالشأن النسوي! وهي اليهودية النمساوية الأصل شيريل بينارد، وزوجة زلماي خليل زاد السفير الأمريكي السابق في أفغانستان، وتعد من أسوأ باحثي راند حيادية تجاه الإسلام وأخبثهم في وضع الخطط للتغيير في العالم الإسلامي.

واعتمدت بينارد على مراجع ومصادر غير أصلية إسلاميًا، وغالبها كتابات

منحرفة إسلاميا مما يؤشر لكون التقرير موجه منذ البداية لغاية تغيير الدين وتطويعه للأجندة الأمريكية، ولذلك كان من الطبيعي أن تأتي الإجابة بتبديل وتطوير الإسلام ليتوافق مع القيم الديمقراطية والغربية شريطة عدم إثارة المسلمين مما يعمق مشكلة العنف ضد أمريكا!

وهذا يكشف عن غياب الموضوعية والمهنية في التقرير واتصافه بالتهور والتطرف عبر اقتحام باحثة غير موضوعية وغير كفؤة أصلا لمهمة مستحيلة، وهي تبديل الإسلام، وهي القضية التي أحجم عنها كبار المستشرقين التقليديين المتخصصين!

سنقف مع التقرير في محورين هما رؤيته للسنة النبوية، وكيف سيعمل على تحقيق رؤيته في واقع المسلمين؟

## رؤية التقرير للسنة النبوية:

ليس للتقرير موقف جديد من السنة السنوية بناء على اجتهاد من الباحثة، بل هو تكرار للمواقف السلبية القديمة للمستشرقين، وما اجترته مواقف المعاصرين من العلمانيين اليساريين والعصرانيين العرب والمسلمين.

يتبنى التقرير موقفا سلبيا من القرآن الكريم والسنة النبوية، لكنه يؤكد على ضرورة تجنّب الطعن والنقد للقرآن الكريم حاليا حتى لا يثير المسلمين ضد أمريكا، والتركيز على التعامل مع الحديث والسنة وتوظيفهما لصالح القيم الغربية وتبديل الإسلام.

ومع ذلك يسعى التقرير لتوظيف السنة للطعن بالقرآن الكريم، حيث يزعم أن عدم تطبيق النبي لبعض المباح أو المكروه يطعن بصحة بعضِ ما جاء بالقران كعدم ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم لزوجاته! وتناقَض التقرير مع نفسه عندما جعل فعل النبي للتعدد في الزوجات دليلا على خطأ التعدد الوارد في القرآن بدعوى أنه فعله لغايات سياسية مصلحية! مما يؤكد الغاية، وهي تحريف الدين.

التقرير نفى صفة النبوة والرسالة لصالح صفة المُصلح على النبي صلى الله عليه وسلم حتى تربط توجيهاته بعصره ووقته، وهي جزء من إيمانه بتاريخانية الإسلام والقرآن والسنة.

واعترض التقرير على الجانب التشريعي للسنة، ونفى قدرة السنة على اتخاذ موقف صارم أو قرار (تشريع).

وفي تعريفه للحديث شكك في اعتماد المنهج العلمي للتعامل مع السنة، كما أن التقرير يؤصل لفكرة توظيف السنة للدفاع عن قِيَم المدنية والديمقراطية وليس الإسلام والتوحيد، اتكاءً على قيام اتجاهات سابقة بوضع الحديث لمصالح سياسية! ولذلك جاء ملحق التقرير بعنوان (الحروب بين أحاديث السنة النبوية)، وادّعى التقرير أن مصداقية الحديث تعتمد على انتشاره وشعبيته وليس على موثوقيته العلمية، وهكذا أصبحت السنة النبوية ثقافة شعبية، لا وحيا ربانيا، وكل هذا تكرار لمزاعم المستشرقين السابقة.

شكك التقرير بالبخاري اعتمادا على موقع للقرآنيين، والشبهة التى طرحها التقرير سنة ٢٠٠٣ أصبحت متداولة اليوم عبر وسائل التواصل الاجتماعي، واعتبر الحديثَ أداة مشكوكا فيها وذات عيوب.

ويريد التقرير أن يمرر قيم العلمانية من خلال الحديث والسنة بغض النظر عن صحة الحديث من عدمه، وبغض النظر عن مسلك أهل العلم في الاستدلال المتمثل بعلم أصول الفقه والقواعد الفقهية بالاعتماد على أي رواية توافقه ظاهرية سواء صحت أم لا، أو دلت على ما يريد أم لا، وهذه الانتقائية تدل على أن الهوى هو مرجعيتهم وليس ما يتوافق مع مصادر الإسلام من القرآن والسنة وغيرهما.

ولكن التقرير ينصّ على أن توظيف السنة لتمرير العلمانية وضرب الفتاوى المضادة لها يكون بشكل ثانوي وتكتيكي حتى لا يرسخ شرعية السنة.

ولنجاح هذا التوظيف يلزم ضرب مكانة العلماء وكسر احتكارهم لشرح السنة وفتح المجال للجميع!

ويدعو التقرير لوضع قائمة بأحاديث مضادة لما يطرحه العلماء لتكون في متناول أنصار الديمقراطية! والاستفادة من جهود حركة الفقه الانتقائي التى مزجت بين التأويل الشرعي والقانون المدني، والتي تمت في عدة أماكن.

الخلاصة: شككت بينارد بالسنة واستشهدت بانتقائية منها، وأصّلت لتوظيفها لنشر الديمقراطية وقيمها، والإضافة التي قدمها التقرير على طعن المستشرقين السابقين بالسنة هي محاولة تطويع الإسلام وتطويره بالشكل

المناسب للغرب عن طريق التلاعب بالسنة ووضع سياسات وخطوات عملية لتنفيذ ذلك عبر التشريعات والقوانين والمؤسسات الرسمية وجعلها أداة ضمن استراتيجية الولايات المتحدة.

### ما هي الاستراتيجية المقترحة لتحقيق رؤية التقرير تجاه السنة في واقع المسلمين؟

تبيّن معنا أن غاية التقرير هي صنع إسلام يتواءم مع مصلحة الغرب من خلال فهم الإشكاليات في بُنيته نفسه ثم تعديلها! لأن التقرير ينطلق من مسلّمة مغلوطة، وهي مسؤولية الدين عن الإرهاب، فعزل الدين يؤدي إلى زوال الإرهاب.

ولكن حتى لا يُحدث ذلك أثرا جانبيا بزيادة العداء لأمريكا والمزيد من التطرف يلزم القيام بذلك من داخل الصف الإسلامي! وهذا يتطلب فحص قائمة الفاعلين في العالم الإسلامي واختيار الشريك المناسب منهم، ومن ثم دعمه وفسح المجال أمامه وإقصاء المخالفين من طريقه لتتم العملية بنجاح.

ويقسم التقرير الفاعلين في العالم الإسلامي إلى أربع فئات فكرية هي: العلمانيون، الأصوليون، التقليديون، الحداثيون، ووجد أن دعم تيار الحداثيين، بتمويلهم وفتح المنابر لهم ورعاية مشاريعهم، هو الخيار الأفضل والذي سيحقق رؤية راند بتوظيف السنة النبوية لتطويع الإسلام وتطويره ليوافق القيم الديمقراطية والليبرالية.

### فمن هم هؤلاء الحداثيون المعتدلون الذين يرشحهم التقرير لهذه المهمة؟

يكفي كي نفهم مقدار التحيز وانعدام الحيادية في هذه التقارير والمعايير التي تحكم مساره أن نلتفت إلى تعريف المعتدل عند مؤسسة راند، ففي تقرير بناء شبكات الاعتدال يقولون إن: «المسلمين المعتدلين هم الذين يؤمنون بالأبعاد الأساسية للثقافة الديمقراطية، وتشمل دعم الممارسة الديمقراطية وحقوق الإنسان المعترف بها دولياً (بما في ذلك المساواة بين الجنسين وحرية العبادة) واحترام التنوع، وقبول المصادر غير الطائفية للتشريع ورفض الإرهاب أو أي شكل غير مشروع للعنف".

وأورد تقرير الإسلام الديمقراطي خمسة نماذج للحداثيين المقترحين للدعم، وتبنى مواقفهم تجاه السنة النبوية وهم: محمد شحرور، فتح الله كولن، خالد أبو الفضل، شريف ماردين، بسام الطيبي، وهي خلطة غريبة لا يجمعها سوى انحراف كل الأسماء فيها عن جادة الصواب، وتناغمهم مع القيم المادية الغربية، وخطورة هؤلاء تكمن في أنهم يتسترون خلف شعار خدمة الدين لا عدائه!

أما تقرير «بناء شبكات الاعتدال» الذي شاركت فيه شيريل بينارد مع آخرين فهو تكملة لبناء استراتيجية دعم شركاء نافعين للمصالح الأمريكية خاصة، والغرب عامة، وأضاف هذا التقرير في فصل الحداثيين أسماء فاقعة مثل: نوال السعداوي وسعد الدين إبراهيم وعبد المجيد الشرفي، ومِن الأسماء في قائمة التقليديين المعتدلين يُطرح اسم جماعة الأحباش.

وغالب هؤلاء الحداثيين لهم موقف سلبي من السنة النبوية فمِنهم من لا يؤمن بمرجعيتها ومرجعية الشريعة الإسلامية كلها أصلا، ومنهم من يردّ السنة كلياً كالقرآنيين الذين استشهد بهم التقرير أو يقبل الأحاديث المتواترة فقط، أو ما يوافق القرآن، ويمكن أن يؤول ما يريده أيضاً، وهم يؤمنون بتاريخانية الإسلام والقرآن والسنة.

ولو أخذنا محمد شحرور كنموذج لفهم رؤيته للسنة النبوية سنجده يعرّفها بما يلي: «هي منهج في تطبيق أحكام أم الكتاب بسهولة ويُسر دون الخروج عن حدود الله في أمور الحدود أو وضع حدود عرفية مرحلية في بقية الأمور، مع الأخذ بعين الاعتبار عالم الحقيقة (الزمان والمكان والشروط الموضوعية) التي تطبق فيها هذه الأحكام»!! ويكفي معرفة هذا التعريف لنرى النتائج الكارثية التي ستنتج عنه إذا تولى تطوير الإسلام.

ولو تتبعنا دور سعد الدين إبراهيم في الطعن بالسنة النبوية سنجده ينظم ندوة بعنوان «الإسلام والإصلاح» في القاهرة في أكتوبر ٢٠٠٤م بالتعاون مع مركز دراسات الشرق الأوسط التابع لمعهد بروكنجز الأمريكي ومركز دراسات الإسلام والديمقراطية ومنبر الحوار الإسلامي بلندن شارك فيها عشرون شخصا، من أبرزهم محمد شحرور، الذي قدم التوصية الأبرز بالاقتصار على المرجعية القرآنية ونبذ السنة النبوية!

فهذه حقيقة موقف الحداثيين من السنة النبوية، والذين ستوكل لهم مهمة تطوير/ تطويع الإسلام للديمقراطية.

لكن التقرير يدرك أن الحداثيين يعانون من نخبوية وقلة في الموارد وعدم شعبوية مما يجعل تأثيرهم ودورهم هامشيا، ولتجاوز ذلك يقترح السياسات والخطوات التالية:

- خلخلة الوظائف والأدوار بين الفاعلين في الحقل الديني الذي يسيطر عليه التقليديون والأصوليون، وتبديل أنماط العلاقات السائدة بين هذه الاتجاهات لتصبّ في صالح الحداثيين، وبذلك يتم إضعاف الأصوليين.
- دعم الحداثيين مقابل التقليديين مع دعم العلمانيين بشكل فردي.
- ضرب التقليديين بالأصوليين، ويمكن الاستفادة التكتيكية من الأصوليين المعتدلين لضرب الأصولية المتطرفة.
- دعم التقليديين فيما يتوافق مع الرؤية الغربية، ويمكن جعلهم في الواجهة والطليعة لتمرير المشروع.
- العلمانيون -برغم تقاطعهم مع الغرب في القيم- إلا أن الماركسيين منهم يعادوننا سياسيا فيلزم عدم تقويتهم جماعياً، بل التعامل الفردي معهم.
- يتمثل دعم الحداثيين بنشر أعمالهم ودمج آرائهم في مناهج التعليم وفتح منابر الإعلام لهم وزيادة وجود الحداثيين في المؤسسات الدينية التقليدية.

من خلال هذا التعريف للاعتدال وللحداثيين المناط بهم تطوير وتطويع الإسلام تتكشف الحقيقة واضحة لكل ذي عينين، فهؤلاء الحداثيون أصحاب مشاريع هدامة في الغالب ومعادية للإسلام والقرآن الكريم والسنة النبوية، وهي مشاريع قديمة وليست حديثة، وهي سابقة على اهتمام مؤسسة راند، وبعض هذه المشاريع ينطلق من أرضية فكرية علمانية ماركسية ويسارية مخالفة لتوجهات «راند»، ولكن توصيات شيريل بينارد في هذا الصدد كانت تقديم الدعم الفردي لجهود ومشاريع بعض العلمانيين المخالفين، أي الماركسيين، لتتجنب أمريكا تبعات المواقف السياسية والأيدلوجية المناقضة لها من هؤلاء الماركسيين لو نجحوا في العالم الإسلامي، وفي هذا انتهازية واضحة، فالتقرير يريد توظيف الماركسيين ودعمهم ورعايتهم كأفراد لتطويع الإسلام لصالح أمريكا وليس لصالح الماركسية!

## توصيات ومقترحات:

هذه هي مخططاتهم وسياساتهم وخطواتهم معلنة واضحة من سنوات، وأخذ بعضها طريقه لعالم الواقع، فهل سنبقى في دائرة التشخيص أم ننتقل إلى دائرة الحل والعمل والعلاج؟

من المقترحات:

- عمل كشاف أو معجم للشبهات والطعون ضد السنة النبوية يشمل المواضيع والشخصيات حتى يسهل إرجاع الشبهات إلى أصولها وتفحص تطوراتها والجهات المتقاطعة في استغلالها وترويجها.
- عمل كشاف أو معجم للردود على الشبهات والطعون ضد السنة النبوية لتسهيل رد الشبهات وتفنيدها واستثمار المخزون المعرفي التراثي القيم والمبعثر.
- بناء منظومة فكرية تحصينية ضد الشبهات حول السنة النبوية من خلال دراسة وتحليل التراث المعرفي في رد الشبهات والأباطيل.
- عرض جوانب التميز والريادة والإبداع في تدوين السنة النبوية وعلوم الحديث بشكل بسيط وجذاب، ونشرها على نطاق واسع بين الأجيال الناشئة بأشكال متعددة: قصص، مقالات قصيرة، رسائل مختصرة لوسائل التواصل الاجتماعي.
- تطوير مناهج مداخل للسنة النبوية والثقافة الإسلامية العامة لطلاب الجامعات لتعالج الشبهات العصرية ضد السنة النبوية وتحصن الطلاب منها.
- حث طلبة الدراسات العليا على مناقشة المفاهيم والفرضيات والمشاريع العلمانية الطاعنة في السنة النبوية وتفنيدها.
- الانتقال من مرحلة رد الشبهات حول السنة النبوية إلى مرحلة تقديم مشروع حضاري عالمي اعتمادا على الوحي الرباني المتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

**المراجع والمصادر:**


- مراكز البحوث الأمريكية ودراسات الشرق الأوسط، د. هشام القروي، مركز نماء.
- عندما يكون العم سام ناسكًا، د. صالح الغامدي، مركز الفكر المعاصر.
- الإسلام الذي يريده الغرب، صالح الغامدي، مركز الفكر المعاصر.
- مؤسسة البحث والتطوير: رائد وموقفها من الدعوة الإسلامية، د. عبد الله بن محمد المديفر، مركز التأصيل للدراسات.
- الإسلاميون ومركز راند، بلال التليدي ود. عادل موساوي، مركز نماء.
- الإسلام الديمقراطي المدني، شيريل بينارد، مركز نماء.
- بناء شبكات الاعتدال الإسلامي، شيريل بينارد وآخرون، تنوير للنشر والإعلام.

# الإبراهيمية «وتأثيرها على الأقصى والقدس»

تزايد في المدة الأخيرة تداول مصطلح «الإبراهيمية» من جهات متعددة ومتباينة ولعل بعضها لا يعرف عن الآخرين ولذلك يكون هناك نوع تناقض واختلاف في طروحاتهم، لعل من أشهرها تسمية الرئيس الأمريكي السابق ترامب اتفاق الإمارات واليهود بـ (اتفاق أبراهام).

فما حقيقة هذا المصطلح؟وماذا يراد منه (توظيفه السياسي)؟وما الذي تم إنجازه في سبيل ذلك؟وما خطره وتأثيره على الأقصى والقدس؟

## حقيقة هذا المصطلح:

لكون الدين الإسلامي راسخ الجذور في قلوب وعقول أبنائه فقد فشلت كل محاولات القضاء عليه، ولم يجد خصوص الإسلام إلا التحول عن محاربته بشكل صريح كحال الشيوعية والإلحاد إلى محاربته بشكل ملتوٍ من خلال السعي نحو تحريفه والتي يسمونها تطويره! فظهرت عندنا مصطلحات «إسلام تقدمي وإسلام مدني وإسلام تنويري وإسلام حداثي»، وأيضا فشلت كل هذه المحاولات الغبية لاختراق الإسلام.

ولكن مكائد الأعداء لا تتوقف، ولذلك تم إحياء مصطلح الميثاق الإبراهيمي في عصرنا الحاضر والذي كان قد ظهر قديما في أوروبا سنة ١٨١١م، ثم استخدمه لويس ماسينيون في مقال سنة ١٩٤٩، ليعاد طرحه من جديد في العقود الماضية القريبة ويتم تطوير المفهوم وتوظيفه سياسيا.

يأتي مصطلح الإبراهيمية اليوم كامتداد لمسار طويل من توظيف الدين لأغراض سياسية غربية لتمرير ما عجزوا عن تمريره بالحرب أو السياسة المكشوفة، ويقف خلفه بشكل رئيسي اليوم اليمين المسيحي على وجه الخصوص والذي يتبنى المسيحية الصهيونية لتعجيل عودة المسيح وتحقيق نبوءاتهم بالخلاص والسيطرة على العالم.

واستخدام هذا المصطلح في الوسط الإسلامي اليوم يضاهي ظاهرة بروز

النفاق بعد الهجرة النبوية حيث قويت شوكة الإسلام فكان الحل الشيطاني إظهار الإيمان وإبطان الكفر والغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهو ما يتحقق اليوم حيث عجز الأعداء عن الانتصار الكامل على أمة الإسلام فألجأهم لحالة من النفاق من إظهار احترام الإسلام أو الدعوة للحوار والتعايش أو المناداة بالتجمع على قاسم مشترك وهو أبو الأنبياء (موسى وعيسى ومحمد) وهو إبراهيم عليهم جميعا الصلاة والسلام، وبالطبع لا علاقة لإبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام بهذه المزاعم المفتراة «ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين»، واستخدام مصطلح الإبراهيمية لا يعطى أي مشروعية أو تصحيح لهذا المشروع الخبيث.

ومن أبرز مظاهر النفاق في توظيف هذا المصطلح أنهم يسعون الآن لتوسيع دائرة الإبراهيمية لتخرج عن دائرة أهل الكتاب في المفهوم الإسلامي لتشمل طوائف وفرقا مارقة ومرتدة عند المسلمين كالبابية والبهائية والدروز والشبك، وملا من خارج دائرة أهل الكتاب كالصابئة المندائية والراستافارية! ولذلك هم يقولون إن ٥٦ ٪ من سكان العالم إبراهيميون، وفي هذا خطر كبير على الهوية الإسلامية بتذويبها في أوحال الشرك والوثنية والتحريف.

وفي هذا أيضا عبث خطير بعقيدة الإسلام وأحكامه، فالإسلام يعترف بصحة أصل دين أهل الكتاب قبل تحريفه، وتسمح أحكامه لذلك بالزواج منهم وأكل ذبائحهم بشروط معروفة دون سواهم من بقية الأديان، ولكن فرية الإبراهيمية تهدف للعبث بذلك وتسوية غير أهل الكتاب بهم من جهة!! وتسعى لشرعنة فرق مرتدة عن الإسلام ومعاملتها معاملة المسلمين!!

ولا يقف خطر مصطلح الإبراهيمية على هذا العبث بمفهوم وأحكام أهل الكتاب، بل يتجاوز ذلك بكثير عبر تقديم دعاة الإبراهيمية لرؤيتين لمفهوم الإبراهيمية، هما:

١-الحديث عن الديانات الإبراهيمية والتركيز على المشتركات فيها، ومعلوم أن الإسلام يعترف بنبوة عيسى وموسى عليهما الصلاة والسلام، والمسيحية تعترف بنبوّة موسى عليه الصلاة والسلام، بينما اليهودية لا تعترف بنبوة عيسى ولا محمد عليهما الصلاة والسلام، وبالتالي ستكون دائرة المشتركات

هـي اليهوديـة في الحقيقـة!! وقـد رأينـا بدايـة تطبيـق ذلـك مـن خـلال إنشـاء مجمـع العائلـة الإبراهيميـة في أبـو ظبـي، والـذي سـيفتتح سـنة ٢٠٢٢ حيـث يضـم مسـجدا وكنيسـا وكنيسـة، وقـد شُـيّد في أبـو ظبـي معبـدٌ هنـدوسيٌ في عـام ٢٠١٧، ومعبـدٌ سـيخيٌ في دبي، ونُصـب تمثـال لبـوذا في طريـق رئيـسي أيضـا، وقـد سـبق للرئيـس المـصري السـابق أنـور السـادات أن دعـا لإنشـاء مثـل هـذا المجمـع في سـيناء!

٢- الديانـة الإبراهيميـة الموحـدة، بحيـث يتـم صهـر الأديـان الثلاثـة وبقيـة النحـل والفـرق في ديـن جديـد، ولـه كتـاب مقـدس جديـد مسـتخلص مـن الكتـب المقدسـة المتفرقـة!

فالمطـروح هـو نـزع القداسـة عـن القـرآن الكريـم والإنجيـل والتـوراة وعـن الأماكـن المقدسـة في الديانـات الثـلاث ومنحهـا فقـط لمـا يتـم إقـراره مـن مفاهيـم ومبـادئ كمشـترك إبراهيمـي بينهـم! وإضفـاء صفـة القداسـة فقـط عـلى المراكـز الإبراهيميـة!

## التوظيـف السـياسي للإبراهيمية:

مـا سـبق هـو المضمـون الدينـي للإبراهيميـة، لكـن القصـة لا تقـف عنـد الجانـب الدينـي، بـل بعـد أن قامـوا بتلفيـق هـذا الديـن المخـترع جـرى العمـل عـلى اسـتغلاله لتمريـر أجنـدات سياسـية تصـب في صالـح دولـة اليهـود وذلـك بالتعـاون والتكامـل مـع مبـادرات مشـبوهة أخـرى مثـل اتفاقيـة الأمـم المتحـدة بشـأن الشـعوب الأصليـة والقبليـة في البلـدان المسـتقلة.

أبدعـت الدكتـورة هبـة جـمال الديـن، الباحثـة في الدراسـات المسـتقبلية بمعهـد التخطيـط المـصري، بكشـف أبعـاد التوظيـف السـياسي للإبراهيميـة في عـدد مـن المقـالات والأبحـاث واللقـاءات الإعلاميـة المصـورة والمكتوبـة، ويمكـن تلخيـص أهـم معـالم هـذا التوظيـف السـياسي كـما ذكرتـه عـبر النقـاط التاليـة:

- بعـد فشـل أو عـدم تقبـل نظريـة صراع الحضـارات التـي نـادى بهـا هنتنجتـون، ونظريـة نهايـة التاريـخ لفوكويامـا، بـرز في مجـال العلاقـات الدوليـة نهـج جديـد يدعـو للتسـامح العالمـي، والأخـوة والحـب والوئـام الإنسـاني، وأن مسـتقبل العـالم سـيرتكز عـلى السـلام العالمـي الـذي سـيتحقق عـبر الديانـات

الإبراهيمية والعقائد المتداخلة، كمدخل جديد لحل النزاعات في العلاقات الدولية.

ومن أجل إقناع الناس -والمسلمين على وجه الخصوص- بالحاجة لدين جديد = الإبراهيمية روجوا أن الصراع بين الأديان عنيف كالصراع اليهودي الإسلامي، والصراعات بين طوائف الدين الواحد أعنف كالصراع الشيعي السني أو الصدام مع داعش والقاعدة، ويؤكدون من خلال دراسات مختلفة أن أكثر الأديان إنتاجاً للصراع هو المسيحية ثم الإسلام، ويرون أن الحل عمليًا هو تصفية هذه الأديان والسعي لدين جديد يقوم على القيم الإبراهيمية المشتركة، مثل المحبة والإخاء ... إلخ، مما يعني أنهم يحاولون خلق جيل كارِه للأديان بوضعها الحالي، وبالتالي يكون مهيأً لقبول فكرة الدين الجديد ولعل في ذلك نوع تفسير لتصاعد ظاهرة الإلحاد.

لذلك حرصت السياسة الدولية على رعاية تصاعد الصراع الشيعي السني في العراق ونقله جزئيا لبعض الدول كالبحرين واليمن دون السماح لطرف بحسم الصراع، وهو ما تكرر أيضا في قصة داعش حيث كانت السياسة الدائمة لدى الأطراف الدولية والطائفية المحلية هي رعاية وجود داعش وتسليطها ضد الدول والحاضنة السنية بشكل كبير جداً.

وحتى مع مجيء مرحلة الربيع العربي لم يسمح للثورات بالانتصار وتحقيق الازدهار، بل أرغمت على دخول دوامة الحروب الأهلية أو النكوص، لإبقاء الدول والمجتمعات في دوامة مهلكة مما يسهل تقبل الإبراهيمية كحل!

وقد أفرزت تلك الحروب والصراعات ظاهرة العزوف عن المتدينين عند بعض القطاعات أو الانتكاس لبعض الرموز الدينية وتفاقمت عند البعض لتصل إلى مرحلة الردة عن الإسلام كما حصل لبعض ضحايا الإجرام الطائفي والداعشي وقمع الثورات، وقد رصد الفيلم الوثائقي لقناة الجزيرة «في سبع سنين» بعض جوانب تلك الظاهرة، ويماثلها في الوسط الشيعي العربي حالة المعمم إياد جمال الدين، الذي لم يبق له من الدين إلا زيه فقط! أما في إيران فهناك تصاعد كبير للإلحاد بين الشباب.

■ لأن الصراع في الشرق الأوسط ذو بعد ديني يهودي - إسلامي، فإن علاجه لا بد أن يكون من خلال الدين! ولكون الصراع بين طرفين يهودي ومسلم

ووسيط أو حليف مسيحي فإن البحث عن جذر ديني مشترك يقود لإبراهام= إبراهيم ليكون محور الارتكاز!

- ومن أجل تحقيق هذا السلام العالمي فإنه ينبغي سلوك طرق غير تقليدية، ومنها ما يُعرف بدبلوماسية «المسار الثاني» أو «المفاوضات غير الرسمية»، التي تجمع رجال الأديان الثلاثة معًا بجانب الساسة والدبلوماسيين لترجمة المشترك الديني على الأرض، وسميت «بالدبلوماسية الروحية»، وقد أسس لها مكتب في الإدارة الأمريكية سنة ٢٠١٣، وكانت الإدارة الأمريكية منذ سنة ١٩٩٠م قد أقرت برنامج أبحاث الحرب والسلام!!
- وتقرر الاعتماد على رموز التصوف لقيادة هذه الدبلوماسية الإبراهيمية بعد استبعاد رموز الإسلام السياسي الذين احترقت ورقتهم.

ورموز التصوف الذين يوظفون في ترويج هذه الديانة الإبراهيمية المخترعة لا يقتصرون على صوفية المسلمين بل كل الصوفيين في الديانات الأخرى، خاصة أن عقيدة وحدة الوجود عقيدة مركزية في التصوف ويعتنقها كثير من القيادات الصوفية اليوم، وهذه العقيدة الصوفية لا يقتصر تأثيرها على المتدينين في كل دين بل تمتد لتشمل الملحدين في وحدة الوجود!!

ومن تطبيقات ترويج الإبراهيمية ومقدماتها زيارات علي الجفري وعلي جمعة للمسجد الأقصى قبل عدة سنوات دون مبرر واضح، ولكن تصريح علي الجفري لاحقاً في مؤتمر صوفي في السودان بأنه يحب اليهود، لعله يكشف عن طبيعة التوظيف السياسي المطلوب أن يقوم به في المجتمع الصوفي الإسلامي من خلال كسر حاجز العداوة لليهود سواء بسبب عقيدتهم الكفرية التي تعتدي على المقدسات جميعاً (الله عز وجل، الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الكتب السماوية، الملائكة الكرام) أو من خلال عدوانهم واحتلالهم لفلسطين وشعبها أو سرقة كثير من خيرات الشعوب والأمم الأخرى.

ومن تطبيقات ذلك أيضا عقد الملتقى العالمي الثاني سنة ٢٠١٧م بعنوان: التصوف والدبلوماسية الروحية، الأبعاد الثقافية والتنموية الحضارية، في المغرب.

### الخطوات المنجزة في هذا المخطط الإبراهيمي:

هذه الأفكار كما تقول د. هبة ليست شطحات خيال بعض الحالمين أو المتهورين كالرئيس ترامب، لا، بل هي استراتيجية تنظر وتؤصل لها مراكز دراسات أمريكية في جامعات عريقة مثل هارفارد وغيرها، وتحتضن هذه الاستراتيجية وزارة الخارجية الأمريكية منذ سنوات طويلة، وهذه الفكرة مدعومة من المحافظين والديمقراطيين في أمريكا، ولذلك صار تداولها في تصريحات الساسة أمرا متكررا، فوزيرة الخارجية الأمريكية السابقة هيلاري كلينتون عملت منذ عام ٢٠١٣م على تسويق هذه الفكرة، هي والرئيس باراك أوباما، وأشار للإبراهيمية كوشنير في مقابلة مع محطة سكاي نيوز في ٢٠١٩م، وممن صرح بها توني بلير رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، وقد أصبحت هذه السياسة الإبراهيمية قيد التنفيذ، ومن الأمثلة العديدة على ذلك:

١- صندوق النقد الدولي قدم تقريرا عن المشترك الإبراهيمي في عام ٢٠٠٠. وفي تبرير اهتمام الصندوق بمثل هذه القضايا الدينية والسياسية يقولون: إن مهمة الصندوق تحقيق التنمية المستدامة، ولما كان العالم بحسب حالة التنمية ينقسم فعليا إلى قسم نجح في تحقيق التنمية المستدامة وهو نصف العالم العلماني، أي الغرب، أما النصف الآخر وهو العالم المتدين الذي فشل في تحقيق التنمية، وفشلت آلية الحوار بين الأديان التي اعتمدت عقب الحرب العالمية الثانية، فقد حان الوقت لمساعدة العالم المتدين الذي فشلت أديانه في التنمية عبر تقديم دين مشترك جديد له.

ويقوم الصندوق وعبر «أسر السلام» و«الحوار الخدمي» التي تؤمن بالإبراهيمية بتقديم الخدمات والمساعدات للمجتمعات مما يحقق إقبال الناس على الإبراهيمية، الدين الذي يحقق السلام والتنمية!!

ومن مشاريعهم التي قاموا بتنفيذها تطهير غور الأردن من الألغام باعتباره أحد مقاصد السياحة الدينية الإبراهيمية المشتركة!

وكحملات مكافحة الملاريا بأفريقيا، وشن حملات إغاثية عقب الكوارث الطبيعية للبشر المتضرّرين في أماكن الصراع، حيث تتحول الدبلوماسية الروحية إلى خدمات ملموسة يشعر بها المواطن، وتجعل ولاءه للطرح الجديد

للديانة الإبراهيمية.

ويترافق هذا الدور الخدمي العالمي للصندوق مع الدين الجديد العالمي بالتضييق على المؤسسات الإسلامية الخيرية من جهة، ودعوات السيطرة الرسمية على فريضة الزكاة وعدم الاقتصار على المصارف الشرعية لها، ولعل من نماذج الخدمة التنموية الإبراهيمية المستحدثة برنامج «قلبي اطمئن» الذي يقدمه شخص مجهول يعرف بـ «غيث الإماراتي»، حيث تكثر فيه عبارات الإنسانية دون أن يعرف أحد مَن المتبرع الحقيقي ولا غرضه من كل هذا التصوير المحترف إذا كان حريصا على الإخلاص والسرية!!

٢- الأمم المتحدة أصدرت تقريرا عن تعاون الحضارات في عام ٢٠٠١، ومن ثم عقدت أول اجتماع للقادة الدينيين سنة ٢٠٠٥ للتمهيد لانخراط رجال الدين في تفاوض دبلوماسي قبل تفاوض الساسة الدبلوماسي!

٣- قام «المركز الدولي للدين والدبلوماسية»، أحد مراكز الدبلوماسية الروحية، بتطوير مناهج ١٦٠٠ مدرسة في باكستان. ونظم المركز ذاته في مصر حلقات دراسية في القاهرة تجمع بين القادة السوريين لمساعدتهم في حل خلافاتهم، وأسهم في تدريب وتأهيل اللاجئين السوريين أيضاً في عام ٢٠١٢.

٤- أصدر معهد «بروكينجز الدوحة» في عام ٢٠١٣، تقريرا حمل عنوان «الدين والدبلوماسية».

٥- اختراق المؤسسات الثقافية والجامعية لترويج الدعاية اليهودية أنهم أصحاب الديانة الأولى في العالم، وأنهم أصحاب حقوق تاريخية في القدس، بل وفي فلسطين، وأنهم أصحاب الأرض، وأن القدس مدينة يهودية. مثل:

- شراء كراسي أستاذية في الجامعات الكبيرة المتخصّصة لتدريس ما يسمونه بـ «التاريخ والثقافة والحضارة اليهودية».
- تأسيس قسم في المتحف البريطاني عن قدماء الإسرائيليين؟!
- تقديم دورة دراسية في جامعة فيرجينيا، بالتعاون مع منظمة «اتحاد أبناء إبراهيم» باسم «تحجّر أرض فرعون»، ومضمون الدراسة أن المصريين مسؤولون عن قتل اليهود على يد فرعون، ويجب أن يدفعوا ثمن هذا الجُرم.

٦- تأسيس التحالف الدولي للحرية الدينية بأمريكا سنة ٢٠١٩ والذي يصب

في صالح اليهودية ومحاصرة الأنشطة الإسلامية بدعوى التشدد والإرهاب.

### خطر الإبراهيمية وتأثيرها على الأقصى والقدس:

تشكل الإبراهيمية خطرا على المسجد الأقصى والقدس على عدة مستويات ومن عدة نواحٍ كما يلى:

١- تسعى الإبراهيمية لنزع القداسة الإسلامية عن المسجد الأقصى خصوصًا، وفلسطين عمومًا، وإسباغها على رموز وأماكن تنتسب للإبراهيمية.

ونزع القدسية الدينية عن الأقصى والقدس خطر كبير يفتت وحدة موقف المسلمين تجاه نصرة المسجد الأقصى والقدس وفلسطين، مما يجعل الفلسطينيين دون سند شعبي خارجي مما يسهل لليهود القضاء عليهم. والدعم الشعبي الإسلامي للأقصى والقدس -رغم أنه تم إضعافه بشكل كبير- إلا أنه ما يزال يمنح المسجد الأقصى والقدس وفلسطين قوة معنوية كبرى يخشى اليهود وأنصارهم من تحررها بشكل مفاجئ، ومن أجل ذلك تقوم محاولات التطبيع المحمومة والمصاحبة للإبراهيمية بتزييف وعي الجماهير المسلمة عبر استغلال الصراعات والخلافات السياسية بين الأنظمة العربية والمسلمة للتسلل منها لكسب التعاطف مع اليهود بدلا من المسلمين في فلسطين، وقد نجحوا في ذلك مع بعض المجموعات من الشباب الخليجي والعربي مع الأسف حيث أخذوا يصرحون بمحبة اليهود وعدم اكتراثهم للقضية الفلسطينية.

ومن محاولات نزع القدسية عن الأقصى والقدس دعوى يوسف زيدان قبل سنوات أن المسجد الأقصى هو مسجد الخيف في مكة!!

٢- محاولة طمس مركزية القدس الوطنية وأنها عاصمة فلسطين السليبة، حيث حاولت منظمة الأونروا حذف عبارة «القدس عاصمة فلسطين» من مناهج التعليم من الصف الأول إلى الرابع الابتدائي واستبدالها بعبارة «القدس المدينة الإبراهيمية»، وقد رفض الفلسطينيون تلك التغييرات ولم يسمحوا لها أن تتم، وذلك في بداية استلام ترامب للحكم!

والعبث بالمناهج مخطط هادئ ومستمر وفاعل في معظم الدول المسلمة، هدفه تغيير الفكر وتصفية القضية الفلسطينية من الجذور عبر سنوات

طويلة، فالأجيال الجديدة لن يكون في فكرها المطالبة بفلسطين أو القدس كعاصمة لها من الأساس، فضلا عن ترسيخ فكرة تجريم مقاومة الاحتلال اليهودي والصهيوني للأقصى والقدس وفلسطين.

٣- تصاعد الدعوات، كدعوة مؤسسة «أبناء إبراهيم» -وهي من المؤسسات المعنية بالدبلوماسية الروحية- لإعطاء الشعوب الأصلية حقوقها، من باب الدعوة للعدل ونصرة المظلوم، وبالطبع هنا يتم توظيفها من خلال منح اليهود فلسطين باعتبار كاذب أنهم أصحابها الأصليون! وليس الفلسطينيون القادمون من تكريت وبلجيكا! وهي فرية سخيفة.

وقريب منها محاولة اليهود اعتبار دولتهم دولة يهودية لا وجود لغير اليهود فيها، مما يقتضي ترحيل كل العرب الفلسطينيين الباقين في فلسطين من أرضهم، وهذا خطر وجودي على الأقصى والقدس وفلسطين.

وقد قام قس كوري من دعاة الإبراهيمية بإصدار كتابٍ بعنوان «القدس الجديد» من أجل ترويج فكرة الحاجة لدين عالمي وواقع إبراهيمي جديد بالكامل للقدس، ولهذا القس صلات وزيارات دعائية متعددة لنخب مصرية لترويج فكرته بينهم.

وأيضا ادعاؤهم أن اليهودية هي أقدم الديانات في القدس مما يجعلها الأحق بها، ومعلوم أن أقدمية اليهود في فلسطين خرافة لأن كل الكتب السماوية -حتى التوراة- تنصّ على أن اليهود طارئون على فلسطين وحاربوا أهلها إذا أردنا اعتماد معيار الأقدمية التاريخية فحسب!!

ويلحق بهذا مطالبة اليهود الدول العربية بتعويضهم تعويضات ضخمة عن هجرة اليهود منها باعتبارهم من السكان الأصليين!! حيث قام عدد من ضباط الموساد الإسرائيلي بنشر مطالبات تنادي بالحقوق التاريخية لليهود وتأسيس جمعيات بالدول العربية ترفع شعار إحياء التراث اليهودي!! وذلك لإضعاف موقف الدول العربية في وجه التغول اليهودي المتعاظم والرافض لأي تسوية أو تنفيذ لاتفاقيات تمت.

٤- ومن الأمور المهمة التي نبهت على خطورتها د. هبة استخلال السياحة لطرح اليهود وأنصارهم روايتهم المزعومة بأحقية ملكهم لفلسطين والمقدسات فيها من خلال استغلال قصة المسار الإبراهيمي (رحلة إبراهيم)

بين الدول، وهي تقوم على مزاعم التوراة التي ثبت تحريفها والتلاعب بها، حيث أن هذا المسار المزعوم هو تقريبا يماثل الأطماع اليهودية لإسرائيل الكبرى! ومن جهة أخرى هناك مطالبات بنزع ملكية المسار من الدول والشعوب الموجودة وتدويلها!

ومن تطبيقات هذا المسار الخبيث تأسيس «مؤسسة اتحاد مسار إبراهيم الخليل» التابعة لوزارة السياحة الفلسطينية سنة ٢٠٠٤، وعقب إثارة خطر الإبراهيمية مؤخرا تنبهت الوزارة لهذه المؤسسة وبعد فحص عملها تبين أنه يتبنى الرواية التوراتية ويرسخ مزاعم اليهود في فلسطين! فتم إيقاف ذلك وتعديل الاسم والمضمون ليحافظ على الحقوق الإسلامية والفلسطينية في فلسطين والمنطقة.

وقد كانت حذرت وزيرة السياحة الأردنية قبل سنوات من قيام السياح اليهود القادمين للأردن بدفن بعض الآثار اليهودية في مناطق أثرية أردنية ليصار لاحقا اكتشافها والزعم بأحقية اليهود بهذه المناطق الأردنية!

وقريب من هذا صدور كتاب «التوراة الحجازية» لطبيب لبناني مغمور يزعم فيه أن التوراة عربية ومكتوبة بلهجة حجازية منقرضة! وأن غالب قبائل السعودية اليوم هم من نسل بني إسرائيل، وأن المسجد الأقصى هو الحرم المكي!

وهذا كله يصب في مزاعم أحقية اليهود بكل المقدسات الإسلامية والأراضي العربية ويساهم في تفتيت الهوية الإسلامية والعربية ويدمج اليهود في العرب في مخطط خبيث ورهيب.

٥- بينما ينشغل المسلمون بمزاعم الإبراهيمية وإنشاء معابد لليهود والنصارى والسيخ والهندوس والبوذيين في بلادهم، يواصل قطعان اليهود الاعتداء على المسجد الأقصى، كما شاهدنا منذ بداية شهر رمضان لهذه السنة ٢٠٢١م، وهم لا يخفون نواياهم ومخططاتهم من السعي للسيطرة التامة على المسجد الأقصى وتحويله إلى معبد يهودي خالص.

فهذا التضليل والإلهاء للسلطات العربية والإسلامية وقطاعات من الشعوب العربية والإسلامية بحجة الإبراهيمية هو خطر ماحق على وجود المسجد الأقصى حيث يترك وأهله وحيداً أعزلَ في مواجهة مخططات دولية رهيبة.

**العمل المطلوب:**

١- توعية الجميع من الساسة والنخب والجماهير بخطر وأكاذيب الإبراهيمية المفتراة.

٢- بما أن بعض المتورطين في سياسات ومواقف تخدم الإبراهيمية يجهل تلك المآلات، فيجب التواصل معهم وتنبيههم وكسبهم لصف الأقصى وفلسطين قدر الإمكان.

٣- التصدي الحازم لكل المخططات والخطوات الإبراهيمية أولا بأول، وهذه مسؤولية الأنظمة العربية ثم القوى الشعبية المنظمة.

٤- إذا لم يمكن الوصول للوحدة على مستوى الفصائل الفلسطينية أو الأنظمة العربية، فعلى الأقل لتكن هناك وحدة موقف واتفاق عمل على مقاومة الإبراهيمية ممن يقبل ذلك.

تحصين الأجيال بالرؤية الصحيحة للقضية الفلسطينية التي تقوم على أسس شرعية عادلة وعدم ترك الناشئة للفراغ أو السرديات المضللة.

# الفرق الضالة خطر متجدد

لا يزال التيار الإسلامي يقع في مطبّات متكررة بسبب تنكّبه منهج العلم السليم والعمل تبعاً للعواطف والظنون! ولذلك من القواعد الكبرى التي أدركها السلف ما عبّر عنه الحسن البصري بقوله: «العامل على غير علم كالسائر على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح. فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بترك العبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بترك العلم، فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولو طلبوا العلم لم يدلّهم على ما فعلوا» وهو هنا يعني الخوارج.

وبسبب الحركة والعمل بدون علمٍ كافٍ أو علم صحيح اغترّ كثير من الناس بتنظيم القاعدة وأخواته كداعش، حيث أيدها وتعاطف معها قطاع واسع اغتراراً بالشعارات البراقة والمواد الإعلامية الاحترافية من الأناشيد والاستعراضات العسكرية، في تغاضٍ عن محاكمة هذه التنظيمات لأفكارها الغالية والمتطرفة أو لواقعها الأسود في الكثير من البلاد، حتى سالت بسببها سيول من دماء الأبرياء والشرفاء، وضاعت -بسببها- لصالح الأعداء الكثير من المكاسب والإنجازات التي بذل في تحصيلها آلاف الأرواح المباركة بإذن الله.

كما وجدنا -بسبب خلل العلم والعمل على غير هدى- انخداع قطاع واسع من التيار الإسلامي بالشيعة على مدى عقود طويلة، وقد تسبب ذلك بكوارث كثيرة على واقع المسلمين، ولعل من أبرز النماذج على هذا الانخداع بالشيعة اعتراف الشيخ القرضاوي والدكتور النفيسي بذلك وإعلانهما البراءة من تأييد الشيعة وكذبتهم التقريب والوحدة بين السنة والشيعة. والعجيب أن ينخدع رموز كبيرة وتيار واسع بمثل هذه الفرق الضالة والمناهج المنحرفة برغم التحذير النبوي من خطر هذه الفرق والانحرافات على سبيل أمة الإسلام، فعن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، قال: كنّا

جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج علينا من بعض بيوت نسائه، قال: فقمنا معه، فانقطعت نعله فتخلف عليها علي يخصفها، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضينا معه، ثم قام ينتظره وقمنا معه، فقال: «إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلتُ على تنزيله»، فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر فقال: «لا، ولكنه خاصف النعل»، رواه أحمد، وصحّحه الألباني.

فالنبي صلى الله عليه وسلم يخبرنا أن القتال مع أعداء الإسلام سيكون دفاعاً عن تنزيل القرآن، ودفاعاً عن تأويل القرآن، فالمشركون والفرس والروم حاربوا الإسلام والمسلمين منكرين الرسالة والنبوة والوحي والقرآن، وهذا قتال قاده النبي صلى الله عليه وسلم وخلَفه فيه أبو بكر وعمر وبقية الخلفاء والأمراء، وهو قتال مع الكفار الأصليين.

وقتال آخر حول تأويل القرآن والإسلام مع من يدّعون الإسلام من المنافقين والفرق الضالة، وتجسد أول ما تجسد في قتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الخوارج، ومن ثم خاضت الأمة معارك طويلة وعديدة مع فرق أخرى كالقرامطة والعبيديين والصفويين والنصيريين وغيرهم.

وفي عصرنا الحاضر تخوض أمتنا كلتا المعركتين معاً، معركة التنزيل وصحة وسلامة الوحي الرباني مع تيارات العلمنة والإلحاد والمستشرقين وأفراخهم، ومعركة التأويل مع موجات التطرف والغلو والتشيع والتأويل العلماني الحداثي والباطني والفرق الضالة كالقرآنيين، والفرق الكافرة كالبهائية والقاديانية، وغيرهم.

ولكن معركة التأويل الباطل للقرآن والإسلام مع الخوارج والشيعة لا تقتصر على العدوان الفكري عبر منظوماتهم الدعائية والإعلامية بل هم في نفس الوقت يشنون عدوانا دموياً على أمة الإسلام، طال عددا من الدول، ومنذ عدة سنوات قُتل نتيجة عدوانهم ما يزيد عن مليون من المسلمين بخلاف ملايين الجرحى والمصابين والأيتام والأرامل والنازحين والمهجّرين.

إن ما قام به الشيعة والخوارج من عدوانٍ بشعٍ على الثورتين العراقية والسورية هو عدوان مشترك، وتتمثل خطوطه الكبرى في ما يلي:

١- تكفير عموم المسلمين هناك بسبب عدم اتباعهم لهم، فمن لم يصدّق

بخليفة الدواعش البغدادي كفّروه، ومن لم يؤمن بإمامة مهدي الشيعة الخرافي كفّروه!

٢- قتل عموم الناس لذلك السبب، بالمتفجرات والقنابل والاغتيالات والاحتلال والتعذيب.

٣- التدمير المقصود والممنهج لمدن المسلمين وبُنيتها التحتية.

٤- التهجير القسري للناس من مدنهم وبيوتهم لتغيير التركيبة السكانية وتوزيعها.

٥- استقطاب بعض الناس لمنهجهم المنحرف والضال وخاصة من الصغار والفقراء.

٦- تكوين تنظيمات تكفيرية وإرهابية ممن استقطبوهم في كل بلدٍ وصلوه.

وإن هذا العدوان من الشيعة والخوارج على أمة الإسلام سيستمر منهم في كل زمان ومكان بحسب قوتهم وقدرتهم، وهذه هي حقيقة معتقدهم وموقفهم من المسلمين.

وإن استمرار التيار الإسلامي في التعاطف والتهادن والتعامل مع هذه الفرق الضالة وعدم اعتماد منهج العلم الصحيح في محاكمة هذه الفرق إلى عقائدها الحقيقية في التاريخ والواقع، وإلى واقعها الأسود في القديم والحديث لن ينتج عنه إلا توالي الكوارث والمصائب.

وإن بقاء بعض السلفيين في عماية وجهل عن سجل كوارث تنظيمات العنف والغلو في القديم والحاضر على مستوى الأفكار أو الجرائم الإرهابية، هو بسبب انخداعهم ببعض المفترين والمنحرفين كالمقدسي والفلسطيني والمحيسني والظواهري وغيرهم، ولن يستفيقوا إلا بعد وقوع الكوارث وإسالة الدماء وتضييع الجهاد وتشويه الإسلام والتضييق على الدعوة وتمكين العلمانية!

ومن هنا فإن معرفة ضلال هذه التنظيمات وغلوّها وانحرافها في التكفير واستحلال الدماء وحقيقة إجرامها في كثير من الساحات هي السبيل لقطع الانغرار بهم مستقبلا، فلا يجوز لمن يدّعي نهج السلف الانخداع بالسفهاء والحدثاء في كل مرة ومع كل أزمة تواجه الأمة، ونبقى نقع في فخ الجواسيس من أمثال أبي القعقاع قولا غاصي أو أبي محمد الجولاني.

أما إخواننا في جماعة الإخوان المسلمين فكفاكم انخداعا أو تلاعبا في قضية

العلاقة بالشيعة وإيران، فقد شاهدتم جرائمهم بحق المسلمين عموما وبحق أفرادكم، فمن تأييد إيران للأسد الهالك ضدكم في حماة ١٩٨٢، إلى تزعّم محاربة الثورة السورية وتجييش كل المليشيات الشيعية الطائفية للقتال وارتكاب أبشع المجازر بحق الأبرياء، أما في العراق فقد أدار الولي الفقيه حرباً طائفية وحشية ضد سنة العراق عبر أذنابه في الحشد الشعبي والمليشيات الشيعية من قبل، وفي مصر سرعان ما غدر بكم الملالي وأيّدوا الإطاحة بحكم الرئيس مرسي.

ومع ذلك لا يزال بعضكم في العراق يخدم ملالي طهران بكل محبة وإخلاص دون نكير من القيادة! وفي مصر وغزة لا يزال البعض يرى في عمامة الولي الفقيه حليفا استراتيجياً يستحق المدح والتمجيد بالكذب!

وهناك مواقف غائمة لتنظيماتكم في كثير من الدول تجاه المشروع الشيعي العدوانى والتوسعي، ولعل إخوان سوريا وبعض الخليج هم مَن لهم موقف معلن ضد المشروع الشيعي الإيراني، لكن يخرب عليه السكوت عن الموقف الإخواني المالئ للملالي مما يربك المراقب من حقيقة موقف الإخوان من عدوان طهران، فهل من يقتلني وأهلي في العراق وسوريا واليمن والبحرين والسعودية ولبنان ويسكت عن هجمات اليهود في دمشق ويعقد صفقات مع الأمريكان ويتحالف مع روسيا التي تقتلني وتنسّق مع نتياهو، يصلح أن يكون حليفا لي في غزة والقاهرة!!

إن هذه الفرق من الخوارج والشيعة أضرّت بالمسلمين في هذه السنين القليلة ضررًا فادحا لن تتعافى منه الأمة بسهولة، خاصة إذا بقي هذا الخلل العلمي في قيادة العمل الإسلامي مستمراً تجاه هذه الفرق وما يشابهها.

إن الوعي لخطورة معركة التنزيل للقرآن الكريم شرط لتجاوز المحنة، إن تاريخ أمتنا مع هذه الفرق تاريخ أسود بغيض، سواء تاريخ حركات وثورات الخوارج المتكررة عبر الزمن، والتي جعلت وهب بن منبه يحذر من كارثية قوة وعلو الخوارج فقال: «ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض، وقطعت السبل، وقطع الحج عن بيت الله الحرام، وإذن لعاد أمر الإسلام جاهلية حتى يعود الناس يستعينون برؤوس الجبال كما كانوا في الجاهلية»، وقارِن هذا بحال الرقة ودير الزور والموصل ماذا حلّ بها لما

تمكـن منهـا الدواعـش الخـوارج!

وإن تاريـخ أمتنـا مـع الشـيعة تاريـخ يقطـر بالـدم مـن خياناتهـم وغدرهـم، فقـد احتـل القرامطـة الكعبـة وسرقـوا الحجـر الأسـود وقتلـوا الحُجّـاج وعطلـوا الحـج، والفاطميـون العبيديـون نـشروا الفسـاد في تونـس ثـم مـصر وسـلّموا بيـت المقـدس للصليبيـين، والصفويـون ملـؤوا الدنيـا ظلـما وتكفـيرا عندمـا احتلـوا إيـران السـنية فشـيّعوها بالقهـر والقتـل.

إن خطـر الخـوارج والشـيعة خطـر متجـدد خاصـة في هـذه المرحلـة التـي يسـتمتع فيهـا قـادة الكفـر في العـالم بمـا تقـوم بـه هـذه الفـرق الضالـة مـن تدمـير وتخريـب لبـلاد الإسـلام بمـا يرفـع عنهـم التهمـة والتبعـة، فهـل يعـي قـادة التيـار الإسـلامي خطـورة ذلـك، ويسـعون لنـصرة دينهـم وبلادهـم وأنفسـهم بالوعـي بخطـورة الركـون والتحالـف مـع هـؤلاء مهـما كانـت الظـروف سـيئة ومهـما كانـت الأحـوال سـيئة؟ وقـد ثبـت أن كل مـن جـرّب التهـادن معهـم أو التحالـف معهـم بقصـد الاسـتفادة منهـم أو توظيفهـم لمصلحتـه مـن الجماعـات الإسـلامية خـرج خـسِرًا ومخدوعـاً.

وأخـيرا نذكّركـم بقولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «لا يلـدغ المؤمـن مـن جُحـر واحـد مرتـين» متفـق عليـه، وكـم لُدغتـم مـن الشـيعة والخـوارج يـا قـادة الحـركات الإسـلامية ورموزهـا؟!

يـا معـشر العلـماء يـا ملـح البلـد  مـا يصلح الملح إذا الملح فسـد

# عندما يكون العم سام ناسكاً!

## دراسة تحليلية نقدية لمواقف مراكز البحوث الأمريكية عن الصوفية

صدرت هذه الدراسة المتميزة حديثاً عن مركز الفكر المعاصر بالرياض في مطلع سنة ٢٠١٥م، وهي في الأصل رسالة دكتوراه تقدم بها الدكتور صالح بن عبدالله الحساب الغامدي لقسم الدعوة والثقافة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في عام ١٤٣٥هـ.

هذا الكتاب يقوم على أربعة محاور هي: الاستشراق والمستشرقون، مراكز الدراسات الأمريكية، السلفية، الصوفية والصوفيون، وقد عرّف بهم واستعرض نشاطهم وجانبا من فكرهم ومواقفهم تجاه بعضهم بعضا.

ويمزج الكتاب بين تقديم الخلفيات الفكرية والتاريخية وبين التطبيقات الواقعية المعاصرة على الأرض، مما يربط الفكر بالحركة ويجعل القارئ أكثر استيعابا وفهماً لما يجري حوله من مواقف وخطوات تبدو متعارضة أحياناً.

وغاية الكتاب الأساسية الكشف عن جانب من المخططات الأمريكية بروافدها المختلفة نحو التعامل مع الظاهرة الكبرى في العالم الإسلامي اليوم وهي ترسخ الهوية الدينية والسلفية تحديداً، عبر دعم وتعزيز حضور التيار الصوفي في العالم وتحديداً الصوفية المغالية في عقائدها الباطنية أو في عدائها للحركات الإسلامية والدعوة السلفية.

تقع هذه الدراسة في ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط، وتتكون من تمهيد وأربعة فصول، تناول المؤلف في التمهيد التعريف بالاستشراق ومراكز الدراسات الأمريكية والتصوف.

ومن أهم فوائد هذا التمهيد عرض الاختلاف الواسع في أصل كلمة الصوفية دون الوصول لنتيجة حاسمة، وتشابه كثير من العقائد والطقوس بين الصوفية والديانات السابقة على الإسلام مع خلو المصادر الإسلامية منها، كعقيدة وحدة الوجود، التي تعتبر مركز التصوف عند الباحثين، وطقوس الحضرة والذكر الراقصة.

وينبه الباحث لضرورة الفصل بين الحديث عن التصوف كفكرة وتنظير، وبين الحديث عن الصوفيين كأشخاص، فقد يكون هناك فارق كبير بينهما، كما هو حاصل في واقع المسلمين والإسلام.

في الفصل الأول ناقش المؤلف موقف المستشرقين من الصوفية، بوصفهم آباء وأصل مراكز الدراسات الأمريكية، وخلص فيه إلى أن المستشرقين اهتموا بالتصوف، بل وتخصص بعضهم فيه حتى أصبحوا مرجعاً معتمداً في علومه وتاريخه وعقائده حتى عند كبار المتصوفة مثل المستشرق الفرنسي ماسنيون، والإنجليزي نيكلسون، وأنهم في البدايات أثبتوا أنه دخيل على الإسلام، ثم لما وجدوا أن التصوف مفيد للاستعمار (كثير من المستشرقين كانوا مستشارين للاستعمار) عادوا للقول بأن التصوف أصيل في الإسلام!

وقد اهتم المستشرقون ببعث التراث الصوفي ونشره وتحقيقه، وكان لهم الجهد الأكبر في ذلك، وقد مجدوا كثيرا من شخصيات الصوفية التي رفضها العلماء والفقهاء بسبب تجاوزاتها الشرعية كابن عربي وابن الفارض والحلاج.

جاء الفصل الثاني لبيان موقف الصوفية من السلفية والعلمانية وعقيدة الولاء والبراء والجهاد والاستعمار.

وخلص الباحث إلى أن عداء الصوفية للسلفية ينبع في كثير منه من العقيدة الأشعرية التي يلتزمها الصوفية غالباً، فإباحة الصوفية لكثير من الشركيات عند القبور وسؤال غير الله عز وجل منبعها معتقد الأشعرية التي تحصر التوحيد في توحيد الربوبية فقط ولا تكترث بتوحيد الألوهية كحال السلفية.

**وينقسم الصوفية في عدائهم للسلفية إلى قسمين، قسم مناوئ للسلفية بجفاء ظاهر، كحسن السقاف في الأردن والطريقة العزمية في مصر ويوسف هاشم الرفاعي في الكويت وهشام قباني في أمريكا، وقسم يعادي السلفية بدهاء، حيث انشغلوا بنشر التصوف والدعاية له، مثل عمر عبدالله كامل بالسعودية وعبد الله بن بيه الموريتاني وعلي الجفري اليمني، وهذا التقسيم للحالة الغالبة، وإلا فقد تجد من أهل الدهاء من يجاهر بالعداء أحياناً.**

أما بخصوص العلمانية فقد ركز المؤلف على أن التصوف كان له دور كبير في ترسيخ العلمانية في العالم الإسلامي خاصة بعد سقوط الدولة العثمانية،

من خلال سلبية الصوفيين تجاه السياسة من جهة، ومن خلال استفحال الخرافة والجهل في عموم المتصوفة مما يعيق إدارة الدول ويفتّ في قوتها، ومن خلال بعض عقائد الصوفية المنحرفة مثل الاستسلام للأقدار المكروهة فالصوفية ترى أن الرضا بغزو بلاد المسلمين مطلوب ومِن الدين! ولذلك ترفض المقاومة!

وحول موقف الصوفية من الجهاد أثبت المؤلف أن الفكر الصوفي منافٍ للجهاد ويقصرون الجهاد على جهاد النفس استنادا لحديث منكر لا أصل له «رجعنا من الجهاد الأكبر إلى الجهاد الأصغر»، ومما يبعدهم عن الجهاد اعتقادهم أن الله عز وجل يحب كل ما يقع في الكون من أحداث، فعندهم أن الله يحب احتلال بلاد المسلمين ولذلك تخلف أبو حامد الغزالي عن الجهاد بل لم يَكتب عن الجهاد في كتابه (إحياء علوم الدين) برغم أنه عاصر احتلال الصليبيين للقدس والمسجد الأقصى!! بينما عقيدة أهل السنة أن الله عز وجل لا يقع في ملكه شيء لم يسمح به، ولكنه لا يرضى ويحب كل ما سمح به، فالله عز وجل خلق الخير والشر، ولكنه يحب الخير، ويحب مدافعة الشر، وهذا الذي لم يفهمه الصوفية.

ومن العقائد التي صدت الصوفية عن الجهاد المفهوم المنحرف للتوكل على الله عز وجل بعد الأخذ بالأسباب، ومن ذلك عقيدة الإرجاء التي تميّع مبادرة المسلم للجهاد، وعقيدة وحدة الوجود التي لا ترى فرقاً بين المسلم والكافر والخالق والمخلوق، فلِم الجهاد؟

كما أن السلوك الصوفي ينافي الجهاد، فتراث الصوفية طافح بالحث على الكسل والعزلة والجهل وترك الأسباب، فكيف لهذا التراث أن ينسجم مع الجهاد والبذل والتضحية؟!

ثم استعرض المؤلف تعامل الصوفيين مع طلائع الاستعمار وكيف أنهم انسجموا معه وساعدوه في توطيد أركانه في بلاد الإسلام، ولعل ما قامت به الطرق الصوفية في الجزائر أكبر شاهد على ذلك.

ورغم أن فكرة المؤلف تجاه تورط الصوفية في ترسيخ العلمانية والاستعمار في بلادنا والصدّ عن الجهاد والمقاومة في عمومها صحيح، إلا أني أخالفه في تعميمه هذا على كل الصوفيين في الدولة العثمانية والعالم، فقد فاته

جهود آخر شيخ للإسلام في الدولة العثمانية، مصطفى صبري، الذي تصدى للعلمانية والإلحاد بكل قوة، وهكذا ظلم السلطانَ عبد الحميد الثاني الذي بقي يدافع الاستعمار والعلمانية ثلاثة عقود تقريباً، وأيضاً في تناوله لجهود الشيخ سعيد النورسي ففيه إجحاف بحقه.

ولعل هذا الخلل وقع من عدم التزام المؤلف بتنبيهه في التمهيد بالتفريق بين الصوفية والصوفيين، ولذلك وقع تعميم غير صائب على كل القوى والشخصيات الصوفية في باب السياسة والجهاد والولاء والبراء، ذلك أنه وجد حالات متكررة تصل لتشكل ظاهرة عند الصوفية في موقفها السلبي في الجهاد والسياسة ومدافعة العلمنة، فسحب ذلك على الجميع.

والصواب في المسألة في ظني أن المؤلف وُفّق في التنظير للخلل الذاتي في الفكر الصوفي في باب الجهاد والولاء والبراء ومقاومة العلمنة، ووُفّق في حشد الكثير من الأمثلة التطبيقية لهذا الفكر الصوفي المنحرف تجاه الجهاد وحماية الإسلام ومقاومة الغزو، لكنه حين اصطدم ببعض الوقائع الإيجابية لشخصيات وتجمعات صوفية في باب الجهاد وحماية الإسلام جاء لنفي التصوف عنها واعتبارها اهتدت بهداية الكتاب والسنة، وكان يمكنه أن يبقي على وصفها بالتصوف والاعتراف لها بصواب موقفها في الجهاد والدفاع عن الإسلام، ولكن الباعث لها على ذلك ليس التصوف لأنه منحرف في هذا الباب، بل لأنها سطحية التصوف أو لأن صوفيتها تقتصر على بعض البدع ولم تصل لحد الانحراف الفكري العميق الذي يمنعها عن الجهاد والدفاع عن الإسلام، وأن الباعث لها على الجهاد والإيجابية هو روافد الخير الإسلامية الأخرى، وهذا يتفق مع مفهوم أهل السنة أن المسلم يجتمع فيه خير وشر، ويتفاوت حال ذلك من شخص لشخص أو طائفة لطائفة؛ وعموماً هذه قضية لا تزال تحتاج مزيداً من التنظير والطرح.

الفصل الثالث خصصه المؤلف لدراسة مواقف مراكز البحوث الأمريكية من السلفية والصوفية، حيث وجد المؤلف أن مواقف مراكز البحوث ومِن قبلها المستشرقون متطابقة تقريباً سواء تجاه السلفية بوصفها مواقف سلبية غالباً، وتجاه الصوفية بوصفها مواقف إيجابية!

ولاحظ أن جزءا من الدراسات التي تجريها مراكز البحوث حول السلفية

قام بها باحثون صوفيون أو شيعة، وجزء كبير من مصادرهم هو من خصوم السلفية سواء من المستشرقين القدماء أو من العلمانيين المعاصرين فضلاً عن الباحثين اليهود والنصارى المتعصبين.

أما بخصوص مواقف مراكز البحوث من الصوفية، فهي إيجابية غالباً وتوصياتها تدور على أهمية دعم تمددها، والاعتماد عليها في حفظ مصالح الغرب ومحاربة التطرف، وجزء كبير من هذه النظرة رسخها الشيخ الصوفي هشام قباني في زياراته للكونجرس والبيت الأبيض ومراكز البحوث مبكراً من عام ١٩٩٩م، وقبل تفجيرات نيويورك المعروفة بأحداث ٢٠٠١/٩/١١.

وقد فحص المؤلف ردة فعل الصوفيين على هذه التوصيات الغربية في مواقع الصوفية ودراساتهم ومقابلات مباشرة مع بعض الصوفيين، وخلص إلى أنهم يتعمدون إخفاءها أو التقليل من شأنها أو تبريرها، مما يؤكد إدراكهم لها وانخراط رؤوسهم في مخططاتها بوعي وتصميم.

وجاء الفصل الرابع والأخير ليستعرض الحراك الصوفي المعاصر بعد ٩/١١، في البداية استعرض الباحث جوانب من الدعم الأمريكي للصوفية المعاصرة والذي لا يقتصر على الدعم المالي بل يشمل الدعم الإعلامي والسياسي والتسهيلات التي تحظى بها، كما استعرض اللقاءات المتكررة بين رموز صوفية وقيادات البيت الأبيض والكونجرس، ومشاركة السفراء الأمريكيين في المناسبات الصوفية في الدول الإسلامية، كما أصبح الحديث عن الصوفية يبرز في الخطابات الرسمية للرؤساء الأمريكيين، وتتابعت التقارير الأمريكية في الترويج للصوفية والمطالبة بتمكينهم بدون حساب.

ثم تناول بنوع من التفصيل تطور الحراك الصوفي بعد ٩/١١ في السعودية والإمارات والجزائر والمغرب، حيث لوحظ أن صوفية الحجاز انتهزوا فرصة الجو المشحون ضد السلفية في الغرب للترويج لمظلوميتهم وتطرف المؤسسة الدينية السعودية، وهو يشبه ما فعله صوفية الحجاز عقب أحداث جهيمان سنة ١٤٠٠هـ، أما في الإمارات فعقب وفاة حاكمها الشيخ زايد حدث تحول واضح نحو تبني الصوفية بقوة، فتم استقدام الصوفي اليمني علي الجفري وتمكينه في الجانب الديني الرسمي وإنشاء مؤسسة (طابة) سنة ١٤٢٦هـ، وتم استبدال ضيوف محاضرات رمضان بشخصيات صوفية بدلا من الرموز

السلفية.

وفي الجزائر لجأت الدولة عقب حل جبهة الإنقاذ في مطلع التسعينيات للمتصوفة، ولكن عقب ٩/١١ عادت الدولة لتعلي من دور الصوفية بشكل كبير، ومع مجيء الرئيس بوتفليقة الصوفي الميول صار للطريقة العلوية حظوة كبيرة في الجزائر.

أما في المغرب فالصوفية لها حضور كبير أصالة، وتنامى ذلك مع مجيء أحمد التوفيق وزيراً للأوقاف بوصفه أحد مريدي الطريقة البودشيشية، وأصبح ملتقى سيدي شيكر الصوفي يتمتع برعاية ملكية ورسمية ويحضره سفراء غربيون وقيادات صوفية من خارج المغرب.

وشهد الحراك الصوفي تناميا في الجانب الإعلامي، فظهرت العديد من الفضائيات الصوفية الحكومية والخاصة منذ عام ٢٠٠٨، كما شهدت العديد من القنوات الأخرى برامج ومسلسلات وأفلاما تروج للتصوف، أما في شبكة الإنترنت فلهم حضور واسع، كما لهم عدد من المجلات الخاصة بهم، فضلاً عن مئات المقالات المؤيدة للتصوف في الصحف السيارة.

ويرى المؤلف أن الاستعمار قديماً ومراكز الأبحاث والساسة في الغرب وأمريكا يركزون على بعض الصفات في الصوفية لتمرير مخططاتهم في بلاد الإسلام وهي: عقيدة وحدة الوجود وعدم الاهتمام بالجهاد والطاعة المطلقة للشيخ، وهي صفات تخدم استقرار التدخل والسيطرة الخارجية على المسلمين.

وعقب ٩/١١ وبتحريض غربي أصبح الخطاب الصوفي يروج نفسه ويُروج باعتباره الإسلام الحقيقي، وخصوصا فكرة وحدة الوجود، وهي عقيدة كفرية عند المسلمين، لكنها عند أمريكا والغرب هي العقيدة المناسبة لهم لترسيخ احتلالهم المباشر وغير المباشر على بلادنا.

ومن أجل ذلك شهدنا تطورا في الحراك الصوفي بتأسيس مراكز علمية صوفية، وتفعيل نشاط الصوفيات، وإبراز التصوف الجديد الذي لا يرتبط بالدروشة والحضرة الصوفية، والتركيز على التسامح بين الأديان بما يفرط في حق الإسلام، وكثرة الملتقيات والمؤتمرات والاتحادات الصوفية.

وأفرز هذا مشاركة صوفية قوية في السياسة المعاصرة، وهي غالباً ما تتحالف مع السلطات العلمانية القائمة في بلادنا، وتتقاطع مع حرب الأفكار

التـي تشـنها أمريـكا عـلى التيـار الإسـلامي في العـالم.
الخلاصـة: بـذل المؤلـف في الكتـاب جهـداً كبـيراً في جمـع وتصنيـف المعلومـات والحقائـق، يسـتحق الشـكر عليـه، كـما قـدم تحليـلاً عميقـاً لحقيقـة التحـركات الأمريكيـة والصوفيـة المعـاصرة، وفي هـذا المجـال يمكـن المجادلـة مـع المؤلـف في بعـض الوقائـع والأحـداث، حيـث قـد يكـون وقـع في التعميـم أحيانـاً، واعتبـار كل الصوفيـين عـلى شـاكلة واحـدة مـن اتبـاع العقائـد الباطلـة والولـوغ في التبعيـة والعمالـة لغـير المسـلمين، وهـو الأمـر الـذي يسـتحق المزيـد مـن التحليـل والدراسـة والمراجعـة، لكـن بالتأكيـد قـام المؤلـف بإنجـاز كبـير في هـذا المجـال ولـه فضـل التأصيـل والتأسـيس، ويبقـى المجـال مفتوحـاً للتحسـين والتكميـل والتصويـب.

# الدور المشبوه لمؤسسة طابة في مرحلة الربيع العربي

**تمهيد:**

منذ مطلع الثمانينيات من القرن الماضي والصحوة الإسلامية محط أنظار دوائر صنع القرار في العالمين الغربي والشرقي، وذلك من أجل فهم الصحوة الإسلامية والوصول لمفاتيح التعامل معها بما يحقق المصالح الغربية أقيمت آلاف الندوات والمؤتمرات لذلك، وأصبح هناك الكثير من الباحثين والمؤسسات المتخصصة بدراسة وبحث الصحوة الإسلامية.

وكانت الخلاصة المركزية التي تم الوصول لها هي: المد الإسلامي أو الإسلام السياسي- بتعبيرهم- قادم لا محالة وسيكون في كرسي الحكم ولا بد من التعامل معه كأمر واقع لا مرد له، ومن ناحية أخرى لا بد من دعم ورعاية اتجاهات إسلامية بديلة أكثر قابلية للتعاون أو التهاون مع المصالح الغربية، والمرشح الوحيد كان التيار الصوفي بتنوعاته وتلوّناته.

ودعم التيار الصوفي من قِبل الغرب كان أمراً واضحاً لكل المراقبين، فهذا د.عبد الوهاب المسيري يقول: «ومما له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام، يشجع الحركات الصوفية، ومن أكثر الكتب انتشاراً الآن في الغرب مؤلفات محيي الدين بن عربي وأشعار جلال الدين الرومي" [١].

ويقول فهمي هويدي: «وفي حين تُطرح العلمنة حلا لمشكلة الأمة الإسلامية, فإن التقرير – تقرير راند - لايخفي دعوة صريحة إلى تشجيع التصوف, وهو ما يعد نوعا من الدعوة إلى التعلق بما يمكن أن نسميه بـ الإسلام الانسحابي الذي يقلص التدين في دائرة روحية لا يتجاوز حدودها, فهو يتحدث صراحة عن أهمية تعزيز الصوفية وتشجيع البلدان ذات التقاليد الصوفية القوية على التركيز على ذلك الجانب من تاريخها, وعلى إدخاله ضمن مناهجها الدراسية, بل ويلح على ذلك في عبارة أقرب إلى الأمر تقول: لابد من توجيه قدر أكبر من الانتباه إلى الإسلام الصوفي» [٢] .

ويقول دانيال بايبس – وهو من أشد مناوئي الإسلام اليوم -: « الغرب

يسعى إلى مصالحة التصوف الإسلامي، ودعمه لكي يستطيع ملء الساحة الدينية والسياسية وفق ضوابط فصل الدين عن الحياة، وإقصائه نهائياً عن قضايا السياسة والاقتصاد" [٣].

ومما يحسن التنبيه عليه هنا ملاحظة د. إسماعيل الفاروقي وزوجته لويس لمياء في كتابهما «أطلس الحضارة الإسلامية» [٤] عن قوة انتشار الصوفية بين المسلمين الجدد البيض في الغرب، حيث أن الخواء الروحي بسبب المادية الطاغية جعلت الكثير منهم يقبل على التصوف، وقد أصبح كثير من هؤلاء المسلمين في موقع التوجيه سواء للغرب أو العالم الإسلامي بسبب خلفيتهم الثقافية العالية مثل روجيه غارودي[٥] ومراد هوفمان [٦]، مما يفتح المجال للبحث عن تأثير هؤلاء المسلمين الجدد المتصوفة في سياسة الغرب على غرار دور الشيعة المتغربين في سياسة الغرب تجاه إيران وقضايا التشيع كأمثال: والي نصر، تقي راي، تريتا بارسي، فؤاد عجمي، كنعان مكية.

### مؤسسة طابة:

طابة هي مؤسسة صوفية مقرها في أبو ظبي بدولة الإمارات، أسسها ويديرها الداعية الصوفي اليمني علي الجفري، والمؤسسة جاءت لتصبغ النشاط السابق لسنوات، للجفري ومن معه، بصبغة رسمية.

تعرف المؤسسة على نفسها في موقعها الإلكتروني[٧]، بما يلي: «مؤسسة طابة هي مؤسسة غير ربحية تسعى إلى تقديم مقترحات وتوصيات لقادة الرأي لاتخاذ نهج حكيم نافع للمجتمع بالإضافة إلى إعداد مشاريع تطبيقية تخدم المثل العليا الخالدة لدين الإسلام وتبرز صورته الحضارية المشرقة؛ ومن خلال ذلك نضع مقاييس جديدة ومعايير قِيَميّة لأنظمة العمل المؤسساتي".

ورؤية المؤسسة والتي تنص على: «إعداد الدراسات والكوادر والمؤسسات لتطوير خطاب إسلامي واضح وإيصاله للعالم بأسره بطريقة تؤدي للإدراك".

فهي إذاً مؤسسة تتعامل مع قادة الرأي وصناع القرار، ومعلوم أن مثل هذه الخطوة تعتبر من أعلى درجات التركيز للتغيير الشامل والرسمي والسريع!!

أما المجلس الاستشاري الأعلى لمؤسسة طابة فهو يجمع أقطاب الصوفية في المنطقة، وهم:

١- د. محمد البوطي، رئيس قسم العقائد والأديان في كلية الشريعة بجامعة دمشق.

٢- د. عبد الله بن بيّه، رئيس مركز التجديد والترشيد (لندن)، وهو من موريتانيا لكنه مقيم بالسعودية.

٣- د. علي جمعة، مفتي الديار المصرية.

٤-الحبيب عمر بن حفيظ، مؤسس وعميد دار المصطفى باليمن.

وكان معهم د. نوح القضاة رحمه الله، مفتي عام الأردن الذي توفي عام ٢٠١٠.

ويلاحظ أن هؤلاء هم أعمدة الصوفية في سوريا ومصر والأردن واليمن والسعودية وموريتانيا، ويشير موقع المؤسسة (طابة) إلى أن أعضاء المجلس الاستشاري حصلوا على مراتب متقدمة ضمن الشخصيات الإسلامية الأكثر تأثيراً في العالم لعام ٢٠١١، بحسب تقرير المركز الملكي للبحوث والدراسات الإسلامية بعمان بالتعاون مع مركز الأمير الوليد بن طلال للتفاهم الإسلامي المسيحي بجامعة جورج تاون.

وقد جاء ترتيب د. علي جمعة رقم ١٢، ود. البوطي رقم ٢٠، ود. عبد الله بن بيه رقم ٣١، ثم الحبيب عمر بن حفيظ رقم ٣٧، أما علي الجفري فكان رقم ٤٢ ضمن التقرير.

**ومن الشخصيات غير العربية في مؤسسة طابة:** الأمريكي الشيخ جهاد هاشم براون أحد أعضاء مجلس إدارة مؤسسة طابة وكبير أعضاء مجلس الأبحاث في المؤسسة، بعد أن شغل منصب مدير الأبحاث لعدة سنوات في مرحلة التأسيس.

وهو دارس لعلم النفس ودراسات الشرق الأدنى من جامعة روتجرز بولاية نيو جيرسي عام ١٩٩٤، ثم توجه للدراسات الشرعية على يد عدد من العلماء مثل: أديب محمد كلاس، د. البوطي، وله نشاط واسع بالتدريس وإلقاء المحاضرات والبرامج التلفزيونية الفضائية في الغرب.

### الدور المشبوه لمؤسسة طابة:

مما سبق يتبين لنا وجود توجه سياسي غربي معلن بدعم التصوف كبديل عن الصحوة الإسلامية، وكحليف مضمون الولاء للمصالح الغربية، ويتبين لنا أن صوفياً نشيطاً وهو علي الجفري قد أقام مؤسسة صوفية تجمع أقطاب التصوف وتسعى للوصول لقادة الرأي وصناع القرار والتأثير فيهم من جهة، وتعمل على بناء كوادر متخصصة لذلك من جهة أخرى.

وبمتابعة بعض نشاطات المؤسسة والبارزين فيها تبين:

- وجود علاقات لهذه المؤسسة مباشرة وغير مباشرة مع الغرب والدوائر السياسية فيه تحديداً.
- السعي الحثيث لترسيخ وجهات نظر ومفاهيم تصب في صالح المصالح الغربية.
- وجود ممارسات شاذة عن الخط الإسلامي يفرح بها الغرب.
- دعم الأنظمة القمعية ضد شعوبها والتيارات الإسلامية.
- شرعنة التطبيع السياسي والديني مع إسرائيل.

ويبدو أن الربيع العربي والذي فاجأ الغرب والأنظمة العربية قد عدل قليلاً من دور الصوفية في هذه المرحلة، فبعد أن كان الرهان على التصوف كبديل للحركات الإسلامية عند الغرب، وجد الغرب نفسه أمام أمر واقع بوصول الإسلاميين لسدة الحكم، فقرر بواقعية وعقلانية التعامل معهم وعدم تضييع الوقت بخلاف الأنظمة العربية، فتم عقد مؤتمر لمؤسسة كارنيغي في واشنطن بتاريخ (٢٠١٢/٤/٥) والذي جمع ممثلي الإخوان المسلمين من مصر وتونس وليبيا والأردن مع الساسة الأمريكان، وهذا لا يعني عدم مواصلة دعم ورعاية التصوف ليكون له موضع مستقبلا في الساحة السياسية[٨].

أما الأنظمة العربية فيبدو أنها أخذت بخيار تفعيل وتسريع الرهان على التصوف في وجه الحركات الإسلامية، وقد تنوعت طرائقهم في ذلك، ففي سوريا الدور المطلوب هو إخماد الثورة، وفي مصر حجز مكان في الساحة السياسية، وفي الأردن محاولة إيجاد منافس لجماعة الإخوان.

**نشاطات مشبوهة للمؤسسة والقائمين عليها:**

١- مشاركة الجفري في المؤتمر العالمي للطرق الصوفية، مؤتمر (سيدي شقير) بالمغرب عام ٢٠٠٤ بحضور مندوب أمريكي [٩]:

حيث كان الجفري رئيسا للوفد الحضرمي في هذا المؤتمر الذي يتزعمه اللبناني النقشبندي هشام قباني والذي يعد حلقة الوصل الأساسية بين الإدارة الأمريكية والأوساط الفكرية الغربية وبين الطريقة النقشبندية الصوفية التي يتزعمها الشيخ (ناظم الحقاني) المقيم في قبرص [١٠].

وقد شارك في المؤتمر مع الجفري وشيوخ الطرق الصوفية: الأمريكي «داود كيزويت» رئيس اللجنة المغربية الأمريكية للتعاون الثقافي والتربوي، وبعض النساء غير المحجبات!!

٢-خرق الجفري لقرار العلماء بمقاطعة الدنمارك بسبب الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم:

فرغم اتفاق العلماء على مقاطعة الدنمارك للضغط عليها لتقديم اعتذار عن الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسوم الكاريكاتيرية، إلا أن الجفري شارك مع عمرو خالد وطارق السويدان بخرق ذلك وزيارة الدنمارك وعقد مؤتمر حوار معهم!! وذلك في عام ٢٠٠٦م.

وقد علق د. القرضاوي على هذه الخطوة المستفزة بقوله: «إن هذا يشبه قول أحدهم لك (اللعنة على أبيك)، وردك عليه بالقول: (من فضلك لنتحاور)»، وأضاف أنه «قبل أن يدعونا إلى الحوار ندعوهم إلى الاعتذار".

٣- عيادة الجفري للبابا شنودة بسبب مرضه، مع أنه لم يزر كثيراً من العلماء المسلمين!!

نشر موقع الجفري خبر زيارته للبابا شنودة في ٢٠٠٩/١٠/٦، وأنه صرح لقناتي أغابي وCTV المسيحيتين أن زيارته للمقر البابوي «جاءت للاطمئنان على صحة قداسة البابا بعد عودته من رحلته العلاجية بالخارج من ناحية، ولأننا من ناحية أخرى أبناء منطقة واحدة نجتمع على قواسم كثيرة مشتركة...".

وأشاد الجفري بشنودة وما يوصف به من أنه «بابا العرب»؛ بأن «كثيراً من الألقاب تأتي ثمرة لمواقف، وأن للبابا شنودة موقفاً منذ أكثر من ثلاثين عاماً في منع أقباط الكنيسة الأرثوذكسية من الذهاب إلى القدس في ظل

الاحتلال الغاشم، وهو نوع من المواقف التي تدل بحق على شخصية الرجل وانتمائه» [١١] ، والعجيب أن الجفري اليوم يسير على عكس سياسة البابا شنودة عقب وفاته!! وهو ما سنفصل فيه لاحقاً.

وبعد وفاة شنودة عام ٢٠١٢ سيشارك الجفري بنفسه في مجلس عزاء البابا شنودة بدولة الإمارات العربية المتحدة، ويغرد على تويتر: أعزي إخواننا المسيحيين الأقباط بوفاة البابا شنودة الثالث [١٢].

والعجيب أن الكثير من علماء المسلمين الذين يخالفون الجفري مرضوا وماتوا ولم يزرْهم الجفري ولم يعزِّ فيهم ولم يغرد لمحبيهم!!

٤- إقامة مركز د.عبدالله بن بيه والمركز العالمي للتجديد والترشيد مؤتمر «ماردين دار السلام» بتاريخ ٢٧-٢٠١٠/٣/٢٨، في مدينة ماردين بتركيا، وكان هدف المؤتمر هو: إيجاد وصف جديد للعلاقة بين الدول الإسلامية وغيرها، بدل الوصف القديم الوارد في كتب الفقه (دار سلام، ودار حرب)، سماه بـ «فضاء سلام»، أو «فضاء للتسامح والتعايش" [١٣].

وطبعاً المؤتمر الصوفي سيعدل فتوى ابن تيمية السلفي، ولكنه من أجل ذلك يمارس التزوير والتحريف كما بين ذلك د.ناصر الحنيني في توضيحه أنه لم يوقع على البيان لوجود ملاحظات عليه.

وكانت الخلاصة التي خرج بها المؤتمر حصر الجهاد في حالة رد العدوان مع أنهم لم يستقدموا أحدا من علماء البلاد الإسلامية المحتلة!! وذلك كله تحت غطاء الرد على جماعات العنف والتطرف!!

ويبدو أن هذا المؤتمر سيشكل الخطوة التمهيدية لزيارة الجفري وعلي جمعة للقدس بعد عامين وتحديدا في ٢٠١٢!!

٥- دعم البوطي للمجرم بشار الأسد

وهذا الدعم والتأييد ليس له نظير ولا مثيل، ولا يزال البوطي يجرّم الثورة السورية ويصطف مع نظام بشار، ولا يكترث بآلاف القتلى والشهداء وسواهم من الجرحى والمهجرين، ولم يصدر عن مؤسسة طابة طوال أكثر من سنة من عمر الثورة إلا بيان بخصوص مقتل الشيخ أسامة الرفاعي ولم يسموا فيه القاتل!!

وطبعاً هم مشاركون للبوطي وبشار في هذه الجرائم لأنهم لم يتبرؤوا من

النظـام السـوري ولا مـن البوطـي، بـل لا يـزال البوطـى يُسـتضاف ويؤخـذ برأيـه كـما سـنثبت لاحقـاً.

٦- المشـاركة في مؤتمـر «التصـوف منهـج أصيـل للإصـلاح» بالقاهـرة (٢٤ - ٢٦ /٢٠١١/٩) برئاسـة الدكتـور أحمـد الطيـب شـيخ الأزهـر والـذي نظمتـه «أكاديميـة الإمـام الرائـد لدراسـات التصـوف وعلـوم الـتراث بالعشـيرة المحمديـة». وشـارك فيـه رمـوز مؤسسـة طابـة ومنهـم البوطـي برغـم موقفـه الشـائن مـن الثـورة السـورية، مـما يؤكـد أن القضيـة موقـف صـوفي عـام وليـس خطـأ فرديـا!!

٧- الإشراف عـلى وقفيـة كـرسي الإمامين الغـزالي والرازي في القدس وعمان.

تجسـيداً لغايـة المؤسسـة مـن مخاطبـة قـادة الـرأي تـم اعتـماد عـدد مـن الهيئـة الاستشـارية للمؤسسـة مشرفـين علميـين عـلى الوقفيـة وهـم: البوطـي وعـلي جمعـة والجفـري وعمـر باحفيـظ، وقـد جعلـوا مـن شروط أسـتاذ الكـرسي أن يكـون مـن أهـل السـنة والجماعـة (الأشـاعرة/ الماتردية)!!

حيـث أوقـف الملـك عبـد اللـه الثـاني في ٢٠١٢/١/٢٥ مبلـغ مليـوني دينـار أردني لـكل كـرسي عـلى حـدة.

وتهـدف الوقفيـة الأولى والتـي سـميت بـ»الكـرسي المكتمـل لدراسـة فكـر الإمـام الغـزالي»، لتدريـس فكـر الإمـام الغـزالي ومنهجـه في جامعـة القـدس والمسـجد الأقـصى المبـارك [١٥].

أمـا غـرض الوقفيـة الثانيـة والتـي سـميت بـ «الكـرسي المكتمـل لدراسـة فكـر الإمـام الـرازي» فهـو تدريـس فكـر الإمـام الـرازي ومنهجـه في الجامعـة الأردنيـة وجامعـة العلـوم الإسـلامية العالميـة ومسـجد الحسـين بـن طـلال، وإنشـاء جائـزة الملـك عبداللـه الثـاني ابـن الحسـين للدراسـات التـي تتنـاول الإمـام الـرازي وفكـره ومنهجـه [١٦]

والعجيـب أنهـم في ديباجـة وقفيـة كـرسي الغـزالى أشـاروا إلى إقامـة الغـزالي بالقـدس بنـوع تقديـر، رغـم أن مـن أكـبر المؤاخـذات عـلى الغـزالي سـكوته عـن احتـلال الصليبيـين للقـدس ومجزرتهـم التـي قتـل فيهـا ٧٠ ألـف مسـلم!! وأيضـاً خلـو كتابـه «إحيـاء علـوم الديـن» مـن بـاب الجهـاد وعـدم إشـارته بتاتـاً لاحتـلال القـدس في كتبـه رغـم أنـه عـاش ١٢ عامـاً بعـد احتلالـه!!

وكأن المقصـود مـن بـث فكـر الغـزالي اليـوم وفي القـدس هـو السـكوت عـن

احتلال القدس من قبل اليهود ونزع الجهاد من قلوب وعقول المسلمين، وذلك تمشياً مع مفاهيم الصوفية المنحرفة بالرضى بالاحتلال بوصفه قضاء الله الذي يجب قبوله، لأن الفاعل واحد بحسب عقيدة وحدة الوجود، وبسبب العقائد الجبرية التي تلبس بها الفكر الصوفي !!

قال د. زكي مبارك: «بينما كان بطرس الناسك يقضي ليله ونهاره في إعداد الخطب وتحبير الرسائل لحث أهل أوروبا على امتلاك أقطار المسلمين، كان الغزالي (حجة الإسلام) غارقاً في خلوته، منكباً على أوراده، لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة والجهاد" [١٧].

**وهنا نجد الملاحظات التالية:**

أن المؤسسة نافذة بحيث تنفذ وتشرف على وقفيات الملك عبدالله الثاني.

أن المؤسسة ومن خلال هذه الوقفيات ستكون في موقع التوجيه والتأثير في الجامعات والباحثين وعموم الناس، وينفذون أجندة خاصة بهم قد لا تعرف بها السلطات الأردنية.

أن المؤسسة تعمل على إيصال رسائل خفية للغرب بالانفتاح والتعاون والسلام ونبذ الجهاد.

أن وقفية الغزالي بالقدس ستكون بوابة للتطبيع السياسي والديني مع إسرائيل، كما حدث في زيارة الجفري وعلي جمعة للقدس، بحجة تفقد الوقفية!!

٩- زيارة القدس برضى الجيش الإسرائيلي

فاجأ الجفري المسلمين بزيارة مدينة القدس في ٢٠١٢/٤/٤ دون سابق تمهيد، مما أثار ردود أفعال قوية ضده وضد زيارته، ولذلك كتب الجفري في موقعه يوضح دواعي الزيارة فقال: «عملاً بقول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالمَسْجِدِ الْأَقْصَى»؛ وشوقاً إلى القبلة الأولى ومسرى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؛ واستجابة لدعوة الشيخ محمّد حسين، مفتي القدس والديار الفلسطينية، المسلمين لزيارة المسجد الأقصى نصرة له ودفاعاً عن قضيته وتأييداً لأهله المرابطين في وجه غطرسة الصهاينة وانتهاكاتهم ومخططاتهم لتهويد القدس وطمس هويّتها العربية الإسلامية، فقد شاورت

بعض كبار علماء الأمة واستخرت الله تعالى في شدّ الرحال إلى المسجد الأقصى فانشرح الصدر لذلك وتيسّرت أسبابه" [١٨].

ولم تكد تفيق الأمة من الصدمة حتى رأت علي جمعة، مفتي مصر، يوم ٢٠١٢/٤/١٨ في القدس أيضاً!!

وزيارة علي جمعة أكدت ووضحت قول الجفري «شاورت بعض كبار علماء الأمة»، إذ لحق به جمعة ولم يفتِه فقط، ولذلك ننتظر الآن زيارة البوطي وبن بيه وعمر باحفيظ، فالمسألة مسألة وقت ليس إلا.

والعجيب أنه في الوقت الذي عارض فيه غالب العلماء من فلسطين وغيرها بل حتى الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية هذه الزيارات، وقف يؤيدها فقط مفتي أبو مازن والبوطي، والعجيب أن البوطى خطب الجمعة لتأييد زيارة القدس [١٩] برغم أن الحكومة السورية تعاقب أي فلسطيني يزور فلسطين وتمنعه من زيارة سوريا بحجة دعم فلسطين!! فاحترنا من نصدق! وعرفنا مدى تلون البوطي وكونه مفتيا تحت الطلب.

ورغم أن الجفري كان يثني على البابا شنودة بسبب منعه من زيارة القدس، نراه اليوم ينسجم مع قوافل الأقباط التي زارت القدس عقب وفاة البابا، فهل كان الجفري يخشى غضب البابا؟؟

ولماذا يقبل الجيش الإسرائيلي بزيارة الجفري وعلي جمعة للقدس، في الوقت الذي يمنع فيه الشيخ رائد صلاح من دخولها؟ ويمنع فيه غالب الفلسطينيين الذين تقل أعمارهم عن الخمسين؟ وتمنع قوافل المؤيدين لفلسطين والقدس من نشطاء العالم من تجاوز صالة المطار بتل أبيب؟؟ وكيف يصح القول بعد ذلك أن هذه الزيارة دعم لفلسطين والقدس وأهلها؟؟

ومن الملفت للنظر أن الشيعة وحزب الله وقنوات المنار والعالم لم تنتقد الجفري ولا علي جمعة على هذه الزيارة ولا مؤتمر نصرة القدس في دمشق!!!

١٠- مؤتمر «نصرة القدس» بدمشق ٢٠١٢/٤/١٠

وهو اليوم الذي كان يفترض فيه بدء وقف إطلاق النار بحسب مبادرة كوفي عنان، عقد هذا المؤتمر من قبل رابطة علماء الشام برئاسة وزير الأوقاف السوري ومشاركة البوطي، وكانت أبرز توصياته:

- تأييد بشار الأسد ضد الثورة السورية.

- إنشاء اتحاد لعلماء الشام برئاسة البوطى!!
- عدم إنكار زيارة الجفري القدس، وذلك لأن للجفرى نفوذاً كبيراً في رابطة علماء الشام، والتي تعد مقربة من حزب الله.

**الخاتمة:**

نعتقد أن الحقائق السابقة تؤكد وجود مشروع صوفي عابر للدول العربية يعمل على تحقيق هدفين:

١- نشر ثقافة صوفية تصالحية مع أعداء الأمة، وممارسة هذه الثقافة من خلال التطبيع الثقافي والسياسي والديني.

٢- خدمة الأنظمة القائمة ولو كانت مجرمة كنظام بشار، وذلك لترسيخ وجودها المهدد إذا وصلت فصائل الصحوة الإسلامية للسلطة.

ونلاحظ أن جميع رموز مؤسسة طابة مشتركون في كل أعمال الخيانة والعمالة التي يقوم بها بعضهم، لكونهم لا يزالون للحظة لم يتبرأ أي منهم من أي تصرف خياني أو شخص أجرم بحق أمته، بل لا يزالون يتعاونون معاً.

## الهوامش:

[١] مقال (الإسلام والغرب)، الجزيرة نت ٢٠٠٤/١٢/٢٦.

[٢]مقال (عن القراءة الأمريكية للحالة الإسلامية)، جريدة الأهرام ٢٠٠٤/٨/١٠. وقد بين الأستاذ محمد عبدالله المقدي في كتابه «التصوف بين التمكين والمواجهة» تفاصيل الحث والدعم الغربي للتصوف.

[٣]انظر كتاب (ولتستبين سيبل المجرمين) د. محمد يسري، ص ١١٦، وهو مهم في كشف هذا التوجه بدعم التصوف.

[٤] ص ٢٦٤، وهذه الملاحظة كتبت قبل عام ١٩٨٦، حيث تم اغتياله وزوجته في أمريكا!! وقد طبعت ترجمة الأطلس في مكتبة العبيكان سنة ١٩٩٨م.

[٥]انظر كتاب (فكر جارودي بين المادية والإسلام)، الأستاذ عادل التل.

[٦]انظر كتاب (استدراكات مراد هوفمان على الإسلام، عرض ونقد) د. عبد العظيم المطعني.

[٧] - www.tabahfoundation.org

[٨]انظر تفاصيل المؤتمر، جريدة الغد الأردنية ٢٠١٢/٤/٨

[٩]مقال (مؤتمر صوفي عالمي لم يُعلن عنه في موقع الجفري؟!) موقع الصوفية.

[١٠] مقال (محمد هشام قباني النقشبندي) لمحمد المقدي، موقع مجلة الصوفية عدد ٧.

[١١] - ١٧٧/http://www.alhabibali.com/news_details/ln/ar/newsid

[١٢] موقعه ٣٨٢/http://www.alhabibali.com/news_details/ln/ar/newsid

[١٣]مقال (مؤتمر ماردين ٢٠١٠ دراسة ومناقشة) د. لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجه، منشور على صفحته بموقع صيد الفوائد.

[١٤] - VsfAoPnQo-http://www.youtube.com/watch?v=N

[١٥] - Ghazali-Chair-ARB.pdf-١٢٠١٢٩/http://www.aalalbayt.org/docs

[١٦] - Razi-Chair-ARB.pdf-١٢٠١١٦/http://www.aalalbayt.org/docs

[١٧]كتاب (الأخلاق عند الغزالي) ص٢٥، بواسطة كتاب (أبو حامد الغزالي والتصوف) عبدالرحمن دمشقية، ص٤١٠.

[١٨] - tafaseel#٣٩١/http://www.alhabibali.com/news_details/ln/ar/newsid

[١٩]صفحته على الفيس بوك http://ar-ar.facebook.com/Dr.albouti

# المشروع الداهم والمشروع الغائم

تواجه الأمة الإسلامية اليوم العديد من المشروعات التي تستهدف وجودها وكيانها، وهذه المشاريع تتنوع في قوتها وسرعتها وخطرها ومصدرها وتنبه المسلمين لها، ومن هذه المشاريع المشروع الشيعي الصفوي، والذي يتصف بالقوة والسرعة وعدم تنبه الكثير من العقلاء والقادة له فضلاً عن عوام المسلمين، كما أنه يهاجم من الداخل وعبر الكثير من التجمعات والأفراد المخلصين ولكنهم مغفلون!

### المشروع الداهم :

ويهدف هذا المشروع للسيطرة على الأمة كلها، في محاولة جديدة بعد المحاولات السابقة زمن الفاطميين والبويهيين والصفويين، وهو ينطلق من خلفية عقدية متطرفة تؤمن باستئصال الآخرين وسحقهم، هذا المشروع لا يتورع عن أي تحالفات في سبيل الوصول لمقصده النهائي وهو السيطرة الكاملة على أمة الإسلام.

ويسلك هذا المشروع في سبيل ذلك العديد من الوسائل أهمها :

١- تكوين دولة رسالية تحمل مسؤولية تنفيذ هذا المشروع، وقد نجح في ذلك بتكوين الجمهورية الإسلامية الإيرانية، التي أخذت على عاتقها القيام بالمهمة بكل إمكانياتها كدولة.

٢- ربط كل التجمعات الشيعية في البلاد العربية والإسلامية بهذا المشروع، وقد قطعوا شوطاً كبيراً في ذلك .

٣- تمكين بعض التجمعات الشيعية من السلطة في بلادهم ليكونوا رديفا لإيران في تنفيذ المشروع، وقد نجحوا لحد كبير في لبنان ( حزب الله ، حركة أمل ) وفي العراق حيث سيطروا على الدولة العراقية الجديدة .

٤- اختراق بعض التجمعات السنية أو التعاون معها لتكون جسراً يعبر التشيع عليه للمناطق السنية، وقد نجحوا في ذلك في فلسطين ومصر

والسودان وغيرها، أو التحالف التكتيكي مع البعض الآخر كبعض زعامات القاعدة الذين لجأوا إلى إيران أو أبي مصعب الزرقاوي .

٥- التنسيق على الحد الأدنى مع كافة الفصائل الشيعية المخالفة، إما بالقيام بأدوار محددة أو السكوت وعدم إعاقة المشروع .

وهذا المشروع الصفوي الداهم، يكاد يتحكم بكل حركة صغيرة أو كبيرة يقوم بها أي طرف شيعي، فمن ذلك :

- دفاع الجميع عن إيران، فمثلاً صرح المرجع الشيعي اللبناني محمد حسين فضل الله قبل أسبوعين قائلا «لا تزجوا إيران في الصراع الدائر في لبنان» وذلك بعد زيارة السفير الإيراني له، وبعد أيام تصدر الأوامر من طهران بوقف الاعتصام !!
- حين استنكر الشيخ يوسف القرضاوى تلاعب الشيعة بالتقريب والحوار في مؤتمر الدوحة الأخير، انبرى له رئيس علماء الشيعة محمد باقر المهري في الكويت، فطالب بعزله وإقصائه !!
- أي دعم من إيران لأي حركة سنية لابد من مقابل له، ومن ذلك ما تقوم به حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين الآن حيث قامت بإرسال الجرحى لقم! والطلاب لحوزات لبنان!
- تسخير كل إمكانيات الدولة لخدمة المشروع، واستقطاب الطلاب من البلاد كافة إلى إيران، ودعم الرئيس الشيعي في جزر القمر باتفاقيات ومساعدات، وزيارات التأييد له ومنها زيارة رجل الدين الشيعي السعودي حسن الصفار!
- التعليقات في مواقع شبكة الانترنت على أي موضوع متعلق بالشيعة أو إيران، حيث نجد أن هناك كثافة وسرعة في الرد، وردود تقوم بفتح جبهات جديدة بدل مناقشة ما ورد في الموضوع الأصلي .
- دعم القيادات الشيعية لتمرد الحوثي في اليمن .

وهذا المشروع مشروع شبه متكامل، فهناك من يعمل على صعيد تعبئة الجماهير الشيعية، وهناك من يقوم باستمالة الأحزاب والحركات السنية، وهناك من يتابع المستجيبين من السنة، ولذلك نجد الكم الكبير من الوسائل الإعلامية سواء كانت قنوات فضائية أو مجلات وصحف أو مواقع ومنتديات لدول ليس فيها تشيع !!

عـدا عـن كتابهـم في الصحـف والمجـلات العامـة، والمشـاركة في القنـوات الفضائيـة والإذاعيـة.

أمـا إيـران الدولـة فعملهـا في لبنـان أو العـراق، نمـوذج مثـالي للحركـة مـن خـلال مـشروع واضـح، فالعمـل العسـكري يتناغـم مـع الـدور السـياسي ويغطيـه الـدور الإعلامـي الإيـراني وغـير الإيـراني.

**أمـا عـن «داهميـة» هذا المشروع الصفوي وانتشـاره، فهـذه بعض ملامحه :**

- فهاهـم في أفغانسـتان يتمـددون تجاه السـيطرة والسـلطة بأضعاف حقهم.
- في العـراق يـكاد الأمـر لا يصدق، عن مدى السـيطرة والإجرام دون رادع .
- أمـا لبنـان فهـم يطالبـون صراحة بالسـيطرة على البلد، عبر صيغـة الثلث زائد واحـد، أو إقالـة الحكومـة، أو الاعتصامات والتخريب، وهم لا يسـتجيبون لأي وسـاطة عربية أو إسلامية!
- أمـا في فلسـطين فدورهـم واضح في تفعيل الحـرب الأهلية! لكنهم يسـتطيعون تزويقـه باسـم دعم المقاومـة، فيخدعون قادة العمل الإسـلامي فضلاً عن عوام المسلمين.
- أمـا تجمعـات الشـيعة في الخليـج، فهي لا تناور في إعلان مطالبها، ومسـاومة الحكومات السـنية على مكاسـب لا يسـتحقونها، بوسـائل ضغط غير شريفة عبر الاسـتقواء بإيـران، أو بعـض منظماتهـم في أمريكا وأوروبا والتـي تروج أكاذيب حول مضايقـات طائفيـة بحقهم .
- وفي اليمـن هـا هـم من ثلاث سـنوات وهم يقودون تمردا مسـلحا ضد الدولة، وهو ما سـيكون نموذجا لغيرها مـن دول الخليج.
- وفي جـزر القمـر وصلوا لسـدة الحكم، عبر الرئيس المتشـيع .
- وفي نيجيريـا حيـث الثقـل الإسـلامي الأفريقي، ها هـم كوّنوا طائفة شـيعية، تصطدم بالمسـلمين هناك وتشـغلهم عن واجباتهم الأساسـية .
- أمـا حركـة التبشـير الشـيعي، فهي تنتشر في كثير من الدول ،وخاصة دول الشـام ومـصر وأفريقيا .
- ولهم عمل دؤوب في جمهوريات آسـيا الإسـلامية، ودول جنوب آسـيا، والجاليات الإسـلامية في الغـرب، ولكن لا يوجد من يكشـف أبعـاد هذا العمل .

وخطورة هذا المشروع أنه يأتي باسم النصرة والتصدي للعدوان الصهيوني والأمريكي على الأمة ، ولذلك يحقق نجاحات كبيرة بين المسلمين، ولا ينتبه له إلا القليل من الناس .

ومصدر آخر لخطورة هذا المشروع، هو قصور رؤية الساسة والمثقفين تجاهه، فالغالبية منهم ترى التعاطي معه من المنظور الأمني فقط ، والفصل بين التشيع الديني المقبول والتشيع السياسي المرفوض!!

وهذا الفهم القاصر لحركة التشيع في الحقيقة هو جزء من المخطط الداهم، ذلك أن التشيع ذاته ليس فيه هذا الفصل بين الديني والسياسي، فهو في الأصل سياسي بغطاء ديني!!

فمن يفارق أهله إلى التشيع، يفارقهم في العقيدة والشريعة والسياسة، فهو لا يعترف بالسلطة القائمة لأنها»إمارة جور اغتصبت حق الأئمة»، ولذلك فإن هذه السلطة وأتباعها «نواصب»، أي قد نصبوا العداء لأهل البيت ولذلك «فهم أشد أعداء أهل البيت، وقتالهم مقدم على غيرهم من اليهود والنصارى» كما هو حاصل في العراق، فهل تقتل الميلشيات الشيعية المسلمين العراقيين أم النصارى الأمريكان المحتلين؟؟؟؟؟؟

وسكوت الشيعة في بعض الدول على السلطة والتعاون معهم هو «تقية واجبة» قننها المراجع للتعامل مع «الحكومات الجائرة والظالمة، وقد أفرد لها الخميني صفحات عديدة في كتابه (الحكومة الإسلامية)» فهل يدرك ساستنا ومثقفونا ذلك ؟؟

هذا هو المشروع الداهم، فما هو المشروع الذي يجب أن يتصدى له ؟؟

### المشروع الغائم :

ويقابل هذا المشروع الداهم، مشروع غائم وإن كان بعض الأصدقاء يسميه المشروع النائم،نعم هو مشروع غائم أو نائم، سواء على مستوى الدول والحكومات، أو السياسيين والمثقفين، أو حتى العلماء والدعاة !!

**نعم هذه هي الحقيقة، فلا يوجد مشروع مقابل لهذا المشروع الصفوي الداهم، وذلك لأسباب عديدة منها:**

- عدم اتفاق الحكومات على سياسة واحدة تجاه هذا المشروع، بسبب خلفياتها الفكرية المتنوعة .
- عدم امتلاك الحكومات تصورا حقيقيا شاملا لخطر هذا المشروع، فقد تكون الواحدة منها تدرك جوانب من الخطر السياسي لكن لا تدرك خطورة الفكر الشيعي الذي ينطلق منه المشروع الصفوي الداهم، ولذلك فالقبول بالتشيع الديني خطأ كبير، لأنه سيكون في المستقبل ثورة كثورة الحوثي!!
- تبنى الحل الأمني فقط في التعامل مع المشروع الداهم .
- أما السياسيون والمثقفون فهم غالباً من خلفيات إلحادية أو ليبرالية، ولذلك فهم يؤمنون بالحل العلماني الذي ثبت فشله في أوروبا فضلاً عن بلادنا .
- غياب فهم التكامل بين الدوافع القومية الفارسية والدوافع الدينية الشيعية، في حركة السياسة الخارجية لإيران ، لدى المنظرين السياسيين الرسميين .
- عدم التعاون مع العلماء من قبل السلطات الرسمية .
- أما العلماء والدعاة، فالمهتمون منهم - بارك الله في جهودهم- يعملون في الغالب بإستراتيجية إطفاء الحرائق أو ردة الفعل، وتركيزهم على حفظ رأس المال من عامة المسلمين، وقد تخدمهم بعض الظروف،ولكن لا يزال مشروعهم لا يلقى القبول الرسمي، بعكس المشروع الداهم الذي استطاع ترخيص صحف ومراكز دراسات وإبراز قيادات، كما في الكويت والسعودية ومصر وفلسطين والسودان وغيرها .

**ويفتقد عمل المشايخ والدعاة إلى :**

١- التنسيق بين الجهود المتشابهة، عبر وسائل إدارية حديثة كالتحالفات والشبكات التي تضمن الخصوصية والاستقلالية مع التعاون في المشتركات .

٢- توفير غطاء رسمي دائم .

٣- التواصل مع الجهات الرسمية لوضع مشروع متكامل .

٤- وضع خطة إستراتيجية تولي الدراسات والأبحاث وتطوير الخطاب وتهيئة الكوادر عناية، تفوق توزيع بعض المطبوعات والإصدارات .

٥- تقديم خطاب قوي وجذاب في مكافحة هذا المشروع الصفويّ الداهم، دون الوقوع في فخ اتهامات الصفويين لهم بالطائفية والتكفير والإرهاب.

٦- تقديم التصور الإسلامي للتعايش مع الآخرين بعدل ورحمة، دون هضم حق الأكثرية أو تنازلها عن ثوابتها، مع إعطاء الأقليات حقوقهم الشرعية العادلة.

٧-التواصل مع الجهات السنية المخدوعة ودعمها إذا كانت الحجة هي الدعم المالي، مع ربط الدعم ببرنامج عملي لمقاومة التبعية للمشروع الصفوي الداهم.

٨-لا بد من الضغط السياسي لتحسين أوضاع أهل السنة في إيران مقايضة بأحوال الشيعة في الدول العربية، فكل تنازل هنا يجب أن يقابله تنازل هناك.

٩- تبنى قضية الجزر الإماراتية المحتلة من قبل إيران وتصعيدها .

١٠- التركيز على قضية الإحصاءات المضخمة للشيعة في المنطقة.

١١- الاستعداد لدخول عصر الطوائف والأقليات المدعومة من الصهيونية لخدمة مخططاتها .

هذه رؤية لما يحدث في واقعنا، نرجو أن نخرج من دوامتها بخير وننتهي من مرحلة المشاريع الداهمة والتي تقاوم بمشاريع غائمة أو فردية أو منقطعة، مما يطيل مدة الشفاء ويرسخ البلاء ، لنصل لمرحلة بلورة المشاريع الناضجة والمشتركة والمستمرة، فنرى عزة الإسلام والأمة.

# ١٠مخاطر للانفتاح العربي السياسي على إيران

بعد انفضاح طائفية ووحشية النظام الإيراني في الثورة السورية، وسقوط مسرحية التقريب بين السنة والشيعة، لجأت إيران إلى بعض الخطوات لتستدرك بها شعبيتها ومكاسبها السابقة التي بنتها على شعارات المقاومة والممانعة والوحدة الإسلامية.

من هذه الخطوات: استبدال مؤتمرات التقريب بمؤتمرات الصحوة الإسلامية، لتحاول التواصل مع بعض الجماعات السنية والشخصيات الهامشية لخلق دعاية نفوذ وقوة لإيران بأنها هي راعية الصحوة الإسلامية، هذا على المستوى الشعبي والحركات الإسلامية.

أما على مستوى الدول والحكومات، فقد لجأت إيران مع تبديل الواجهة الرئاسية بروحاني بدلا من نجاد، إلى الترويج لمصالحة وتحالف بين إيران وجيرانها والعالم في وجه الإرهاب (السني/ الوهابي/ القاعدي)!

والغريب أن إيران تمارس الإرهاب هي ووكلاؤها في العراق وسوريا ولبنان، وهم في هذه اللحظة التاريخية قد انكشف للعالم أجمع أنهم أبرع مَن تلاعب بورقة القاعدة طوال عقد كامل، عبر احتواء قياداتهم في طهران، وتسهيل مرورهم من دمشق للعراق، ومن ثم تسهيل هروبهم المتكرر من سجون العراق، ومن ثم تسهيل مرورهم لسوريا، ومن ثم تجنب قصف مواقعهم من قبل جيشي بشار والمالكي، وحين قُبض على ماجد الماجد، أحد قيادات كتائب عبدالله عزام، في بيروت، مات في السجن خلال يومين قبل أن يفضح الأسرار، لهذا كله ما عادات حكاية عداء القاعدة وإيران أو إيران والقاعدة تنطلي على أحد.

المهم أن إيران اليوم ترسل رسائل إيجابية تجاه العديد من الدول العربية، فهي قد نجحت في إعادة العلاقات مع المغرب بعد قطيعة دامت عدة سنوات بسبب سياسات إيران في دعم التشيع في المغرب وجبهة البوليساريو والاضطرابات في البحرين.

وهـي تسـعى جاهـدة لتقويـة علاقاتهـا بـالأردن، عـبر التلويـح لـه بجـزرة البـترول والغـاز إن كان مـن إيـران أو العـراق، ولا يـزال ساسـة إيـران يرسـلون رسـائل الـود والانفتـاح عـلى الأردن، لدرجـة المبالغـة الفجـة بـأن العلاقـة بـآل البيـت تجمـع بـين النظامـين الإيـراني والأردني، وهـي كذبـة مفضوحـة، فإيـران والشـيعة لا يقـدّرون ولا يحترمـون الفـرع الحسـني مـن آل البيـت الـذي تنتسـب لـه العائلـة الهاشـمية في الأردن، كـما أن الأردن يفتخـر بسـنيته وعروبتـه القرشـية التـي تسـعى إيـران بـكل طاقتهـا لهدمهـما، ولإدراك الملـك الراحـل الحسـين بـن طـلال لخطـورة السياسـة الإيرانيـة شـارك بنفسـه في إطـلاق القذائـف الصاروخيـة عـلى إيـران إبـان حـرب الخليـج الأولى.

وأيضـاً تسـعى إيـران للانفتـاح عـلى دول الخليـج، فقـد نجحـت في بنـاء علاقـة تعـاون كبـيرة مـع عُـمان، نتـج عنهـا عقـد صفقـة جنيـف بـين إيـران وأمريـكا، وهـا هـي إيـران تسـعى لضـخ ٤ مليـارات دولار في عُـمان لبنـاء جـسر بـين إيـران وعُـمان!

وهـي تسـعى لتحييـد الريـاض عـلى الأقـل إن لم تكسـبها لصفهـا، عـلى اعتبـار أن إيـران هـي الدولـة المحوريـة في المنطقـة، ويجـب أن تكـون لهـا الكلمـة العليـا في شـؤون المنطقـة.

ومـع هـذه الرسـائل السياسـية التـي ترسـلها إيـران، يقـوم فريـق متنـوع مـن الصحفيـين والإعلاميـين والسياسـيين بالتسـويق لـضرورة الانفتـاح عـلى إيـران وعقـد شراكات معهـا، وأنهـا قـوة لا تقهـر ووو.....

ولذلـك وجـب التذكـير بمخاطـر الانفتـاح السـياسي عـلى إيـران مـن خـلال اسـتذكار الأدوار التـي قامـت بهـا إيـران وسـفاراتها في المنطقـة والعـالم، وتتمثـل في:

١- سـعي إيـران الدائـم لصناعـة لـوبي شـيعي أو (متأيـرن) مـن أهـل البلـد يرتبـط بإيـران قلبـاً وقالبـاً، بواسـطة التبشـير الدينـي الشـيعي كـما حصـل في دول الخليـج واليمـن والعـراق ولبنـان ومـصر والمغـرب وتونـس.

أو عـبر الدعـم المـالي وتقديـم المسـاعدات كـما حصـل في فلسـطين مـع حركـة الجهـاد وبشـكل أقـل مـع حركـة حـماس وحكومـة البشـير بالسـودان.

٢- لا تتـورع إيـران مـن محاولـة اسـتقطاب المعارضـة في أي بلـد إذا يئسـت مـن اسـتمالة النظـام، ففـي الأردن سـعى السـفير الإيـراني قبـل سـنوات لدعـم تنظيـم

مسلح ولذلك طلب الأردن إبعاده، واستضاف السفير الإيراني قبل أشهر وفدا من وجهاء محافظة معان ودعاهم لزيارة طهران، وفي مصر قامت إيران بترتيب زيارات متكررة للمعارضة المصرية في زمن مبارك ومرسي وعلى رأس هؤلاء حمدين صباحي، وفي الجزائر دعمت إيران مجموعات مسلحة من جبهة الإنقاذ، وفي المغرب دعمت البوليساريو وفي اليمن رعت الحوثيين وسلحتهم وفي البحرين قادت حركة التمرد في دوار اللؤلؤة.

٣- من المعروف للجميع أن السفارات الإيرانية هي فروع للاستخبارات الإيرانية، وأن كثيرا من أعضائها هم ضباط مخابرات، وأن من مهماتها الرئيسية التجسس على الدول التي تعمل بها، «ولقد قدرت مصادر استخبارية غربية في العاصمة الألمانية عدد عملاء إيران في دول مجلس التعاون الخليجي الست وحدها بما يتراوح بين ٢٠٠٠ و٣٠٠٠، غالبيتهم من «حزب الله» اللبناني، فيما يمتلك النظام في طهران نحو ٨٠٠ عميل إيراني، معظمهم يعمل في السفارات والقنصليات الإيرانية في الخليج تحت حصانات دبلوماسية، وفقا لتقرير نشر عام ٢٠٠٩». (جريدة مكة المكرمة ٢٠١٤/١/٢٢).

وقد أدين عدد من هؤلاء الدبلوماسيين في الكويت واليمن ومصر والبوسنة بقضايا تجسس وجرى إبعادهم.

٤- تقوم إيران سواء عبر حرسها الثوري أو سفاراتها بتهريب الأسلحة للموالين لها عقديا أو سياسياً، فتوريدها للسلاح لميلشيات حزب الله في لبنان مشهور ومعلوم، وكذلك للميلشيات الطائفية الشيعية في العراق ولتنظيم القاعدة، وللمعارضة البحرينية ولمتمردي الحوثيين باليمن وكما حدث في عملية تهريب أسلحة لغامبيا عبر نيجيريا سنة ٢٠١٠.

٥- ما كشفت عنه وثائق ويكيليكس من أن إيران أكبر مشتر للمخدرات في أفغانستان والتي تعيد تصديرها للدول الأخرى بإشراف الحرس الثوري، كما أنه من المعلوم إشراف ميلشيات حزب الله على مزارع المخدرات في البقاع.

٦- تورط إيران في كثير من العمليات الإرهابية تجاه الدول العربية، بداية بتفجيرات مكة المكرمة في موسم حج عام ١٩٨٦، ١٩٨٧، ١٩٨٩، وفي تفجيرات الكويت المتكررة في الثمانينيات والتي توجت محاولة اغتيال الشيخ جابر الأحمد أمير الكويت السابق، ومحاولة الانقلاب على آل خليفة في البحرين

عقب الثورة الإيرانية، والمحاولات المتكررة لليوم، واحتلال الجزر الإماراتية الثلاث.

فضلا عن اغتيال عدد من الدبلوماسيين السعوديين والكويتيين في أوروبا وآسيا وأمريكا.

٧- رعاية المعارضة واحتضانها في طهران ودعمها ماليا وتدريبها عسكرياً، وهذا تم مع جميع المعارضات الشيعية الخليجية، والمعارضة العراقية التي استولت على الحكم اليوم، وتمرد الحوثي، وقيادات القاعدة.

حيث تم إعداد الكثير من الخطط الإرهابية وتنفيذها عبر خلايا وقيادات تدربت وتمولت من طهران.

٨- إيران لا تخفي قناعتها بعدم شرعية كل الأنظمة القائمة، وأنها يجب أن تزول وتخضع لحكم إيران بوصفها قيادة المسلمين، وهناك التصريح المشهور لمساعد وزير خارجية إيران لشؤون الأبحاث منوشهر محمدي سنة ٢٠٠٨ حين قال: «الأزمة المقبلة التي ستصيب منطقة الخليج بالشلل قريبا تتعلق بشرعية الأنظمة الملكية والتقليدية التي لن يكون في إمكانها البقاء في ظل الأوضاع الراهنة".

وعدم اعتراف إيران بشرعية الأنظمة الأخرى يعود لعقيدة الإمامة الشيعية التي تحصر الحكم اليوم في الإمام المهدي المزعوم الذي يحكم باسمه الملالي منذ أكثر من ٣٠ سنة!

وبسبب عدم اعترافهم بشرعية الأنظمة العربية القائمة تتكرر دوريا حملات الهجوم والسباب للقيادات العربية في الصحافة الإيرانية والمظاهرات التي تنظمها أجنحة نظام الملالي ووكلاؤهم في إيران وخارجها.

٩- إن ما تقوم به السياسة الإيرانية اليوم في العراق ولبنان وسوريا واليمن من حرب طائفية علنية على جمهور الشعوب والتي لم تتورع إيران عن استخدام أفتك أنواع الأسلحة حتى وصلت للسلاح الكيماوي في سوريا، فضلا عن البراميل المتفجرة والقصف الأعمى الذي لا يستبعد المدنيين، حتى بلغ القتلى مئات الألوف والجرحى أضعاف ذلك، أما المهجرون فهم بالملايين، أما من وقع في الأسر فيتمنى لو كان مات بالقصف من شدة التعذيب والذي فُضح بتسرب ١١ ألف صورة من سجون بشار، وقصص الاغتصاب البشعة

للحرائـر في سـجون المالـكي.
إن هـذه السياسـات الطائفيـة هـي الوجـه الحقيقـي لإيـران وسياسـاتها، ولتجهـز الأنظمـة العربيـة نفسـها لهـذا المصـير إن تسـاهلت وتغافلـت عـن خطـورة الأطـماع الإيرانيـة.

١٠- لا تتـورع إيـران عـن تطويـع كل العلاقـات الاقتصاديـة والسـياحية والتعليمية لتمريـر تسـللها للـدول الأخـرى، فـآلاف الـشركات الإيرانيـة في الإمـارات وتركيـا مـا هـي إلا واجهـة للحـرس الثـوري والنظـام الإيـراني، وهـي تقـوم برعايـة مصالـح إيـران والالتفـاف عـلى العقوبـات الدوليـة المفروضـة عليهـا، وأيضـاً هـي شـبكة صيـد للعمـلاء وجـزرة تجـذب ضعـاف النفـوس لتمريـر مخططـات إيـران.

أمـا السـياحة الدينيـة فهـي وسـيلة لإنشـاء وترسـيخ مسـتوطنات إيرانيـة في الـدول الأخـرى، وأكـبر مثـال لذلـك: حـي السـيدة زينـب، الـذي تحـول إلى قطعـة مـن إيـران بلافتاتـه وسـكانه واللهجـة الدارجـة والتـي جميعهـا تهيمـن عليهـا القوميـة الفارسـية! حتـى أصبحـت هـذه المسـتوطنة الإيرانيـة في قلـب دمشـق مـبررا لتدخـل الميلشـيات الشـيعية العراقيـة واللبنانيـة والباكسـتانية واليمنيـة لحمايـة المقدسـات الشـيعية، وهـو الأمـر عينـه الـذي حـدث مـع النجـف وكربـلاء بالعـراق الـذي غـزاه الحجـاج الإيرانيـون حتـى طلـب الإيرانيـون ترخيـص شركات إيرانيـة للحمايـة المسـلحة لحمايـة الحجـاج الإيرانيـين!

أمـا المـدارس الإيرانيـة والشـيعية فهـي بـؤر لنـشر التبشـير الشـيعي كـما حصـل في المغـرب مـن سـنوات قليلـة.

**الخلاصة:**

هـذه هـي أهـم المخاطـر لسياسـة إيـران المـلالي عـبر مسـيرتها طيلـة أكـثر مـن ثلاثـين عامـا، وإن دعـوات الانفتـاح المحمومـة اليـوم عـلى إيـران بحجـة محاربـة الإرهـاب التـي تلـوح بهـا إيـران هـي مجـرد كذبـة كبـيرة، إذ أن إيـران هـي راعيـة الإرهـاب السـني (القاعـدة) ورائـدة الإرهـاب الشـيعي.

أمـا مـا يحـذر منـه عمـلاء إيـران مـن الإعلاميـين والسياسـيين بـأن إيـران اليـوم لاعـب قـوي في المنطقـة وقـد هزمـت العـالم وجعلتـه يرضـخ لشروطهـا في سـوريا والملـف النـووي فهـي أيضـا كذبـة كـبرى، فإيـران المـلالي عـلى شـفير الانهيـار عـلى مختلـف الأصعـدة السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة، لكـن مـا يطيـل

مـن بقائهـا ويمـد في عمرهـا في الحقيقـة هـو غبـاء السياسـات العربيـة والعالميـة وتخبطهـا في التعاطـي مـع إيـران.

وعليـه يجـب الحـذر مـن هـذا الانفتـاح بـدون ضوابـط ومحـددات وتنـازلات إيرانيـة ويجـب أيضـاً أن يكـون هـذا الانفتـاح تحـت المراقبـة الدقيقـة ولا يتعـدّ العلاقـات البروتوكوليـة والقضايـا الضروريـة، كـما هـو حـال سـفاراتنا في طهـران التـي تقبـع تحـت الحصـار المشـدد.

# استراتيجيات عمل ولاية الفقيه الإيرانية في الوطن العربي

هذا كتاب جديد لمركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية يقع في ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط، وصدرت طبعته الأولى عام ٢٠١٦ عن دار عمّار بالأردن.

والكتاب هو ملخص مكثف من تقرير استراتيجي كبير يعمل المركز على إصداره في عام ٢٠١٦، وقد استكتب فيه المركز عددا من المختصين والباحثين في الشأن الإيراني والشيعي من عدة دول، هم: د. نبيل العتوم، أ. محمد زاهد غول، د. محمد عبدالله، أ. محمد الراشد، د. فادي شامية، د. أحمد العمراني، د. سيف الدين هاشم، د. أحمد العطاونه، أ. أسامة شحادة، د. إسماعيل خلف الله، د. منال الريني، د. محمد سالم بن عبد الحي بن دودو، د. مدثر أحمد إسماعيل الباهي، نضال خير، د. محمد سليم منيسيري، مركز أمية - وحدو الدراسات الإيرانية.

وحتى لا يتأخر كثيراً آثر المركز تقديم هذا الملخص أو المختصر الذي يتكون من ثلاثة أقسام، هي:

١- استراتيجية إيران في عدد من الدول العربية (السعودية، الكويت، البحرين، سورية، العراق، الأردن، فلسطين، لبنان، مصر، الجزائر، المغرب، السودان، موريتانيا)، حيث قُدمت قراءات للعلاقة بين هذه الدول وإيران وآليات إيران في التعامل معها أو اختراقها أو الهيمنة عليها بحسب الواقع، مما يعطي القارئ رؤية بانورامية للمطامع الإيرانية وتعدد أدواتها وتبدل سياساتها من فترة لفترة ومن مكان لآخر، ويكشف عن تباين هذه الأدوات والسياسات في نفس الوقت مع اختلاف المكان، مما يصنع الوعي المطلوب بمدى تعقيد وخبث سياسة الولي الفقيه وبقية الملالي المناصرين له.

٢- القسم الثاني تناول استراتيجيات الولي الفقيه في القارة السمراء (أفريقيا)، من خلال ثلاثة مباحث.

الأول: مقدمة عن النشاط الإيراني والشيعي في أفريقيا، تاريخه ونتائجه ونقاط قوته ووسائله.

والثاني: تناول نماذج من بلاد غرب أفريقيا وهي: السنغال ونيجيريا وسيراليون وغانا وساحل العاج.

والثالث: استعرض بعض دول شرق إفريقيا والقرن الإفريقي وهي: جزر القمر، وجيبوتي، وأرتيريا، وكينيا.

وهذه الدول اعتمدت فيها استراتيجية الولي الفقيه على أداة الاقتصاد والعلاقة السياسية بشكل كبير جداً، في الوقت الذي قصر فيه العرب والمسلمون عن قطع الطريق على الإيرانيين، ومن قبلهم اليهود.

٣- القسم الثالث ناقش جهود إيران في قارة آسيا من خلال ثلاثة نماذج هي: تركيا وأندونيسيا وولاية كيرالا الهندية.

وقد بيّن هذا المختصر عددا من الاستراتيجيات المعتمدة لدى الولي الفقيه ونظامه ومنها:

- توظيف التجمعات الشيعية خارج إيران لخدمة مصالح نظام الولي الفقيه بما يزعزع السلم المجتمعي.
- استخدام الإرهاب في الوصول لأهداف نظام الولي الفقيه.
- تكوين مليشيات عسكرية طائفية ترتبط بطهران.
- الاستيلاء بالقوة على الحكم عبر مظاهر الانتخابات (العراق) وعبر الانقلاب كما في اليمن ولبنان.
- التطهير الطائفي والديمغرافي ضد أهل السنة لتوسيع الهيمنة الشيعية والإيرانية في المدن والمواقع الاستراتيجية.
- التلاعب بالعواطف والقضايا البراقة كالقضية الفلسطينية ونصرة المحرومين والمستضعفين.
- سياسة النفس الطويل والصبر.
- البحث الدؤوب عن أدوات تحمل مشروع الولي الفقيه في الدول التي ليس فيها شيعة، ودعمهم وتدريبهم ليصبحوا قادة سياسيين بمظهر ديني!
- استغلال حاجة الدول الفقيرة والضعيفة.
- استخدام القوة الناعمة (الإعلام – التعليم – التجارة).

ولا تــزال الحاجــة ماســة لمزيــد مــن الدراســات التــي تكشــف حقيقــة أبعــاد الاســتراتيجيات الإيرانيــة العدوانيــة عــلى الــدول العربيــة والإســلامية، وكيفيــة مقاومتهــا وإبطالهــا.

## المشروع الشيعي المعاصر وأسئلة المستقبل
## على أعتاب عقد جديد

أيام قليلة تفصلنا عن بداية العقد الثالث من الألفية الثالثة للميلاد، وبذلك تكون دولة ملالي المشروع الشيعي المعاصر تدلف لعقدها الخامس، ويصادف ذلك تبدل في الإدارة الأمريكية بانتهاء ولاية ترامب الجمهوري المناكف لدولة الملالي وقدوم بايدن الديمقراطي المتساهل مع نظام الملالي فيما يعتقد.

هذه المرحلة الجديدة تستدعي طرح بعض الأسئلة عن مستقبل المشروع الشيعي المعاصر والذي يتسم بالعدوانية المفرطة والطائفية الإرهابية.

ولكن قبل طرح الأسئلة عن المستقبل دعونا نحاول أن نلخّص المشهد اليوم والذي هو حصيلة لسنوات العقد الماضي وخصوصاً سنوات حكم ترامب.

لقد شهد العقد الثاني من الألفية الثالثة -والذي هو على وشك المغيب- اندلاع ثورات الربيع العربي والتي تورطت فيها دولة ملالي قم وطهران بدموية مفرطة حيث ارتكبت الفضائح وأبشع المجازر بشكل مباشر أو عبر وكلائها المحليين الشيعة وغير الشيعة بحق الشعوب في العراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين، ومؤخرا ناصرت قوات حفتر في ليبيا.

وترتب على ذلك احتلال عواصم أربع دول عربية من قبل إيران وأعوانها وهي بغداد ودمشق وبيروت وصنعاء، وهو الأمر الذي تفاخرت به قيادات إيرانية بشكل علني، وبرغم انسحاب ترامب من الاتفاق النووي الإيراني إلا أن إيران لم تنسحب من أي عاصمة عربية، بل ولم يسمح للسعودية بالقضاء على الإرهاب الحوثي، لأن بقاء تهديد شيعي حقيقي للسعودية والسنة عموما هو مطلب استراتيجي لكل القوى الدولية.

وبالمقابل كسبت إيران عداء قطاع واسع من الشعوب العربية والمسلمة بسبب ذلك، كما أن المشروع الشيعي المعاصر خسر ولاء ودعم قطاع لا بأس به ممن كان منخدعاً به من العلماء والمثقفين والعامة.

لكـن تداعيـات الـصراع السـياسي في المنطقـة بـين الأنظمـة العربيـة والإسـلامية وظهـور محـاور متضـادة ومتصارعـة (السـعودية والإمـارات ومـصر مقابـل قطـر وتركيـا) سـاهم بتخفيـف الضغـط عـن النظـام الإيـراني حيـث شـعر محـور قطـر وتركيـا بالحاجـة للدعـم الإيـراني مقابـل المحـور السـعودي الإمـاراتي، ومـن جهـة أخـرى تسـببت الحـرب المفتوحـة مـن محـور السـعودية والإمـارات عـلى جماعـة الإخـوان المسـلمين باصطفـاف قطـاع بـارز مـن جماعـات الإخـوان وعـلى رأسـها حركـة حـماس في المحـور الإيـراني.

ونتـج عـن ذلـك غيـاب الـصراع الصريـح مـع المـشروع الشـيعي لصالـح الحـروب الأهليـة والداخليـة بـين الـدول والقـوى السـنية مـما يشـكل ربحـا صافيـا لمـشروع المـلالي.

ورافـق ذلـك تضييـق عـلى العمـل الإسـلامي السـلفي الشـعبي المقـاوم للمـشروع الشـيعي لصالـح الجهـد العلـماني الليـبرالي النخبـوي للتصـدي لأطـماع المـلالي، كـما أن السياسـة الإماراتيـة المراوغـة تجـاه إيـران حيـث تتصـدر مشـهد التبـادل التجـاري معهـا وترفـض العمـل العسـكري ضدهـا وحتـى في اليمـن تميـل للهدنـة مـع الحوثيـين، مـما يسـاهم في إحبـاط أي عمـل حقيقـي ضـد المـشروع الشـيعي، لهـذا كلـه رجحـت كفـة المـلالي في هـذا البـاب!

نعـم، يواجـه نظـام المـلالي أزمـات اجتماعيـة واقتصاديـة وعسـكرية تجسـدت في ارتفـاع حجـم البطالـة وتصاعـد التظاهـرات الغاضبـة وتراجـع الناتـج القومـي واغتيـال عـدد مـن القيـادات العسـكرية البـارزة في الخـارج كقاسـم سـليماني وفخـرى زادة في الداخـل، لكـن النظـام لا يـزال يسـيطر عـلى الموقـف.

ويبـدو أن هنـاك قـراراً دوليـا بعـدم هـدم دولـة إيـران بـل تعديـل سـلوك النظـام أو تبديلـه فقـط كـما يطالـب اللـوبي الإيـراني في أمريـكا والـذي يجمـع بـين الإيرانيـين المتأمركـين القوميـين وأصحـاب شركات السـلاح والنفـط، مـما يحقـق مصالـح اسـتراتيجية عليـا تـزول مـع زوال القـوة الإيرانيـة مـن المنطقـة.

لعـل فيـما سـبق تلخيـص مكثـف لواقـع المـشروع الشـيعي والقـوى المناوئـة لـه، ويـأتي دور طـرح أسـئلة المسـتقبل لهـذا المـشروع الطائفـي الإرهـابي.

- هـل ضعفـت أو توقفـت جهـود نـشر التشـيع في البـلاد الإسـلامية في خضـم تلـك المنازعـات والمناكفـات وتراجـع القـوة الاقتصاديـة لإيـران؟

وهـل يتوقـع اليـوم رفـع للعقوبـات الاقتصاديـة أو تخفيفهـا عـلى يـد إدارة بايـدن مـما يعيـد العجلـة لهـا؟

- هـل سـتتمكن المعارضـة الشـعبية في داخـل إيـران مـن قلـع نظـام المـلالى في العقـد القـادم؟
- مـع كل ضغـط إدارة ترامـب لم يتزحـزح المـلالي عـن احتلالهـم للعواصـم العربيـة، فـما هـو المتوقـع مـع تسـاهل إدارة بايـدن؟
- وخاصـة موضـوع الحوثيـين في اليمـن هـل سنشـهد إجبـارا للسـعودية عـلى مصالحـة الحوثيـين؟ وهـل نقـول بـاي بـاي يمـن؟
- هـل سنشـهد مزيـد مـن التقـارب مـع إيـران مـن قبـل الإمـارات وقطـر مـع قـدوم إدارة بايـدن؟
- هـل سـتنجح مقاومـة مـشروع طهـران الطائفـي عـلى يـد مـشروع علـماني يقـوده ليبراليـون؟
- هـل سـيبقى الإخـوان المسـلمون رهينـة بيـد طهـران بسـبب خطـأ منهجهـم الشرعـي والسـياسي في تقديـر المصالـح وبسـبب السياسـات العربيـة الرسـمية المعاديـة لهـم؟
- مـاذا تريـد إدارة بايـدن مـن نظـام المـلالي بالتحديـد؟ وهـل سـيكون ذلـك عـلى حسـابنا؟
- مـع تـورط العديـد مـن دولنـا بالتطبيـع مـع اليهـود هـل سـيصبّ ذلـك في مصلحـة المـلالى؟ وهـل سـيعرقل ذلـك المـشروع السـني في مقاومـة المـشروع الشـيعي الطائفـي؟
- هـل سـيكون الخـوف مـن انحيـاز إدارة بايـدن ضـد السـعودية وتركيـا سـبباً لإنهـاء القطيعـة والخصـام بينهـما وتعاونهـما ضـد مـشروع المـلالي؟

هـذه بعـض الأسـئلة التـي يجـب أن يفكـر بهـا المشـتغلون بمقاومـة المـشروع الشـيعي الطائفـي الإرهـابي حتـى يكونـوا مـن صنـاع الفعـل والموقـف وليـس صـدى وردة فعـل للآخريـن، فقـد تسـبب ذلـك في خسـائر جمّـة كسـب منهـا الأعـداء كثـيراً.

# تلاعب إيـران بالقضية الفلسـطينية

مـن المتفـق عليـه أن القضيـة الفلسـطينية رافعـة لـكل مـن أراد أن يشـتهر ويـروج بـين النـاس مـن دولـة أو حـزب أو جماعـة أو شـخص، فيكفـي بعـض الشـعارات الرنانـة أو الحـركات الاسـتعراضية التـي تدغـدغ العواطـف وبعدهـا تأخـذ الشرعيـة والمصداقيـة مـن الجماهـير الجاهلـة والمندفعـة، وعـلى أسـاس هـذه القاعـدة تعاملـت إيـران الخمينـي مـع القضيـة الفلسـطينية. [١]

**البدايـة:** تعـود علاقـة إيـران الخمينـي بالقضيـة الفلسـطينية حـين كانـت مضطهـدة ومطـاردة في منتصـف السـبعينيات فهربـت إلى العـراق ولبنـان حاضنـة كل الأحـزاب والتنظيـمات، وهنـاك تبنـت منظمـة التحريـر الفلسـطينية كـوادر الخمينـي فدربتهـم عـلى العمـل السـياسي والعسـكري وسـلحتهم ودعمتهـم مـن أمـوال الثـورة الفلسـطينية لأنهـم أعـداء الشـاه حليـف إسرائيـل القـوي في معسـكراتها بالعـراق ولبنـان، كـما أن المنظمـة عملـت عـلى فتـح الأبـواب أمامهـم لـدى الـدول العربيـة وحصلـت لهـم عـلى مسـاعدات ماليـة منهـا.

وذلـك بعـد أن سـبق للمنظمـة أن احتضنـت مـوسى الصـدر وقدمـت لـه الدعـم والرعايـة والسـلاح والتدريـب، حتـى قيـل أن أبـو عـمار هـو مـن اختـار اسـم حركـة أمـل لهـا، وبذلـك كان الفلسـطينيون متفضلـين عـلى شـيعة لبنـان وثـورة الخمينـي ولم يكـن البعـد الطائفـي موجـوداً في حسـاباتهم في لبنـان. كـما أن رفسـنجاني بمسـاعدة مـن مـوسى الصـدر قـام بمقابلـة عرفـات في بـيروت قبـل قيـام الثـورة الإيرانيـة بغيـة الاسـتفادة منهـا حيـث كان رفسـنجاني ورفاقـه معجبـين بنمـوذج الثـورة الفلسـطينية[٢]

**بعـد نجـاح الثـورة:** وحـين نجحـت ثـورة الخمينـي كان عرفـات أول مـن اسـتقبل في طهـران مهنئـاً بالانتصـار، وفي خطـاب لعرفـات بطهـران تفاخـر بأنـه درب عـشرة آلاف عنـصر إيـراني في معسـكرات فتـح وأنـه أعطاهـم عـشرة آلاف كلاشـنكوف، ومـن ثـم قـدم عرفـات مزيـد مـن السـلاح للخمينـي ودرب الحـرس الثـوري، وقامـت إيـران بإعطـاء منظمـة التحريـر الفلسـطينية مقـر السـفارة

الإسرائيلية في طهران لتكون سفارة لهم، وعين هاني الحسن سفيراً للمنظمة في طهران وجلال الدين الفارسي سفيراً لإيران لدي المنظمة ومن ثم تولى مصطفي جمران السفارة.

كما تم فتح مركز ثقافي للمنظمة في أصفهان وتعيين مندوب عنها في كل مدن إيران، وطلبت إيران من المنظمة وعرفات الحصول على تأييد حرب الأهواز للثورة، فذهب عرفات وأحمد الخميني لافتتاح مكتب المنظمة بالأهواز لهذه الغاية.

وسرعان ما ظهرت محاولات ثورة الخميني في محاولة أجنحة الثورة لتوظيف المنظمة في أغراضها الخاصة، فبعد أشهر تم الطلب من المنظمة إقفال مكتب الأهواز، واستمرت المضايقات ليغادر هاني الحسن منصبه هناك، ولم يتحسن الوضع مع السفير الجديد، وحين حاول وفد رفيع من المنظمة التوسط في قضية الرهائن الأمريكان رفض الخميني مقابلتهم رغم أن قطب زادة وزير الخارجية الإيراني أرسل برقية رسمية بالموافقة على الوساطة الفلسطينية. وخاصة مع تصاعد سياسات تصدير الثورة ومحاولة الزج بالمنظمة في ذلك، وبعدها جاءت الحرب مع العراق التي وقفت فيها المنظمة على الحياد فاعتبرت إيران ذلك موقف عدائي تجاهها، وبذلك انتهت العلاقة الودية ودخلت مرحلة الجمود[٣].

في لبنان: وعلى الجانب اللبناني لم يكن الحال بأفضل من ذلك، فرغم أن المنظمة هي من أنشأت منظمة أمل ودربتها وسلحتها إلا أن الغدر والخيانة كان جزائها منها، فحين غزت إسرائيل لبنان سنة ١٩٨٢ لم تشارك أمل بالقتال ضد اليهود سوى بالبيانات، بل بعضهم قام بالترحيب بالجيش الإسرائيلي، [٤] وقد فضح ذلك شارون في مذكراته حين قال «لم أرَ يوماً في الشيعة أعداء إسرائيل على المدى البعيد» بل أقترح إهدائهم بعض الأسلحة كبادرة حسن نية!!

وبسبب اختفاء مؤسس أمل موسى الصدر وتزايد النفوذ الإيراني في لبنان وحركة الانشقاق في صفوف أمل، أعلنت حركة أمل سنة ١٩٨٢مبايعتها للخميني إماما للمسلمين في كل مكان[٥] .

وبعد أن غادر الفدائيون الفلسطينيون بيروت عقب الغزو الإسرائيلي،

بـدأت أمـل ونـواة حـزب اللـه تسـعي للتمـدد عـلى حسـاب السـنة اللبنانيـين والفلسـطينيين، ولم يـأت عـام ١٩٨٥ إلا وقـد أعـدت أمـل العـدة لمجـزرة للفلسـطينيين في المخيـمات الفلسـطينية ببـيروت اسـتمرت شـهراً كامـلاً كـما حـدث مـع غـزة مؤخـراً، كانـت مـن الفظاعـة والإجـرام بمـكان كبـير شـملت القتـل والذبـح والاغتصـاب وغيرهـا[٦] .

وقـد صـادف وقـوع هـذه المجـازر وجـود الأسـتاذ فهمـي هويـدي في طهـران فكتـب لنـا عـما عايشـه: «في يونيـو ٨٥ وقتـال «أمـل» للفلسـطينيين في بـيروت كان قـد بلـغ ذروتـه وبينـما تكلـم مختلـف رمـوز النظـام منتظـرى ورفسـنجانى وخامنئـى، فـإن الإمـام التـزم الصمـت. وقيـل وقتئـذ أنـه معتكـف في الأيـام العـشرة الأخـيرة مـن شـهر رمضـان.

ولمـا انتهـى الصيـام خـرج الإمـام مـن اعتكافـه وألقـى خطابـاً في «حسـينية جمـران» بعـد صـلاة العيـد. وفيـما توقـع الكثـيرون أن يعلـن موقفـاً تجـاه مـا يجـرى في لبنـان، فـإن الإمـام لم يـشر إلى الموضـوع مـن قريـب أو بعيـد، وكان جـل تركيـزه في الخطـاب عـلى دلالـة المظاهـرات المؤيـدة للحـرب مـع العـراق، التـي خرجـت يـوم القـدس (آخـر جمعـة مـن رمضـان).

كنـت أحـد الذيـن اسـتمعوا إلى خطبـة الإمـام في صبيحـة ذلـك اليـوم (٢٠ يونيـو) ولم أسـتطع أن أخفـى دهشـتي مـن تجاهلـه لمـا يجـرى في لبنـان، ليـس فقـط لأن الفلسـطينيين هـم ضحيتـه ولكـن لأن الجـاني منسـوب إلى الشـيعة.

ونقلـت انطباعـاتي إلى صديـق خبـير بالسياسـة الإيرانيـة، فـكان رده أن الإمـام لـه حسـاباته وتوازناتـه!!».[٧] أمـا تصريحـات رمـوز النظـام فقـال عنهـا هويـدي: «كان خامنئـى يعـبر بصـدق عـن موقـف الحكومـة والأجهـزة الرسـمية، التـي لزمـت الصمـت طـوال خمسـة أيـام بعـد بـدء الاعتـداء عـلى المخيـمات الفلسـطينية، ثـم بـدأت تتحـدث عـن «وقـف القتـال» و»تجنـب اسـتمرار نزيـف الـدم» وهـو موقـف بـدا خاضعـاً «للحسـابات» أكـثر منـه ملتزمـاً بالمبـادئ، إذ كان واضحـاً الـدور السـوري في دعـم أمـل فضـلاً عـن أن تلـك الأجهـزة وضعـت في اعتبارهـا أن «أمـل» هـي في النهايـة منظمـة شـيعية «[٨].

ومـع اسـتمرار اعتـداء أمـل عـلى المخيـمات قـام الشـيخ أسـعد بيـوض التميمـي وغـازي عبـد القـادر الحسـيني بالذهـاب إلى إيـران في العـام ١٩٨٦م مـن أجـل أن

يطلبوا من الخميني أن يتدخل لوقف المجازر التي ترتكبها حركة أمل ضد الفلسطينيين في جنوب لبنان، ولكن رفض ذلك، ثم ذهبوا بعد ذلك إلى نائبه (منتظري) فأصدر فتوى تستنكر هذه المذابح، ولكن الخميني غضب على (منتظري) لأنه تجاوزه فكان هذا أحد أسباب عزله من نيابة الخميني[٩].

**القدس جيش ويوم!!** وكان الخميني قد أعلن عن تأسيس جيش القدس سنة ١٩٨٠ وأن طريقه للقدس يمر بكربلاء، وهكذا تأخر هذا الجيش عن نصرة القدس لانشغاله بحرب العراق، لكن جيش القدس تحول لفيلق القدس، الذي تمكن رغم حربه للعراق من القيام بعمليات نوعية ضد العديد من الشخصيات والأهداف الإسلامية في أنحاء متفرقة من العالم، فقد قام هذا الفيلق عبر أجنحته المختلفة ومنها أحزاب الله المنتشرة في عدة دول بتفجيرات واغتيالات في مكة والبحرين والكويت ولبنان، وبعد احتلال أمريكا للعراق قام فيلق القدس بالعديد من العمليات ضد السنة العراقيين والفلسطينيين بدلاً من حرب الأمريكان الذين احتلوا العراق بما فيها كربلاء. والآن بعد أن تثبت أقدام إيران في العراق وتقاسمت النفوذ عليه مع أمريكا، بدل من العودة لمواصلة الطريق للقدس يبدو أن هناك أوضاع طارئة تستدعي تغيير وجهته عن القدس للجزر الإماراتية، والقدس لن تضيع وبإمكانها الصبر قليلاً !!

وأعلن الخميني عن يوم عالمي للقدس ليدغدغ عواطف الفلسطينيين والمسلمين بذلك عبر ترديد شعارات الموت لأمريكا وإسرائيل، لكن من يموت هم دوماً أعداء الخميني من أهل السنة وأعداء إسرائيل من المجاهدين فقط!!

**حركة الجهاد الفلسطينية:** وفي الثمانينات تواصلت إيران مع حركة الجهاد الفلسطينية المغرمة لليوم بالثورة الخمينية حتى أصبحت حركة الجهاد تحسب على إيران والتشيع[١٠]، وقد قدمت لها الكثير من الوعود والآمال والقليل من الدعم[١١]، وهو ما جعل الشقاقي يحاول فتح خطوط دعم من ليبيا بدلا من إيران فلقي مصرعه في قبرص بعد مغادرة ليبيا، كما حدث من قبل لموسى الصدر الذي وصل ليبيا ولم يخرج منها بعد!!

**حـماس:** ولم ترحـب إيـران بالعلاقـة مـع حـماس في البدايـة وحتـى سـنوات قريبـة، لأنهـا تعلـم أن حـماس سـنية تتبـع لجماعـة الإخـوان وأن حـماس لهـا خلفيـة سـلفية نوعـاً مـا، وكان هـذا الموقـف بتحريـض مـن حركـة الجهـاد رداً عـلى جهـود الإخـوان في رمـي الجهـاد بالعمالـة لإيـران[١٢].

وقـد حدثنـي د. بسـام العمـوش السـفير الأردني الأسـبق في طهـران وهـو مـن القيـادات السـابقة للإخـوان عـن شـكوى منـدوب حـماس في طهـران لـه مـن إهـمال الإيرانيـين لـه بعكـس منـدوب الجهـاد.

**حـزب اللـه:** أمـا حـزب اللـه الـذي أنشـأته إيـران[١٣] لمقاومـة إسرائيـل فقـد أثبتـت الأيـام أنـه وسـيلة لتنفيـذ الأجنـدة الإيرانيـة ومصالحهـا التـي لا تحتـوى إزالـة إسرائيـل أو عـداء حقيقـي، فقـد غـير الحـزب أكـثر مـن مـرة نظرتـه لإسرائيـل بحسـب معطيـات المرحلـة، ففـي البدايـة أعلـن الحـرب عـلى إسرائيـل حتـى يتـبرأ مـن تقاعـس وخـذلان الشـيعة عنـد غـزو إسرائيـل عـام ٨٢.

وبعـد ذلـك أصبـح يحـصر الـصراع في اسـتعادة الأراضي المحتلـة ومـن ثـم جعـل الـصراع لبنانيـاً فقـط ولا يتعـدى الحـدود اللبنانيـة، وقـد تبـدى هـذا في توقفـه عـن نجـدة غـزة بالصواريـخ المكدسـة عنـده بزعـم حـرب إسرائيـل وتنصلـه مـن الصواريـخ التـي أطلقـت مـن الجنـوب لفـك الضغـط عـن غـزة. كـما قـام حـزب اللـه بحصـار المقاومـة السـنية والفلسـطينية في الجنـوب والقضـاء عليهـا، مـما دعـا الأمـين الأسـبق للحـزب صبحـى الطفيـلي بوصـف الحـزب أنـه أصبـح حارسـاً للحـدود.

وقـد بـدا بشـكل واضـح في حـرب تمـوز ٢٠٠٦ أن الحـزب لا يرغـب بحـرب حقيقيـة مـع إسرائيـل ولذلـك تجنـب ضرب المصالـح الحيويـة لإسرائيـل رغـم زعمـه القـدرة عـلى ذلـك، كـما أن إيـران ضبطـت إيقـاع الحـرب مـن خـلال إدارتهـا المبـاشرة لذلـك، والتـي نتـج عنهـا احتـلال بـيروت وتدعيـم قـوة الحـزب في لبنـان مـع إضعـاف الحكومـة والسـنة بالتحديـد[١٤].

كـما أن الفلسـطينيين في المخيـمات اللبنانيـة الذيـن يقاسـون أنواعـاً عديـدة مـن البـؤس والعـوز في ظـل القوانـين والقـوى اللبنانيـة التـي تخـشي أن يكـون الفلسـطينيون سـنداً وعونـاً لسـنة لبنـان، فـإن إيـران وأذرعهـا تمـارس أنواعـاً كثـيرة مـن الأذى بحقهـم والتضييـق عليهـم.

ومن أبرز هذه الأمثلة أن حزب الله من أجل فصل ضابط محسوب عليه في المطار قام باحتلال بيروت، وتحدى الجيش اللبناني ولم يحسب له حساب، لكن مخيم نهر البارد والذي أعلن حزب الله «أنه خط أحمر» لكن ثبت «أن المخيم خط أخضر!!» -على حد تعبير الشيخ داعي الإسلام- فتم تدمير وإزالة مخيم نهر البارد وحزب الله يتفرج ويعد القتلى السنة من الفلسطينيين والجيش!!

**جيش لبنان الجنوبي:** قد يصدم الكثير من الناس حين يعلم أن غالبية أفراد جيش لبنان الجنوبي أو ما كان يعرف باسم جيش لحد هم من الشيعة، ولذلك حين انسحبت إسرائيل وسيطر حزب الله على الجنوب لم يتم معاقبة أحد من أفراد الجيش العميل، بل قدم نواب حزب الله قانون عفو عنهم حفاظاً على الوحدة الوطنية.

**الاستعداد للاعتراف بإسرائيل:** رغم زعم قادة إيران أنهم ضد إسرائيل وأمريكا الشيطان الأكبر إلا أنهم وحين كان الأميركيون يغزون العراق في ٢٠٠٣، قدمت إيران بموافقة المرشد علي خامنئي «اقتراح» لعقد «صفقة كبيرة» لحل النزاع الأميركي - الإيراني.

**جوهر العرض الإيراني:** نعترف بإسرائيل ونتنازل عن النووي ونوقف دعم حزب الله، مقابل منحنا الوصاية على الخليج، والاعتراف بنا: قوة إقليمية شرعية.

وتضمن الاقتراح عرض إيران إيقاف دعمها للمجموعات الفلسطينية المعارضة، والضغط عليها لإيقاف عملياتها العنيفة ضد المدنيين الإسرائيليين داخل حدود إسرائيل العام ١٩٦٧، والتزام إيران بتحويل حزب الله اللبناني إلى حزب سياسي منخرط بشكل كامل في الإطار اللبناني، وقبول إيران بإعلان المبادرة العربية التي طرحت في قمة بيروت عام ٢٠٠٢م، أو ما يسمى طرح الدولتين، وتنص على إقامة دولتين والقبول بعلاقات طبيعية وسلام مع إسرائيل، مقابل انسحاب إسرائيل إلى ما بعد حدود ١٩٦٧م. [١٥]

**فلسطينيو العراق:** حين تمكنت الميليشيات الشيعية العراقية الموالية لإيران من السيطرة في بغداد لم تتورع عن القيام بمجازر بحق الفلسطينيين في مجمع البلديات هناك بشكل مماثل لمجازر أمل بالمخيمات الفلسطينية

بلبنـان[١٦]، دون أن تتدخـل إيـران لوقـف هـذه المجـازر بـل كانـت بسـلاح إيـراني ورضي منهـا، ولذلـك اعـترف خالـد مشـعل أن حـماس لم تسـتطع مسـاعدة فلسـطينيي العـراق لـدى أصدقائهـا[١٧].

وللأسـف قـام ممثـل حـماس في المجمـع باسـتضافة قـوة مـن مغاويـر الداخليـة العراقيـة عـلى وجبـة إفطـار رمضـاني في مسـجد القـدس ٢٠٠٨/٩/٢٨ في حـين أن تلـك القـوة قامـت في وقـت سـابق باعتقـال إمـام المسـجد [١٨]!!!.

ومـن لم يقتـل مـن فلسـطينيي العـراق إمـا بقـي تحـت سـطوة الخـوف وعـدم الأمـان، أو أصبـح لاجـئ عـلى الحـدود أو المنـافي البعيـدة، ولم تعمـل إيـران عـلى المسـاعدة بعودتهـم لبيوتهـم أسـوة بمئـات الألـوف الإيرانيـين الذيـن جنسـتهم في العـراق بمـا تملـك مـن نفـوذ !! كـما أنهـا لم تعمـل عـلى تحسـين ظروفهـم المعيشـية حتـى ولا في المخيـم عـلى الحـدود السـورية التـي تملـك فيهـا حظـوة كبـيرة.

**لا يعترفـون بالأقـصى !!** رغـم تشـدق إيـران بفلسـطين والقـدس، إلا أن رواياتهـم وعقائدهـم لا تعـترف بالمسـجد الأقـصى الـذي نعرفـه!

ولذلـك ألـف أحـد أكبـار علـماء الشـيعة العلامـة جعفـر مرتـضى العامـلي كتـاب بعنـوان «المسـجد الأقـصى أيـن ؟» جـاء فيـه: «لقـد تبـين لنـا عـدة حقائـق بخصـوص المسـجد الأقـصى والـذي يحسـم الأمـر أنـه ليـس الـذي بفلسـطين»!! وقـرر أن المسـجد الأقـصى هـو في السـماء!! كـما في كتابـه «سـيرة الرسـول الأعظـم» الـذي لا تـزال تصـدر أجزائـه تباعـاً مـن عـشر سـنوات والـذي حـاز عـلى جائـزة أفضـل كتـاب في إيـران مـما اسـتدعى تكريـم الرئيـس نجـاد لـه شـخصياً !![١٩]

**دعـم إيـران لحكومـة حـماس:** وحـين فـازت حـماس بالانتخابـات وشـكلت الحكومـة قامـت إيـران بلعبـة ذكيـة شرحهـا أحـد موالـين حـماس بقولـه: «وكان الموقـف الإيـراني مـن الـذكاء بمـكان أن دعمـوا ولم يدعمـوا حكومـة حـماس ؟؟!! فإيـران أعلنـت أنهـا سـتدعم الحكومـة الفلسـطينية بالملايـين ولم تسـلمها لا يدويـا ولا تحويـلا، وأعلنـت أنهـا سـتتبرع بـآلاف السـيارات للحكومـة وهـي تعلـم أن عصفـورا لا يدخـل لفلسـطين بـلا موافقـة إسرائيـل، وأعلنـت عـن تسـخير طائرتـين للـوزراء المسـجونين في غـزة والضفـة الغربيـة ؟؟.. وبهـذا لـن يلومهـم أحـد بالخـذلان»[٢٠].

والأعجب أن إيران أعلنت شهر ٢٠٠٦/٤ أنها ستقدم لحكومة لحماس ٥٠ مليون، ولكن بعد أكثر من شهرين صرح منو شهر متقي وزير الخارجية الإيراني أن هذا المبلغ لم يوافق عليه بعد مجلس الشورى الإيراني.[٢١]
وحصدت إيران الثناء العاطر من الجماهير العاطفية، رغم أن بعض المحللين ينبهون أن «طهران مشهورة ببخلها. فبرغم أن حزب الله اللبناني المحسوب عليها والذي حقق انتصارات في السياسية الخارجية طيلة ربع القرن المنصرم، بدءاً من حرب الرهائن في الثمانينات إلى حرب تحرير الجنوب وانتهاء الآن بدوره كحاجز صاروخي لردع أي هجوم "إسرائيلي" على منشآتها النووية، إلا إنها لا تقدم له سوى ٥٠ أو ٧٥ مليون دولار سنوياً» [٢٢].

**خذلان غزة:** وهاهي غزة تتعرض للإبادة والقصف والناس ترقب صواريخ إيران وحزب الله، فيكون الجواب على لسان سعيد جليلي وحسن نصر الله لن نطلق صواريخ على إسرائيل !!

وقد تنازعت سوريا وإيران على بطولة وشرف من الذي ضبط حزب الله حتى لا يطلق الصواريخ، وكأن حزب الله كان في وارد إطلاق صواريخ وقد أعلن حسن نصر الله من أول يوم لن نطلق الصواريخ، لأن ذلك لا يفيد غزة ولا يضر إسرائيل!!

ولكسب عواطف الجمهور قامت إيران بإرسال سفينة تحتوى على أسلحة لغزة وتم ضبطها، وكل عاقل يدرك أن إسرائيل لا تحاصر غزة بحراً الآن بل هي تقصفها ولا يمكن لقارب فلسطيني الخروج للبحر، ولكن لضرورات الإعلام والدعاية لابد من التضحية ببعض البنادق والذخائر.

وبذلك تكون إيران فرضت نفسها بأنها باب للمشاكل لكنها مستعدة لأن تكون مفتاح للحل أيضاً، إذا تم مراعاة مطالبها بالنفوذ والسيطرة في المنطقة، ولذلك وغزة تحت القصف، وإيران تطلق الشعارات والهتافات لفلسطين وتستقبل قادة حماس وتشارك في قمة الدوحة لنصرة غزة.

وقد كشف النقاب عن مباحثات ولقاءات استمرت طوال سنة ٢٠٠٨ بين مستشار نجاد الخاص مجتبى هاشمي وبين ويليام بيرى وزير الدفاع إبان إدارة كلينتون، للوصول لصفقة على غرار ما اقترحته إيران في ٢٠٠٣ من الاعتراف بإسرائيل والضغط على المقاومة الفلسطينية!!![٢٣]

ولذلك جاءت نتائج الاستطلاعات في غزة متدنية بخصوص الرضي عن موقف إيران، حيث صوت ٥٨,٢ ٪ أنهم غير راضين عن موقف إيران،وأعرب ٤٥,٥٪ عن عدم رضاهم عن حزب الله[٢٤].

**تلاعب إيران بالقضية الفلسطينية حقيقة ثابتة:** وكون إيران تستخدم القضية الفلسطينية لمكاسب إيرانية شيعية ليس سراً، هذا أسامة حمدان أحد قادة حماس يقول في مقابلة بالهاتف مع بعض العلماء: «إننا بإذن الله سبحانه وتعالى لا نقبل أن يغير صمود المجاهدين وصبرهم وجهادهم وتضحيتهم في صالح راية غير الراية التي نحمل ونؤمن أن الجهاد تحت لوائها فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» . و يقول أيضاً « ونرجو أن تكون أمتنا معنا في ذلك وأن تبذل الجهد في ذلك إلى جانبنا لا نفرح بأن يقترف هذا النصرَ وأن يقترف هذا الجهاد وهذه التضحيات أحد لا نثق به ولا نعتمد عليه»[٢٥].

أما الدكتور صالح الرقب القيادي البارز في حماس بغزة فيعلن بكل وضوح أن دعوى الشيعة برغبتهم لتحرير القدس وفلسطين «هذه الدعوة المزيّفة، لأن ما يجري على أرض الواقع يُكذب هذه الشعارات التي تعد فقط مطية لكسب تأييد جماهيري، وما يطلقه الإيرانيون في يوم القدس ما هي إلا شعارات وكلمات ثم بعد ذلك ينفض المولد»[٢٦].

ويؤكد على ذلك الكاتب صلاح حميدة الحمساوي بقوله: «السياسة الإيرانية في المنطقة في هذه الفترة تقوم على إبقاء التوتر وتصعيده في أفغانستان والعراق ولبنان وفلسطين حتى تستنزف القوى المتضررة من التصعيد وتمنعها من التفكير بمهاجمة إيران في هذه المرحلة، ولذلك فان إنجاح حكومة حماس ليس من ضمن الأجندة الإستراتيجية الإيرانية في المنطقة» [٢٧].

**لماذا لا تنتشر هذه الرؤية؟** ولكن هذه الرؤية الصائبة لحقيقة الموقف الإيراني من قضية فلسطين تلتبس على كثير من المسلمين الخاصة منهم والعامة، لأسباب:

- أن هذه الرؤية لا يفسح لها المجال للتعبير عن نفسها إلا في مجالات ضيقة ومحدودة وبلغة غير واضحة غالباً بل تكتفي بالتلميح كما في كلام حمدان المتقدم.

■ وأيضاً هذا الكلام يصدر فقط حين يكون المخاطب به هم معارضي مشروع إيران أو في معرض الدفاع عن تهمة ارتباط حماس أو تعاونها مع إيران.

■ كما أن مما يزيد الأمر لبساً هو بعض التصريحات لقيادات من حماس أو جماعة الإخوان التي تضفى على إيران البطولة والمصداقية كما في تصريحات المرشد العام لجماعة الإخوان أو رئيس المكتب السياسي لحركة حماس حين قال لقناة العربية «إيران على الدوام منذ انطلاقة الثورة الإيرانية المظفرة وهي تأخذ مواقف جادة ومواقف كبيرة ومبدئية تجاه القضية الفلسطينية وفي مواجهة المشروع الصهيوني»[٢٨]، رغم أن السؤال كان هل تبلغتم عن خطة جديدة لإيران في الموضوع الفلسطيني بعد تصريحات نجاد بإزالة إسرائيل وعودتها إلى أوربا، مما جعل المذيع يعيد السؤال ليجد نفس الجواب وزيادة «المذيع: هذا يدفعنا إلى السؤال عما إذا كنتم قد تبلغتم خطة إيرانية جديدة في طريقة تعاطي طهران مع الحدث الفلسطيني وقد تكونون مشاركين فيها مثلاً؟

خالد مشعل: خطة جديدة بمعنى جديدة لا أعتقد، لكن كما قلت أنا أعتبر السياسة الإيرانية تجاه القضية الفلسطينية هي سياسة مستمرة، امتداد لنهج متعارف عليه معتمد رسمياً وشعبياً في إيران، ونحن نقدر هذا ونثمنه عالياً، ونحن منسجمون في تأكيدنا على الحق الفلسطيني على حق المقاومة في رفض إعطاء الشرعية للكيان الصهيوني، وإذا كانت إيران تقف مع الحق الفلسطيني فالفلسطينيون بكل فصائلهم يقفون مع إيران وحقها والدفاع عن نفسها، ونحن وإياهم في خندق واحد أمام المطامع الأجنبية، وأمام التهديدات والاعتداءات سواء الصهيونية أو الأميركية.»

■ وتقوم إيران بإطلاق تصريحات كاذبة على لسان قادة حماس لتظهر أنها المتولية لشؤون حماس أو لنفي طائفيتها بدعم حركة سنية، حيث نشرت صحيفة كيهان الإيرانية[٢٩] إن رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل قدم تقريرًا حول حرب غزة، لولي أمر المسلمين، مما اضطر حركة حماس لتوضيح أن ذلك ديباجة خاصة بالصحف الإيرانية[٣٠]، وهذا قد تكرر من قبل حين نسبت المواقع الإيرانية عن مشعل قوله «أن حماس هي الابن الروحي للإمام الخميني» وهو مما يستبعد صدوره من مشعل

ولم تنفه حماس!! رغم أنه قد زل بقوله: «الشيعة والسنة في خندق واحد» وإهداء النصر لإيران وجعلهم شركاء في النصر!!

- كما أن من سياسة إيران القيام بحملات إعلامية لزيارات قادة حماس لها ونقل صور قادة حماس في زيارة قبر الخميني والقيام بالصلاة معاً لترويج الوحدة المزعومة والكسب من شعبية حماس، وخاصة بعد التعاطف والتضامن الإسلامي الرائع مع غزة وحماس.

وبذلك تكون إيران قد حققت مطلبها من زعم دعم القضية الفلسطينية !!

**المطلوب من حماس:** يجب الإقرار بوجود نشاط للتشيع في غزة بخلاف تصريحات بعض قادة حماس مثل الزهار وأسامة حمدان، ويكفينا كلام د. صالح الرقب حول سبب تأليفه لكتاب «الوشيعة في كشف شنائع وضلالات الشيعة» وذلك قبل سنة ٢٠٠٠م، حيث قال: «ما لوحظ من زيادة نشاط الدعوة للشيعة الاثني عشرية في الآونة الأخيرة على مستوى قطاع غزة خاصة»[٣١]،وقوله أيضاً: «ومما يؤسف له أنه تولى طباعة الصحيفة السجادية وتوزيعها في قطاع غزة بعض الجهلة المغرر بهم، وأطلقوا عليها «الطبعة الفلسطينية» وكتب أحدهم مقدمة لها غالى في مدحها وتعظيمها «[٣٢].

ومن الممارسات التي تجرى على الأرض في غزة بالتحديد لنشر للتشيع بشكل مكثف ما يلي:

- نشرت صحيفة الاستقلال - التابعة لحركة الجهاد الإسلامي – بتاريخ ١١/ ٢٠٠٧/١م مقالا خطيراً فيه لمز وتعريض بالصحابي الجليل أبي سفيان، وقد تكرر منها ذلك، وما تبثه إذاعة صوت القدس التابعة للجهاد من أفكار تشجع على التشيع.
- إرسال بعض الجرحى للعلاج في إيران ويتم الضغط عليهم للتشيع.
- تأسيس بعض الجمعيات التي تباشر التبشير الشيعي مثل:

١- جمعية الإحسان الخيرية مقرها الرئيس في مدينة غزة ولها فروع في كافة أنحاء القطاع.

٢. جمعية غدير،ومقرها في بيت لاهيا في شمال قطاع غزة.

٣. جمعية رياض الصالحين مقرها في مدينة غزة.

٤. جمعية أرض الرباط مقرها أيضاً في مدينة غزة.
٥. جمعية آل البيت.

ولهذه الجمعيات أنشطة بين طلبة الجامعات وتقوم بترتيب دورات في داخل البيوت للترويج للفكر الشيعي.

- الإعلان عن بداية تأسيس جامعة تحمل اسم جامعة آل البيت.
- توزيع مطويات شيعية بمناسبة عاشوراء.
- أما في محافظة بيت لحم فتم إنشاء اتحاد الشباب الإسلامي وبعض المؤسسات التي تنشر التشيع. هذا أبرز مظاهر التشيع في فلسطين ولأن حماس هي المسيطرة على غزة اليوم.

**مسؤولية حماس والمطلوب منها:** ولأن حماس هي الجهة التي تحاول إيران استغلال شعبيتها ومصداقيتها لخداع المسلمين فإن على حماس مسؤولية وقاية المسلمين في غزة وخارجها من الانخداع بأحابيل إيران أو الظن أن دعم إيران لحماس هو بدافع الولاء الإسلامي، من خلال ما يلي:

**في الخارج:**

١- على حماس أن تكون أكثر حرصاً في تصريحاتها وخطاباتها وخاصة خالد مشعل، فلا يطلق المدح والثناء العلني لإيران بل ليكن في المجالس الخاصة وليس أمام وسائل الإعلام، فحماس تتلقى الدعم من أطراف عديدة ولم يطلب منها أحد شكراً علنياً فلماذا إيران دون غيرها؟؟ كما أن هذه التصريحات والزيارات والصور التذكارية عند قبر الخميني وصلاة الجمعة، يتم ترويجها عند كثير من بسطاء المسلمين على أنها تزكية من مجاهدي فلسطين لإيران والخميني والشيعة، وأن منهج التقارب مع الشيعة هو منهج صحيح، كما أن هذه الصور – خاصة صلاة قيادات حماس مع الشيعة- تخالف قناعات حماس بضلال الشيعة وخطأ التقارب معهم، وهذه ما كان يعلنه الشيخ أحمد ياسين والدكتور نزار ريانرحمهما الله.

٢- يجب على حماس تكذيب أي خبر إيراني غير صحيح حول علاقتها بإيران علناً، والإعلان عن أن أي تصريح لا ينشر في موقع الحركة أو ما تعلنه

هـي غـير صحيـح، لنسـحب البسـاط مـن أيـدي الإيرانيـين مـن اسـتغلال اسـم حـماس لمصالحهـم الطائفيـة، كـما حـدث في تصريـح «مشـعل يقـدم تقريـره لـولي أمـر المسـلمين» وقبلـه مـا نسـبته وكالـة مهـر الإيرانيـة لمشـعل قولـه «حـماس الابـن الروحـي للخمينـي».

٣- عـلى حـماس توضيـح حقيقـة «العلاقـة الإسـتراتيجية مـع إيـران» بشـكل معلـن عـبر وثيقـة أو حـوار أو مـا شـابه ذلـك، وليـس فقـط في المجالـس الخاصـة للمعارضيـين للمـشروع الإيـراني!!

٤- يجـب عـلى حـماس تبنـي قضايـا الفلسـطينيين في الخـارج بشـكل قـوي وصريـح بخـلاف مـا جـرى في حـق مجـازر فلسـطينيي العـراق، مـن عـدم تسـمية المجـرم باسـمه.

٥- لا يجـوز السـكوت عـن مـا يجـرى في المخيـمات الفلسـطينية في الشـتات مـن تشـييع أو تضييـق مـن قبـل القـوى الشـيعية وغيرهـا.

٦- يجـب عـلى حـماس الشـجب العلنـي لأي ممارسـات إيرانيـة تمـس المصالـح الحيويـة للـدول العربيـة، كـما في مطالبـات إيـران بالبحريـن أو جـزر الإمـارات وغيرهـا، وبيـان أن هـذا لا يصـب في صالـح القضيـة الفلسـطينية، فتغـاضي حـماس عـن مثـل هـذه التصرفـات يولـد الشـك والريبـة في قلـوب الأطـراف العربيـة، وعـدم التـأني في بعـض التصريحـات ضر حـماس والقضيـة الفلسـطينية كـما في تصريـح أبـو مـرزوق بخصـوص جـزر الإمـارات والـذي تراجـع عنـه وصححـه فيـما بعـد.

### أمـا في الداخل:

عـلى حـماس العمـل عـلى تعزيـز التحصـين ضـد التشـيع، مـن خـلال التركيـز عـلى بـث وتثبيـت عقيـدة أهـل السـنة، والتحذيـر مـن خطـر البـدع والـشرك، وتعزيـز مكانـة أمهـات المؤمنـين والصحابـة، مـن خـلال أجهـزة الإعـلام التـي تملكهـا ومنابـر المسـاجد والمناهـج المدرسـية والحركيـة. التعامـل بجديـة أكـثر مـع ظواهـر التشـيع في أماكـن سـلطتها، مـن خطـب ومحـاضرات ومقـالات ومنشـورات تـروج وتحـث عـلى التشـيع. إبطـال نشـاطات التشـييع التـي تقـوم بهـا حركـة الجهـاد عـبر مؤسسـاتها الدعويـة والإغاثيـة، ولايقتـصر الحـزم معهـم في قضايـا

النفـوذ والسـلطة!!

عـدم منـع مـن يعملـون عـلى إفشـال المـشروع الشـيعي في غـزة وفلسـطين، أسـوة بعـدم منـع بقيـة الفصائـل مـن العمـل مـع تبنيهـا لمشـاريع وتوجهـات مخالفـة لحـماس، وبعضهـا للإسـلام نفسـه، فلـماذا تسـتطيع حـماس اسـتيعاب نشـاط العلمانيـين والرافضـة وتعجـز عـن اسـتيعاب نشـاط بعـض الإسـلاميين مـن مخالفيهـم!!

الهوامش:

[١]- انظر الشيعة في لبنان لمحمد سرور زين العابدين.

[٢] - (حياتي) رفسنجاني ص ١٧١.

[٣] - (الحرب المشتركة إيران وإسرائيل) حسين علي هاشمي ص ٤٩.

[٤] - أثبت ذلك د. مسعود أسد اللهي الباحث الإيراني في رسالته للدكتوراة من جامعة الإمام الصادق بطهران، والحائزة على جائزة وزارة الإعلام الإيرانية لأحسن أطروحة دكتوراة سنة ٢٠٠٠، والتي نشرت بالعربية بعنوان «الإسلاميون في مجتمع تعددي» ص ١٠٩، ١٣١، ١٣٨.

[٥] - (أمل والمخيمات الفلسطينية) عبد الله الغريب، ص ١٨٢.

[٦] - المرجع السابق ٦٩.

[٧] - (إيران من الداخل) فهمي هويدي، ص ٤٠٤.

[٨] - نفس المصدر ٤٠٣.

[٩] - (ماذا يجري في لبنان) محمد أسعد بيوض، موقع مفكرة الإسلام، ٢٠٠٦/٩/٢٠ م.

[١٠] -انظر دراسة (حركة الجهاد والهوى الشيعي الإيراني) لكاتب هذه السطور.

[١١] - (موسوعة الحركات والأحزاب الإسلامية)تحرير فيصل دراج وجمال باروت، ٢٥١/٢.

[١٢] - (دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة حماس) تحرير جواد الحمد وإياد البرغوثي إصدار مركز الشرق الأوسط المقرب من حماس، ص ٢٧٦.

[١٣] - يكفي لإثبات هذا الأمر وجود إيرانيان في قيادة الحزب بشكل غير معلن. (حزب الله) غسان عزي ص ٣٤.

[١٤] - لمزيد من التفاصيل انظر (حزب الله تحت المجهر) لعلي باكير على موقع الراصد نت.

[١٥] - (القصة الكاملة للعرض الإيراني السري)، لعلي باكير في مدونته على مكتوب.

[١٦] - رصد تفاصيل هذه المجازر كتاب وموقع (فلسطينيو العراق).

[١٧] - مجلة «البيان» عدد ٢٤٦ – ٢٠٠٨/٢.

[١٨] - (حماس والتشيع السياسي (قراءة في الخطاب)) أحمد عبد العزيز موقع القلم.

[١٩] - راجع كتاب «الشيعة والمسجد الأقصى» لطارق حجازي، على شبكة الانترنت.

[٢٠] مقال (الموقف الايراني من حزب الله وحركة حماس) لصلاح الدين حميدة. على شبكة فلسطين للحوار.

[٢١] - رويترز ٢٠٠٦/٧/٩.

[٢٢] - (مقال حماس» وإيران و»الجهاد المالي») لسعد محيو صحيفة الخليج ٢٠٠٦/٢/٢٣.

[٢٣] - الوطن العربي ٢٠٠٩/٢/١١.

[٢٤] - استطلاع رقم ٦٧ يناير ٢٠٠٩ نفذه مركز القدس للإعلام والاتصال بالقدس.

[٢٥] - موقع المسلم ١٤٣٠/١/١٥ هـ

[٢٦] - (حماس والتشيع السياسي (قراءة في الخطاب)) أحمد عبد العزيز موقع القلم .

[٢٧] - مقال (الموقف الايراني من حزب الله وحركة حماس) لصلاح الدين حميدة. على شبكة فلسطين للحوار.

[٢٨] - العربية نت برنامج ضيف وحوار ٢٠٠٥/١٢/٢٣.

[٢٩] - بتاريخ ٢-٢-٢٠٠٩.

[٣٠] - العربية نت ٢٠٠٩/٢٠/٢.

[٣١] - ص ٣.

[٣٢] - ص ٦٣.

# المشروع الإيراني وتشتيت الانتباه عن الخطر الصهيوني

من المجمع عليه أن الخطر الصهيوني هو أكبر الأخطار التي تواجهها أمتنا الإسلامية وبخاصة في المنطقة العربية، ذلك أن المشروع الصهيوني مشروع اعتداء متكامل على أمتنا، وهو يدرك أن بقاءه رهن بضعف وهزيمة أمتنا على كافة الأصعدة الدينية والعلمية والأخلاقية والاقتصادية والعسكرية، ولذلك لا ينفك عن العمل على إضعاف أمتنا في كافة هذه المجالات من خلال وسائل عديدة، مثل:

- نشر الأفكار الهدامة للدين والأخلاق حتى أضحى كثير من أمتنا يحملون الأفكار الإلحادية والإباحية مباشرة من خلال الأحزاب الشيوعية واليسارية - والتي استولت على الحكم في بلدان إسلامية عديدة - أو بطريقة غير مباشرة بتأثير وسائل الإعلام والاتصال من صحف وروايات وإذاعات وقنوات وسينما وشبكة الإنترنت وغيرها.
- السعي لهدم وإعاقة كل المحاولات العلمية والاقتصادية والعسكرية للتقدم والنهوض، باستخدام القتل والاغتيال أو تشويه السمعة أو سرقة العقول بالهجرة للغرب.
- تشجيع الأقليات الدينية والعرقية على الانفصال وتكوين دول مستقلة، وأصابع إسرائيل في دارفور اليوم من الوضوح بمكان.
- بث الفرقة والشحناء على كافة الأصعدة والمستويات في الأمة، بين الحكام والشعوب، وبين الشعوب والعلماء، وبين الحركات الإسلامية، بل وفي داخل الحركة الواحدة.
- افتعال الأزمات والحروب لتشتيت الانتباه عن محاربة إسرائيل.

وهذا الخطر الصهيوني لا يمكن مقاومته إلا بوحدة الموقف والصف، الموقف الذي ينبع من تصور حقيقي للدافع وراء هذا الخطر وهو الأيدلوجية الصهيونية المستندة لليهودية - أو المستغلة لليهودية - فلا يمكن الانتصار

على الصهيونية دون فهم البعد الديني في الصراع حتى لو كان ذريعة أو أداة تستخدمها الصهيونية، والتي جوهرها أن المسلم الجيد هو المسلم الميت!!

أما وحدة الصف فهي نقطة القوة المادية التي ننطلق منها، ولذلك فإن قوة الدولة الصهيونية هي في ضعف صفنا، ولذلك كان توحيد الصف الإسلامي هو نقطة الارتكاز في مشروع صلاح الدين لإلحاق الهزيمة بالحملات الصليبية.

من هذا التصور للخطر الصهيوني يأتي التصدي لمطامع المشروع الإيراني، حيث لا يزال بعض الطيبين يعتقدون أن التصدي لأخطار المشروع الإيراني هو بالضرورة وقوف مع المشروع الصهيوني، وقد سبق لنا في العدد ٦٧ أن بيّنا أن هذه المشاريع - الإسرائيلية والأمريكية والإيرانية- المتصارعة على منطقتنا مستعدة للتفاهم وإنهاء التصارع إذا تم التفاهم على مقدار وحصص النفوذ لكل طرف منهم.

إن المشروع الإيراني يهدد مشروع مقاومة الصهيونية في قلبه، فالمشروع الإيراني يهدد وحدة الموقف على عدة أصعدة:

- على الصعيد السياسي يَعتبر المشروع الإيراني الصراع مع الصهيونية صراعاً على النفوذ في الأمة الإسلامية([١])، وهذه النظرة تمنح المشروع الصهيوني المشروعية التي يبحث عنها.
- وعلى الصعيد الديني فإن أيديولوجية النظام الإيراني اليوم تقوم على التمهيد لقدوم المهدي المنتظر والذي سيكون أعداؤه العرب وسيهدم الكعبة ويأتي بقرآن جديد، وأنصاره سيكونون من اليهود والنصاري الذين سيؤمنون به بخلاف المسلمين([٢]).

أما بالنسبة لوحدة الصف، التي هي المرتكز الأساس في هزيمة المشروع الصهيوني، فإن المشروع الإيراني يتشدق بالمطالبة بالوحدة، لكن سياساته وتصرفاته على أرض الواقع أكبر معول في هدم وحدة الصف لمصلحة الصهيونية، ورغم أن الجهود العربية والإسلامية تجاه المشروع الصهيوني لا ترتقي لما هو مطلوب ومأمول إلا أن سياسات إيران تعمل على إضعافها وتأجيلها بما تشكله من تهديد داخلي، ويمكن لنا أن نؤشر على أهم هذه السياسات الإيرانية كما يلي:

١- بحكم أن الدستور الإيراني ينص في المادة ١٢ منه على أن «الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب الجعفري الاثنا عشري وهذه المادة تبقى للأبد غير قابلة للتغيير»، فإن إيران لا تكف عن محاولة نشر التشيع في البلدان الإسلامية، مما يهدد النسيج الديني والاجتماعي لهذه البلدان كما يحدث في سوريا ومصر والمغرب وجزر القمر وغيرها، مما يجعل جزءاً من اهتمام هذه الدول – أنظمة وقوى اجتماعية - منصباً على مقاومة التشيع بدلاً من المشروع الصهيوني وأدواته.

٢- بشكل دوري يقوم النظام الإيراني عبر أدواته وقنواته المتعددة بتهديد الأمن الوطني لبعض الدول الإسلامية المجاورة له، إما بدعوى تبعيتها له مثل تصريحات ناطق نوري الأخيرة بأن البحرين محافظة إيرانية، أو احتلال أجزاء من دول الجوار كما في جزر الإمارات الثلاث، وما يتردد مؤخراً من احتلال إيران لجزيرة أم الرصاص العراقية شرق البصرة، أو تحريض ودعم بعض المعارضين ضد حكوماتهم أو المطالبة بالانفصال كما في الدول العربية كاليمن والسعودية والبحرين، أو مساعدة ومساندة الجيش الأمريكي في احتلال بعض الدول الإسلامية مثل أفغانستان والعراق، مما يدخل هذه الدول في أزمات أمن وطني داخلي تنشغل به عن التصدى للمشروع الصهيوني.

٣- رغم تشدق إيران بموضوع الوحدة الإسلامية، إلا أن سياسة إيران تجاه القضايا الإسلامية يتصف بالانتهازية، ولذلك فإيران لا يهمها سوى تحقيق مصالحها عند ادّعائها التضامن مع القضايا الإسلامية، فإيران لم تناصر القضية الأفغانية زمن الاحتلال الشيوعي، ولا تهتم بالقضية الشيشانية لعدم وجود أي مصلحة لها هناك، وكذلك في موضوع فلسطين، فهي تستخدم دعمها لحركتي حماس والجهاد كورقة تفاوض مع إسرائيل وأمريكا على النفوذ.

٤- بدلاً من توحيد الصف تقوم إيران وأدواتها في المنطقة دوماً بحملات إعلامية لزيادة الشرخ وترسيخ واقع المحاور المتناقضة، لكسب الولاء أو التأييد لها من قبل الدول والجماعات والأحزاب والشخصيات المؤثرة، من خلال سياسة الدعم المالي وشراء الذمم.

٥- إن سياسة إيران في المشروع النووي الإيراني تولد الكثير من الشكوك حول حقيقته، مما يعزز شرخ الصف الإسلامي، فهل المشروع عسكري أم

مـدني؟ وضـد مـن هـو موجـه؟ فـإذا كانـت إيـران تهـدد جيرانهـا المسـلمين قبـل امتـلاك السـلاح النـووي فكيـف يكـون الوضـع بعـد امتلاكـه؟ وطريقـة التصـادم مـع المجتمـع الـدولي في المـشروع النـووي أليسـت تشـتت انتبـاه العـالم عـن جرائـم المـشروع الصهيـوني بحجـة أن النظـام الإسرائيـلي النـووي نظـام عاقـل بعكـس النظـام الإيـراني المتهـور وغـير العاقـل!!

هـذه السياسـات الإيرانيـة في الحقيقـة لا تخـدم إلا المـشروع الصهيـوني، مـن خـلال إشـغال الـدول الإسـلامية بنفسـها جـراء أطـماع المـشروع الإيـراني، وتفتيـت الصـف الإسـلامي نتيجـة الاسـتقطابات الإيرانيـة، وصرف انتبـاه العـالم عـن جرائـم الصهيونيـة بسـبب الخطابـات العنتريـة والسياسـات والتدخـلات الإيرانيـة المقلقـة والمـشروع النـووي المريـب.

لقـد عانـت أمتنـا مـن قبـل كثـيراً جـراء الفسـاد السـياسي الرسـمي ورفـض أو تأجيـل مشـاريع الإصـلاح مـن قبـل الأنظمـة بدعـوى أنـه لا صـوت يعلـو عـلى صـوت المواجهـة مـع العـدو الصهيـوني، وكانـت النتيجـة بقـاء العـدو الصهيـوني وبقـاء الفسـاد السـياسي!!

واليـوم نجـد الواقـع نفسـه لكـن بصـورة معكوسـة، فكثـير مـن قـوى المعارضـة التـي تنـادي بالإصـلاح وتقـول إن الإصـلاح لا يتعـارض مـع مقاومـة الصهيونيـة، هـي نفسـها التـي ترفـع الصـوت عاليـاً برفـض نقـد ومقاومـة المـشروع الإيـراني بحجـة أن هـذا يخـدم المـشروع الصهيـوني وأنـه لا صـوت يعلـو عـلى صـوت المعركـة، وأنـه لا وجـود أصـلاً للمـشروع الإيـراني، وأخـشى مـا نخشـاه أن تكـون المحصلـة هـي تقاسـم مـا بقـي للـدول العربيـة والإسـلامية بـين المـشروع الصهيـوني والمـشروع الإيـراني!!

إن إدراك أن المـشروع الإيـراني هـو مـشروع معتـدٍ يحـاول سرقـة مـا بقـي مـن رأسـمال لنـا في مواجهـة المـشروع الصهيـوني حقيقـة لا بـد مـن إدراكهـا أولاً ، ومـن ثـم يجـب التصـدي لـه بحـزم كـما يجـب التصـدي بحـزم أكـبر للمـشروع الصهيـوني، حتـى لا تبقـى هـذه الدعـوى الصحيحـة حجـة للمـشروع الإيـراني لبلعنـا بـدل مقاومـة المـشروع الصهيـوني!!

الهوامش:

[١] راجع كتاب الراصد ٢ (حزب الله تحت المجهر) لعلي باكير، وكتاب (حلف المصالح المشتركة) أو عرضه في الرابط التالي: http://www.alrased.net/show_topic.php?topic_id=٨٨٣

[٢]راجع كتاب (محركات السياسية الفارسية) لعادل عبدالله، وكتاب (المخطط الإجرامي لإبادة أمة الإسلام)، وبحث (قراءة في النبوءات) لعمر أبو عمر.

## متاهـة وفـخ الانحياز لإيران / إسرائيل - الشـيعة / اليهود

لا يـزال شـؤم اليهـود والرافضـة يصيـب المسـلمين بـشره وضرره منـذ ظهـرت لهـم دولـة في المنطقـة، فعـلى الدمـاء والأشـلاء أشـادوا سـلطتهم، وبالتهجـير والتهديـم مـدوا حدودهـم ونفوذهـم.

ورغـم صراعهـم الكلامـي وصراخهـم العـالي إلا أنهـم يتنـاصرون عـلى إراقـة دمائنـا وسـلب أوطاننـا، ولم يحـدث بينهـم اشـتباك أو صراع، بـل تبادلـوا صفقـات السـلاح وتقاسـموا الأدوار وفرقـوا صفنـا وأشـغلونا بأنفسـنا عـن مقاومتهـم ومدافعتهـم، فصِرنـا نتصـارع نحـن فيـما بيننـا خدمـةً ونـصرةً إمـا للشـيعة وإيـران وعدوانهـا أو خدمـة ونـصرة لليهـود وإسرائيـل واحتلالهـم وإجرامهـم!

وبسـبب الاتفـاق الإمـاراتي الإسرائيـلي المشـؤوم تـم تبـادل الشـتائم والتخويـن بـين أنصـار الإمـارات وأنصـار إيـران، وانقسـم الصـف الإسـلامي والعـربي بـين طرفـين:

طـرف يعـادي اليهـود ويحاربهـم ويرفـض التطبيـع معهـم، وأبـرز مثـال لذلـك حركـة حـماس، ولكنهـا -كي تحـارب اليهـود- تزعـم أنهـا لا يمكـن أن تسـتغني عـن دعـم ومنـاصرة إيـران والشـيعة لهـا، ولذلـك يسـافر إسـماعيل هنيّـة رئيـس الحركـة إلى طهـران ليعـزي في فقيدهـا المجـرم الإرهـابي قاسـم سـليماني، الـذي قتـل الآلاف مـن المسـلمين مـن محبـي فلسـطين والأقـصى وهـدم منازلهـم ومسـاجدهم، ورغـم ذلـك يطلـق عليـه هنيـة -زورا وبهتانـا- لقـب شـهيد القـدس!

ورغـم موجـة الرفـض الحـادة لهـذا التـصرف الأرعـن والأخـرق مـن بعـض قـادة حـماس وأنصارهـا والمقربـين فضـلا عـن غيرهـم، واصـل إسـماعيل هنيـة وحركـة حـماس مـن خلفـه التقـدم والتوغـل في التطبيـع مـع إجـرام الشـيعة ووكلاء إيـران وشرعنـة كل جرائمهـم وتلميـع مخازيهـم بزيارتـه قبـل أيـام لحسـن نـصر اللـه في بـيروت وتمجيـده وحزبـه وتمجيـد بشـار الأسـد وحكومتـه في تنكـرٍ تـام لدمـاء الفلسـطينيين والسـوريين واللبنانيـين الذيـن سُـفكت عـلى يـد حـزب اللـه وقـوات بشـار.

وعلى الهامش من تناقض حماس في قصة التطبيع أن زيارة نتنياهو لقابوس لم تمنع هنية شخصيا من السفر لتقديم العزاء فيه شخصيا، وكأن التطبيع المرفوض عند حماس هو التطبيع الذي لا تستفيد منه ماليا كتطبيع قطر أو الاستفادة منه سياسيا كتطبيع تركيا وعُمان!

وكأن محاربة اليهود تبرر لحماس ومن يناصرها تجاوز كل جرائم إيران والشيعة، وهو النهج الذي أنكره على حماس كثير من العلماء والفضلاء المناصرين لفلسطين وحماس منذ عقود، ولكن حماس -للأسف- تواصل الإعراض عن النصيحة وتكاد تنتقل من مربع الخطأ لمربع الإصرار على الخطيئة.

ويقابل هؤلاء طرف آخر يزعم أن الخطر الإيراني لا يمكن دفعه إلا بالتنازل عن قضية فلسطين والتصالح مع اليهود وإسرائيل لتكوين حلف يتصدى لعدوان الملالي وقادة طهران!

كان يتزعم هذا الطرف في السابق شخصيات علمانية، ولكن إصرار حماس ومن خلفها على إثارة مشاعر الناس بتمجيد جرائم إيران والشيعة والإشادة برموز جرائمهم ولّد ردة فعل عند بعض المتصدين للعدوان الإيراني حتى ورّطتهم في تبرير وتأييد التطبيع مع اليهود وتأجيل أو التخلي عن مقاومة الاحتلال الإسرائيلي بدعوى أولوية محاربة العدوان الإيراني كما صرح يوسف العلاونة الفلسطيني، أو بسبب عدم عدوان اليهود المباشر على العراق كما يفعل الإيرانيون في العراق، كما قال د. طه الدليمي.

إن اليهود والرافضة شر وشؤم على كل من ظنّ فيهم خيرا فتحالَف معهم أو تعاون، فلا توجد دولة عربية أو غير عربية استفادت من التطبيع مع اليهود طيلة العقود الماضية.

وأيضا ماذا استفادت حماس وغير حماس من التطبيع مع الشيعة وإيران سوى أنها كانت جسرا عبَر عليه التشيع وممسحة لتلميع سمعة إيران الطائفية والإرهابية؟

من شؤم إيران والشيعة على حماس -لو كانت تعقل- أنها شوّهت سمعتها أولا، وأفقدتها الكثير من المصداقية ثانيا، وساهمت في شرعنة التطبيع مع اليهود لدى بعض الجمهور العربي والإسلامي كردة فعل على دعمها الأحمق

للمـلالي.

ولكـن حماقـة حـماس أو خيانتهـا لدمـاء الآلاف مـن المسـلمين ليسـتا مـبررا -بـأي حـال مـن الأحـوال- لتبريـر التطبيـع مـع اليهـود وإسرائيـل والتخـلي عـن القضيـة الفلسـطينية كـما يفعـل بعـض الأبـواق المأجـورة مـن الذبـاب الإلكـتروني ولا كـما فعـل العلاونـة والدليمـي، خاصـة أن تطبيـع الإمـارات وغيرهـا قريبـا لا علاقـة حقيقيـة لـه بمقاومـة إيـران ووقـف عدوانهـا، بـل هـي أجنـدات سياسـية تـكاد تكـون أجنـدة شـخصية أكـثر مـن كونهـا أجنـدة قطريـة حتـى!

إن المـشروع اليهـودي الإسرائيـلي والمـشروع الشـيعي الإيـراني ليسـا مشروعـين متناقضـين، بـل هـما مشروعـان متنافسـان ولديهـما تفاهـمات دائمـة ومتجـددة عـلى سـقف التنافـس، وهـو الأمـر الـذي يجلـب لهـما الأنصـار والحلفـاء منـا. فهـل يتيقـظ مقاومـو اليهـود والشـيعة ومدافعـو عـدوان إسرائيـل وإيـران للمتاهـة والفـخ الـذي سـقطوا فيـه؟

# أهل السنة .. علّتنا في تفرقنا!

لم يعد هناك مجال للنقاش حول قيام محور إيران/ الشيعة بشن حرب عسكرية طائفية شيعية مع تورط جيش المالكي بالهجوم على الأنبار وأهل السنة فيها، وهذه الحرب الطائفية تشتعل في أربع دول بالمنطقة العربية (سوريا، لبنان، اليمن، العراق)، فضلاً عن احتلال إيران للجزر الإماراتية، وتحريضها الدائم لشيعة البحرين للتحرك العسكري ضد الدولة، عبر تقديم السلاح والمال، وقد قبضت السلطات البحرينية في ٢٠١٣/١٢/٢٨ على سفينة عراقية محملة بالأسلحة الإيرانية والسورية.

ورغم مئات ألوف القتلى، وملايين المصابين والمفقودين والمشردين، لا يزال أهل السنة مختلفين متنازعين متفرقين، سواء على مستوى الدول والأنظمة، أو على مستوى المعارضة والحركات الإسلامية، وهذه الفرقة هي أضخم نقطة قوة يستفيد منها المحور الإيراني، ومن قبله العدو الإسرائيلي.

فإسرائيل اليوم تعمل بكل قوة على تعميق الشرخ في المجتمعات العربية التي شهدت ثورات الربيع العربي، بتحريض القوى القديمة على قوى الثورة من جهة، والوقيعة بين قوى الثورة الإسلامية وغير الإسلامية، وزرع العراقيل أمام الجماهير العربية حتى لا تكمل مشوار بناء مؤسساتها الرسمية، فضلاً عن دعمها اللامحدود لبقاء المجرم بشار الأسد على حكم سوريا، فمهما حاولت إسرائيل فلن تجد مثله، فبينما سماء سوريا تعج بطائراته التي تلقي براميل المتفجرات على رؤوس السوريين، تمخر الطائرات الإسرائيلية بكل ثقة وأمان لتقصف مواقع في دمشق دون أن تشك لحظة بإمكانية الغدر بها أو محاولة التصدي لها.

ولا يقتصر ذلك على قوات بشار بل يشمل قوات حزب الله والميلشيات الشيعية العراقية والحرس الثوري الإيراني، الذي يزعم أنه يقاتل في سوريا عملاء إسرائيل وأمريكا، لكن إسرائيل تقصف دمشق وهم ينظرون ولا يعبأون، ومن ثم تجتهد إسرائيل في حماية بشار والتنديد بالخطر الأصولي

بين الثوار، وهي مطمئنة تمام الاطمئنان للميلشيات الشيعية الوافدة من أنها ستلتزم بكلمة الشرف حول سلامة
أمن إسرائيل!!
وهكذا يمضي المشروع الإسرائيلي الصهيوني والمشروع الإيراني في طريقهما للعدوان على حقوقنا وأرواحنا مستغلين حالة الانقسام والفرقة والصدام الداخلية بين أهل السنة، فها هي إسرائيل تواصل العدوان على المسجد الأقصى، وتدعم الاستيطان، وأخيراً تعمل على ابتلاع منطقة الغور من الدويلة الفلسطينية الخداج، وإجبار الفلسطينيين على قبول حرية حركتها العسكرية في داخل الدويلة الفلسطينية المنتظرة!
وتسعى إسرائيل للحصول على أكبر المكاسب من مسار المفاوضات في هذه الفترة، التي ظهْر الفلسطينيين فيها مكشوف، بينما العرب مشغولون عن نصرتهم فضلاً عن عجزهم عن نصرتهم، وإيران باسم فلسطين تهدم أربع دول عربية، والفلسطينيون منقسمون، بين من يلجأ إلى أمريكا ومن يلجأ إلى إيران، فأصبح حالهم كالمستجير بعمرو عند كُربته.. كالمستجير من الرمضاء بالنار!!
وهذا أيضاً ما يحدث تجاه المشروع الإيراني الذي يشن علينا حرباً طائفية وأهلية في أربع دول، حيث انقسم العرب إلى قسمين رئيسين: الأنظمة وما والاها من قوى علمانية مختلفة، والإسلاميين، ثم انقسم كل محور إلى ثلاثة أقسام!
فمحور الأنظمة والقوى العلمانية ينقسم إلى: المحافظين ذوي الميول الدينية العامة الذين عندهم رفض للأطماع الإيرانية والشيعية بالجملة من منطلق سياسي، لكنهم عاجزون عن مقاومة المشروع الإيراني الطائفي بسبب غياب البعد الديني عن رؤيتهم، وهناك الليبراليون الذين هم أشد رفضاً للمشروع الإيراني من منطلق سياسي وفكري ليبرالي، لكنهم أيضاً يفتقرون للقناعة بقدرة المشروع الديني على مقاومة المشروع الإيراني، وأخيراً عندنا العلمانيون اليساريون المتماهون مع المشروع الإيراني بدرجات مختلفة، بحجة مقاومة الصهيونية والممانعة للقوى الاستكبارية، وغالبا ما ينجح هؤلاء في إفشال الجهود الضعيفة أصلاً للقسمين الأولين تجاه مقاومة المشروع الإيراني، من

خلال سيطرتهم على المنابر الإعلامية والثقافية.
والمشكلة الأهم هنا أن هؤلاء الأقسام الثلاثة هم على خصام حاد مع التيار الإسلامي بالجملة، ويرفضون التواصل معه والتفاهم، إما لموقف فكري يرفض الدين كالشيوعيين، أو يرفض حضور الدين في السياسة كالليبراليين، أو بسبب اتهامه للإسلاميين -وخاصة جماعة الإخوان المسلمين- بكونهم أداة لإيران في دولهم! وقد تفاقم الخصام بعد سنوات الربيع العربي، لكنه بلغ الذروة مع تأييد الأنظمة والقوى العلمانية للانقلاب العسكري على الرئيس المصري محمد مرسي المنتمي للإخوان.

**في المقابل نجد التيار الإسلامي ينقسم لثلاثة أقسام رئيسية:**

**الإخوان المسلمون،** وعلاقتهم بالأنظمة غالبا متوترة لأنهم يعدون المنافس الأكبر للأنظمة، وأيضاً براغماتيتهم التي تمكنهم من فتح علاقات وثيقة بالأمريكان والإيرانيين مما يزيد من توجس الأنظمة منهم، لذلك نجد أن مواقف الإخوان رمادية من العدوان الإيراني على الدول العربية، ويتميز بالمعالجة الجزئية لكل بلد بما يحقق مصلحة الإخوان/ التنظيم فيه، وليس الالتزام بمصلحة الأمة، ولذلك تجيش جماعة الإخوان الأمة ضد انقلاب السيسي، ولكن لا مانع لديها من إبقاء حركة حماس للعلاقات أو إعادتها مع إيران والنظام السوري وحزب الله، للتملص من الحصار الدنيء لغزة. وأيضاً في سوريا يكاد ينحصر دور الإخوان كالقوى العلمانية في اللعبة السياسية، وفي العراق هناك اتهامات للحزب الإسلامي بعقده صفقة مع المالكي لمصلحته الإخوانية بعيداً عن مصلحة السنة، وفي اليمن يتفرج حزب الإصلاح على عدوان الحوثيين على دماج حفاظاً على مصلحته لا مصلحة اليمن، وهذا الموقف الرمادي للإخوان من إيران والشيعة، يعمّق الشرخ والفرقة في البلاد العربية، في الوقت الذي يجتهد الإخوان فيه للوحدة مع إيران والشيعة!!

**القسم الثاني هم السلفيون المشاركون بالعمل السياسي،** وهؤلاء أعرف الناس بخط المشروع الإيراني والشيعي، وهم الذين يقودون مقاومته على الأرض في أوساط المجتمعات العربية السنية، لكن الليبراليين واليساريين

يناصبونهم أشد العداء بسبب ما يسمونه تشدد السلفيين وتعصبهم الديني، وجاءت علاقاتهم بالإخوان وتعاونهم مع الإخوان خاصة بعد الانقلاب في مصر، لتزيد من الفجوة بينهم وبين أهل القسم الأول بعامة، مما جعل مقاومتهم للمشروع الإيراني لا تجد سنداً من الدول، بل في حالة تصادم مع مشروع الليبراليين لمقاومة التمدد الشيعي بثقافة الانفتاح والانبطاح الأخلاقي! ويجد هؤلاء السلفيون أنفسهم في زاوية ضيقة بين ضرورة نصرة الإخوان بصفتهم يحملون راية إسلامية أمام الغزو العلماني المدعوم غربياً وإسرائيلياً ووقع عليهم ظلم بالانقلاب وتحطيم المسار الديمقراطي السلمي، وبين الخوف والقلق من براغماتية الإخوان الشرعية التي تتناغم مع الليبراليين كثيراً، أو براغماتيتهم السياسية التي لا تمانع في التحالف مع إيران برغم عدائها الذي يوازي العداء الإسرائيلي!!

**وأخيراً هناك السلفيون غير السياسيين**، الذين هم بعكس الإخوان على علاقة جيدة بالدول والأنظمة وعداء لإيران والشيعة، لكن تأثيرهم محدود، وأيضاً هم غير مرحب بهم من الليبراليين واليساريين، والسكوت عنهم غالباً ما يكون لدوافع انتهازية لضرب الإسلاميين بعضهم ببعض.

**الخلاصة:**

إن بقاء مقاومة المشروع الإسرائيلي والإيراني رهينة الصراعات الداخلية مؤذن بالفشل والهزيمة، ولا بد من الوصول لمشتركات حقيقية لنصرة المصلحة العامة، خاصة أن جميع الأطراف تقوم بعقد تحالفات مع خصومها أو مع أطراف لا تقل خطورة عمّن ترفض التعاون معهم.

إن المشروع الإسرائيلي والإيراني لا يقاومه مشروع يسحق شباب الأمة تحت وطأة الشهوات، ولا مشروع يُضل شباب الأمة بسيل من الشبهات، وإن التنازلات التي تقدم للأمريكان أو الإسرائيليين أو الإيرانيين، لو قدمت وبذلت في ما بيننا لكان النجاح حليفنا والفوز من نصيبنا.

# حتى ينجح المشروع السني

تعاني أمتنا اليوم من صراع المشاريع المختلفة على مقدراتها وقدراتها، وهذه المشاريع تتنوع بين المشروع الصهيوني والمشروع الغربي والمشروع الشيوعي والمشروع الطائفي أو الشيعي والمشروع العلماني والمشروع الاستبدادي.

وفي خضم هذه المشاريع يغيب المشروع الحقيقي والأصلي وهو المشروع السني، الذي يعبر عن الغالبية الأصيلة في الأمة، وهو المشروع الذي يمتلك المشروعية الشرعية والتاريخية والقانونية.

المشروع السني ينبثق من هوية الأمة وتاريخها ولغتها وتراثها، وهو ليس مشروعاً وافداً من الخارج ولا مشروعاً يحمل أجندات فئوية لفصيل دون آخر، ولا مشروعاً يسعى للهيمنة بالباطل لصالح نخب فاسدة ضيقة (أولغاركية) كحال المشاريع الأخرى.

هذا المشروع السني لا يزال ينمو ببطء مع الأسف عبر أكثر من ١٠٠ عام، منذ ظهرت دعوات الإصلاح الإسلامية في مختلف البلاد الإسلامية، هذه الدعوات الداعية للعلم وحرب الجهل والخرافة، والعاملة على نشر التوحيد والسنة وحرب الشرك والبدعة والضلالة، والمجاهدة باللسان والسنان ضد الاحتلال المادي والمعنوي، والساعية لبعث الأخلاق الحميدة بعد طوفان الفساد والانحلال الوافد عبر الدعوات المنحرفة وأدوات الاحتلال.

هذه الدعوات الإصلاحية المباركة ورغم نجاحها في المحافظة على هوية الأمة من أن تستلب بالكامل، ونجاحها في نشر الوعي بالعلم الشرعي وأهميته، ونجاحها في حرب كثير من مظاهر الشرك والبدعة والخرافة، ونجاحها في دحر الاحتلال المباشر في غالب البلاد الإسلامية، ونجاحها في المحافظة على أصول الأخلاق الإسلامية، إلا أنها لم تصل بعد للنجاح الكامل الذي تبتغيه وهو قيام نموذج للحكم الإسلامي الرشيد يعيد أمجاد الماضي بعدله وتقدمه وقوته ورحمته، ويكون قدوة للبشرية المعاصرة لتخرج من تيهها وأزماتها الروحية والمادية.

**وهـذا الإخفاق له أسـباب عدة، منها:**

عـدم تراكـم العلـم والمعرفـة في هـذه الدعـوات الإصلاحيـة في أبـواب هامـة مـن العلـم والمعرفـة، مـما يـؤدي دومـا للبدايـة مـن الصفـر في كل تجربـة جديـدة، فتضيـع الأوقـات وتتبـدد الطاقـات، ومـن أمثلـة هـذه العلـوم والمعـارف:

١- علـوم التنميـة البشريـة، التـي تشـمل تطويـر ملـكات التفكـير والبحـث والتأمـل، وتشـمل مهـارات الاتصـال والتواصـل، وتشـمل مهـارات القيـادة والإدارة، وللأسـف فـإن هـذه العلـوم لم تدخـل بعـد في صلـب المعـارف والعلـوم التـي تقدمهـا الدعـوات الإصلاحيـة لروادهـا وجمهورهـا، ولا تـزال متروكـة للمبـادرة الفرديـة والشـخصية، ويتولـد عـن ذلـك تكـدس الأفـراد العاديـين في مفاصـل الدعـوات الإصلاحيـة وإعـادة إنتـاج البيروقراطيـة الحكوميـة الفاشـلة المتفشـية في المؤسسـات العامـة في المؤسسـات الدعويـة الإصلاحيـة، وبذلـك تعجـز الدعـوات الإصلاحيـة عـن القيـام بـدور القاطـرة التـي تجـر خلفهـا العربـات/ الأمـة عـلى السـكة/ الـصراط الموصـل للرفعـة والتقـدم والنجـاح.

٢- معرفـة الفـرق والمذاهـب المعـاصرة قديمـة كانـت أم حديثـة، فـلا يـزال حسـن الظـن في غـير محلـه هـو المتبـع في التعامـل مـع الفـرق والمذاهـب المعـاصرة، مـما نتـج عنـه الكثـير مـن المصائـب والكـوارث للدعـوات الإصلاحيـة، فمـن المهـم جـدا أن يكـون هنـاك مراجـع معتمـدة للفـرق والمذاهـب المعـاصرة تتميـز بالموضوعيـة والجـدة والعمـق، فمـن المعيـب أن تسـتنجد اليـوم حركـة حـماس بإيـران وحـزب اللـه لمواجهـة تبعـات الانقـلاب في مـصر، في الوقـت الـذي يمارسـان فيـه القتـل يوميـا في سـوريا بحـق الشـعب السـوري، لأنهـما:

أولاً: مـن الأعداء وليسـا محايدين أو مناصرين.

ثانيـاً: يفتـح هذا الباب للسياسـة الانتهازيـة المخالفة للشرع.

ثالثـاً: كيـف ينصرنا الله ونحن نخذل مسـلما؟

وبسـبب هـذا الجهـل بالمذاهـب الفكريـة المعـاصرة تحالـف الإخـوان المسـلمون عـبر تاريخهـم مـع العديـد مـن الفصائـل العلمانيـة اليسـارية والليبراليـة التـي سرعـان مـا انقلبـت عليهـم!

فهـم كانـوا مـع حـزب البعـث السـوري وهـو يحـارب إخـوان سـوريا، وتحالفـوا في الأردن مـع البعثيـين واليسـاريين فانقلبـوا عليهـم وانحـازوا لإجـرام بشـار الأسـد،

وتحالفوا معهم في انتخابات مصر وأدخلوهم للبرلمان واليوم انقلبوا عليهم، ويطالبون بحل جماعتهم وسحل أفرادهم!!

وأيضاً من الجهل بالمذاهب الهدامة انشغال فئات من السلفيين بتتبع أخطاء جماعة الإخوان دون أخطاء بقية التيارات السياسية والفكرية، فهذا نوع من الحول الفكري، أن تنشغل بالكامل ضد جماعة نيتها سليمة ولو أخطأت قليلاً وكثيراً عن أحزاب وجماعات سياسية وفكرية ملحدة وعلمانية ومحاربة للإسلام بعضه أو كله!! ويكون الجرم أعظم حين يكون هذا الانشغال بإيعاز من هذه التيارات المنحرفة عن الإسلام ولصالحها.

٣- الجهل بتاريخ الدعوات الإصلاحية وتجاربها وخبراتها وعدم توارث ذلك، يكاد يكون جهلا مطبقاً، ونتائجه الكارثية على فشل المشروع السني تبلغ من الضخامة حدا لا يتخيل!

فكم من الجهود الكبيرة والتي بذلت من أجلها أرواح ومهج كثيرة جدا، وأنفقت في سبيلها أموال هائلة، واستغرق الوصول لها سنين طويلة، ثم تضيع بسبب تكرار خطأ لم نتعلم من وقوعه أول مرة!!

ومن يطالع تجارب الإصلاح يجد أنها نجحت بشكل كبير في البدايات ووصلت لثمار رائعة، لكن بسبب عدم الوعي لمرحلة ما بعد التأسيس، وعدم الانتقال من الفردية للمؤسسية، وعدم تطوير الرؤية وتعميقها، واحتكام القيادة للولاء على الكفاءة، مني العمل الإصلاحي بنكبات متكررة فشل بسببها عن تحقيق غاياته.

٤- علم السياسة الشرعية، برغم أهميته ومركزيته إلا أن الاهتمام به لا يزال نخبوياً، والواجب أن يصبح علماً شعبياً متداولاً بين الناس، حتى يحكم تصرفاتهم ويلجم انفعالاتهم، ويوجه الطاقات لمسارات البناء المجدية، فتتراكم الإنجازات، ونخرج من دائرة العبث (البناء والهدم) التي حذرنا منها النبي صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه بقوله: «إن المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى".

ونحتاج أن يصنع لعلم السياسة الشرعية متن صغير أو نظم يعمم في حلقات العلم ويصبح من أولويات طالب العلم الأساسية، ومن ثم يفتح المجال للتوسع في المستجدات العصرية وتنزل عليها الأحكام الشرعية، ويستخلص

منها التجارب الماضية القواعد والضوابط التي تجنبنا تكرار الأخطاء وتضييع الأعمار.

٥- علم إدارة الخلاف والنزاع، وبرغم أنه من علوم الإدارة الداخلة في علوم التنمية البشرية إلا أن الحاجة الماسة له جعلتني أفرده بالحديث، فكم من الصراعات بين فصائل الإصلاح والدعوات تستهلك فيها الجهود والطاقات دون طائل؟

وكان بالإمكان الحفاظ على هذه الجهود المهدورة لو أحسنا علم إدارة الخلاف والصراع، كما يحسن إدارته أعداؤنا، فالخلافات في حكومة إسرائيل مشهورة معلومة، والخلافات في نظام الملالي بطهران معلنة مكشوفة، لكنهم مع كل ذلك يوظفونها لما ينتج مصلحتهم ولا يبدد قوتهم.

فمتى نبتعد عن عبارات التخوين والعمالة بين فصائل العمل الإسلامي كلما حدث بينهم خلاف أو صدام، ومتى نحسن أن نسرب الخلاف بيننا في مسارات متوازية بدلاً من أن نطرحه في خطوط متقاطعة!

في الختام: إن ضعف أو غياب هذه العلوم هو من معيقات المشروع السني عن بلوغ غايته ونهايته، عزيزي القارئ: إذا كنت أنت ممن غابت عنهم هذه العلوم وكنت من معيقات مشروعنا عن بلوغ غايته، فهل أنت على استعداد لتدارك ما فات؟

اللهم اجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر.

# تحديات في طريق أهل السُنّة اليوم

تمر أمتنا اليوم بمرحلة جديدة في تاريخها تشهد الكثير من المتغيرات والأحداث، والتي أفرزت تحديات جديدة في نوعها أو حجمها أمام أهل السنة، وهذه التحديات كثيرة ومتنوعة ومتعددة الجهات والأغراض، مما يستوجب على أهل السنة وخاصة رؤوسهم وعلماءهم أن يمتلكوا النظرة الشاملة والكلية للتحديات وأن لا يقعوا في فخ النظرة الجزئية للتحدي أو في دائرة جغرافية صغيرة ومحددة، كما لا بد من امتلاك القدرة على التعامل مع عدة تحديات قد تبدو متناقضة في نفس الوقت، أي العمل بالتوازي على عدة ملفات وتحديات وترك العمل على التوالي في الملفات، فكم من قضية انشغل بها أهل السنة مدة طويلة فلما انتهت فوجئوا بملفات أخرى تضخمت أثناء ذلك وأصبح من الصعب التعامل معها!!

١- من التحديات اليوم تقديم خطاب وسلوك سني متميز في السياسة الشرعية بعد أن أصبح كثير من القوى السنية في قلب العمل السياسي، فنحتاج إلى خطاب شرعي يحافظ على مقاصد الشرع ويحقق المصالح الحقيقية للأمة، ونحتاج إلى تقديم نموذج عملي في السياسة وإدارة الدولة يظهر الآثار الإيجابية للمرجعية الإسلامية حين تفعّل في حياة الناس، نحتاج إلى نموذج يتفوق على النموذجين الماليزي والتركي، فبالرغم من تميز وتفوق هذه النماذج إلا أننا بما نحمل من سلامة المنهج وصواب المعتقد لابد أن يكون إتقاننا في الخدمة العامة والناس وإحساننا بإدارة الدولة ومعاملة الناس بمعايير الفاروق رضي الله عنه الذي قال: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟»، والقائل: «لو مات جدي بطف (شاطئ) الفرات لخشيت أن يحاسب اللّه به عمر".

وهذا يكون بالتشاور مع أهل الخبرة والاختصاص وتقديمهم، وعدم الركون لآفة الحزبية التي تقدم الولاء على الكفاءة، ومن أبرز مصائب هذه السياسة الحزبية الجاهلية مقارنة الصناعة الروسية والإيرانية الحربية

بالصناعة المدنية، فلكون الولاء هو المقدم فيهما فإن الولاء عند العسكر يتناغم مع الكفاءة فتجد الصناعة الحربية تزدهر، بينما في الجانب المدني حين يقدم الولاء وتتخلف الكفاءة تصبح الصناعة المدنية في غاية التخلف والبؤس!!

٢- من التحديات اليوم تحويل مستجدات الربيع العربي لأوضاع إيجابية على كافة الأصعدة، والتفطن لمكر الأعداء في الداخل والخارج الذين يودون إعادة عقارب الساعة للخلف، فلنحذر من الحرائق المفتعلة بشكل مستمر لخلق صراعات داخلية في الدول، ولنحذر من إلهائنا بمعارك صغيرة وهامشية عن معركة البناء والتأسيس لمرحلة جديدة يسود فيها الحق والعدل والحرية والكرامة والقانون وهي مقاصد أساسية للشريعة.

كما يجب أن نتنبه للمحاولات الحثيثة لتحويل الثورة السورية من خطوة على طريق قوة الأمة، بتحرير سوريا من دور حماية إسرائيل والتبعية لإيران في مشروع الهيمنة، إلى جعل الثورة السورية أداة لتحقيق أغراض إسرائيل وإيران بتفتيت الدول العربية وتفجيرها من الداخل، كما بدأ ذلك في طرابلس بلبنان، ومما يساعد على تحقيق هذا المقصد الإسرائيلي الإيراني التأخر العربي والإسلامي في دعم المعارضة السورية بكل أشكال الدعم.

٣- من التحديات اليوم: الحفاظ على الهوية الإسلامية الحقيقية لأمتنا، والتي يراد تغييبها بشعارت عديدة مثل نبذ الطائفية والمواطنة وقيم الحرية والليبرالية والعلمانية والدولة المدنية.

ففي الوقت الذي يطالب فيه البعض بالليبرالية والعلمانية والمواطنة والمدنية تجدهم يطالبون أيضاً بحقوق الأقليات!! فإن كنتم مع العلمانية والمواطنة فكيف تطالبون بكوتات طائفية؟؟

وفي الوقت الذي يرفعون فيه شعارات التوافق بين القوى السياسية، إلا أنهم يرفضون التوافق الأغلبي المطالب بالهوية الإسلامية، حتى صرحوا بأن الديمقراطية ليست حلاً، بل لا بد من قبول الديمقراطية الليبرالية!!

فالواجب على أهل السنة التركيز على الهوية الإسلامية وأنها الأصل الذي يجب على الجميع التكيف معه، وأن أمتنا استوعبت في تاريخها كل من عاش في أكنافها مهما كان متناقضاً معها بشرط أن لا يعمل ضدها.

٤- من التحديات اليوم التنبه للمشروع الشيعي في أطراف العالم الإسلامي، فاليقظة لمشروع الهيمنة الإيراني السياسي في المنطقة العربية، وانخراط إيران في تهديد الأمن القومي العربي في سوريا ولبنان والعراق والبحرين والكويت واليمن، يجب أن لا تلهينا عن النشاط التبشيري المحموم لنشر التشيع في أطراف العالم الإسلامي في أفريقيا وآسيا والجاليات الإسلامية في المهاجر.

ولذلك لا بد من دعم المنابر الإعلامية التي تكافح آفة التشيع باللغات المحلية في تلك الدول، كما يجب إعادة الدعم والتواصل مع تلك البلاد من قبل الحكومات، كما يجب إعادة إحياء دور الأزهر والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة -كما كان سابقا- في نشر الدعوة الإسلامية ورعاية الدعاة.

٥- من التحديات اليوم كشف النشاطات المشبوهة التي تقوم بها بعض الاتجاهات الصوفية بدعم من القوى الغربية أو بعض الأنظمة المستبدة، حيث تكرر في تاريخنا استغلال الغزاة والمستبدين لهم لإضفاء الشرعية على جرائمهم تجاه أمتنا وحقوقها، ولعل من أكبر الأمثلة ما يقوم به د.البوطي والمفتي حسون من دعم المجرم بشار الأسد، وكذلك ما يقوم به بعض شيوخ الصوفية من الاندماج في مخططات مؤسسة راند، أو المشاركة في جلسات الكونجرس الأمريكي، أو ما تقوم به مؤسسة طابة.

٦- من التحديات اليوم التصدي لحملة الحداثيين في مهاجمة الإسلام من الداخل، فبعد تكسر موجة الإلحاد، ظهرت فكرة «الانبثاق من خصوصيات المجتمع» فظهرت محاولات الماركسيين لتقديم فقه إسلامي منحرف، مثل محاولات محمد شحرور وعبد الكريم خليل وعبد المجيد الشرفي ونصر أبو زيد وسيد القمني، والآن مع التفوق الإسلامي سنشهد تزايد ظاهرة النفاق والغزو من الداخل بشعارات وعناوين مختلفة.

٧- من التحديات اليوم التنبه لموجة الغزو الناعم لشبابنا وفتياتنا عبر وسائل الإعلام التي تركز على تسويق الشهوات لسهولة تقبلها، بدلاً من الشبهات التي أصبحت تثير الأزمات، ولذلك أصبحنا نرى تفلتاً في كثير من السلوكيات وعند شرائح لم تكن تعرف ذلك.

ومن خلال الشهوات تبث الشبهات، فبعد مسيرة طويلة من بث الشهوات ونشرها ظهرت في بؤر معينة دعوات منحرفة مثل عبدة الشيطان والإيمو

وهكـذا.

وهـذا يسـتدعي خطابـاً دعويـاً يتناسـب محتـواه مـع عقليـات وعواطـف الشـباب، وخطابـاً دعويـاً متجـدداً في طرائقـه وأسـاليبه ينافـس الإثـارة والإبهـار الـذي تسـوق بهـا الشـهوات، وهـو تحـدٍّ لم يأخـذ حقـه مـن الاهتـمام بعـد.

# أهل السنة.. الفرص والتحديات

في هذه المرحلة المليئة بالتحولات والتبدلات على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بسبب ما مر بالمنطقة والعالم من أحداث جِسام ووقائع عظام شهدت زوال أنظمة سياسية وزعزعة أنظمة ديكتاتورية عاتية - قريبا ما تسقط بإذن الله - وصعود مدوٍّ للإسلاميين، واندحار للأفكار الواردة، وحراك شعبي قوي لكنه غير موحد ولا محصن أمام مؤامرات التخريب من الداخل والخارج، وظهور فشل وعود الرأسمالية بعد فشل الشيوعية من قبلها.

في ظل كل هذا يجد أهل السنة جميعاً - من أيّد وشارك أو من عارض وذم في «الربيع العربي» أنفسَهم - أمام واقع جديد مليء بالفرص والتحديات، وفي هذا الواقع الجديد لا مكان للجامدين أو السلبيين، بل إما أن تكون ذكيا في خدمة مبادئك وأمتك فتربح من إيجابيات وفرص هذا الواقع، أو ستكون خاسراً بسبب إضاعتك للفرص من حولك وبسبب التحديات التي ستسحق من لا يحسن التعامل معها. وقديما ذكرا ابن القيم شعرا جميلا:

عاجز الرأي مضياع لفرصته  حتى إذا فات أمرا عاتب القدرا

تراثنا الإسلامي مليء بالخبرات في قضية الاستفادة من التحديات وقلبها إلى فرص تحقق المكاسب، ففي غزوة بدر كانت مشورة الحباب بن المنذر بنزول النبي صلى الله عليه وسلم على ماء بدر ليكون الماء للمسلمين دون كفار قريش نموذج لقلب تحدي طبيعة أرض المعركة لفرصة لصالح المسلمين، وفي تهديد ثمامة بن أثال - وهو من أشراف أهل اليمامة - لقريش بمنع قوافل قريش من الوصول لليمن إلا بإذن النبي صلى الله عليه وسلم مثال آخر لتحويل تحدي قريش وتهديدها للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة إلى فرصة للإسلام وأهله، من خلال جعل قريش في موضع المُهدَّد

بدلاً من المُهدِّد، وفي قصة نعيم بن مسعود يوم الخندق حين قلب تحدي اتفاق كفار قريش واليهود على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى فرصة من خلال الوقيعة بينهم وتفريق صفهم، وهناك أمثلة كثيرة.

فحقيق بأهل السُنة أن يتنبهوا اليوم إلى حقيقة التحديات التي تواجههم، وتحويلها إلى فرصة فهي سلوك ومطمح إسلامي عظيم يندرج في فقه وفهم سنن الله عز وجل في الكون ولا يوفق له إلا أهل الاستقامة والبصيرة والقوة.

### ومن هذه التحديات التي تواجه أهل السنة اليوم:

### ١-تحدي الحرب الإعلامية:

فأهل السنة اليوم يواجهون تحدياً كبيراً من خلال الحرب الإعلامية المفتوحة عليهم عبر مختلف وسائل ثورة «الميديا»، والتي تهدف لتحقيق عدة مكاسب منها الربح المادي من خلال معالجة القضايا المتعلقة بالإسلام، فأي برنامج يعالج قضية إسلامية أو يستضيف شخصية مشهورة إسلامية أو معادية للإسلام يحظى بمتابعة عالية، وهو أحد أهداف وغايات أصحاب المؤسسات الإعلامية، ويترافق هدف تشويه وتحطيم القوة الإسلامية هدف مستقل لكثير من أصحاب المؤسسات الإسلامية، سواء كانوا عربا أو غير عرب، وسواء كانوا من أبناء المسلمين أو سواهم.

ومما يقوي هذا التحدي الإعلامي ضد الإسلام والمسلمين انتشار الإعلام وحريته وتحرره وسهولة الحصول عليه كمنتجين أو مستقبلين.

وهذا التحدي يمكن أن نقلبه ونحوله لفرصة كبيرة في صالح الإسلام وأهله إذا أحسنا التعامل معه، فهو قد فتح المجال أمامنا لدخوله بعد أن كان ممنوعا على أهل السنة في بلاد كثيرة كليبيا وتونس أو كان محاصراً كمصر مثلاً.

واليوم أصبح المجال متيسراً وسهلاً لِولوجه وامتلاكه أيضا، وهو مما يجب أن يحرص عليه أهل السنة اليوم: السعي بقوة لتأسيس القنوات والإذاعات والصحف والمجلات والمواقع، حتى نتجنب خطأ الماضي حين لم يتيسر للمخلصين منابر إعلامية مستقلة.

ومن الفرص اليوم أن بعض المنابر المعادية للإسلام أصبحت تركض وراء

بعض الضيوف الممثلين للتيار الإسلامي لإضفاء نوع من المهنية والموضوعية، وللحفاظ على شيء من الشعبية في ظل رغبة الشعب المعلنة بأصحاب الخيار الإسلامي، وهنا يجب استغلال الفرصة لتقديم حقيقة الإسلام وما فيه من حق وعدل ورحمة، وهذا يكون من خلال إعطاء الإعلام حقه من الاهتمام والتحضير والتأهيل، فلا يجوز بحال من الأحوال أن يتصدر للإعلام - خاصة في المقابلات والمناظرات على المنابر المخالفة - من ليس كفؤا إعلاميا ولو كان في أعلى مراتب العلم والتقوى؛ لأن الإعلام يحتاج مع العلم والتقوى إلى حسن العرض والبيان الواضح، والقدرة على تجنب فخاخ الخصوم.

فكم شاهدنا من قامات علمية كبيرة لم تُوفق في مناظرة مع سفيه أو دجال من الدجاجلة بسبب ضعفه في المؤهلات الإعلامية، ألم ينبهنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى خطورة أمر تزويق الألفاظ والدعاوى حين قال: «إنكم تختصمون إليَّ وإنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي بينكم على نحو مما أسمع منكم»، النبي صلى الله عليه وسلم يقرر هنا خطورة خداع الكلام المزخرف، فما بالك بعامة الناس الذين قد لا يفهمون لغة بعض أهل العلم، لا سيما الذين لا يتبسطون في طرحهم في وسائل الإعلام، أو لا يحسنون تقريب المعاني الصحيحة بلغة الشعب البسيطة، ولنا في مجاراة النبي صلى الله عليه وسلم للأعرابي «حولها نُدندن» عبرة وعظة. وأيضاً لابد من فرض شروطنا في هذه اللقاءات فلا نقبل كل دعوة وبأي طريقة بل من المتعارف عليه أن للضيف الحق في وضع بعض الشروط والضوابط للأسئلة والضيف المقابل والمداخلات.

ومن الفرص اليوم في التحدي الإعلامي مواجهة الخصوم على ملعبنا، من خلال استضافتهم والتحاور معهم حول مواقفهم وأفكارهم، وهذا إذا أحسن استخدامه يحقق عدداً من المكاسب منها: طمأنة القاعدة الشعبية لصحة وقوة مواقف أهل السُنة، وإزالة العداوة أو تقليلها لدى بعض الخصوم تجاه أهل السُنة، وكسب بعض الخصوم لقضايا صحيحة مشتركة، وإحراج الخصوم أمام قواعدهم الشعبية.

**٢- تحدي صرفنا عن برنامجنا الحقيقي لمعارك جانبية:**

من مكر الخصوم بأهل السُنة محاولة تفريغ قوتهم ومكاسبهم في قضايا

جانبية ومفتعلة، ولذلك يجب على أهل السُنة التفريق بين المعركة الرئيسة والكبرى لهم وبين المعارك الفرعية والهامشية التي تستنزف قوتهم في ما لا طائل كبير تحته، ولنا في موقف النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد قدوة وأسوة، فحين صاح أبو سفيان - وقد أشاع الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قُتل- أفيكم محمد؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لا تجيبوه، فقال أبو سفيان: أفيكم أبو بكر؟ أفيكم عمر؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: لا تجيبوه، فلمّا ظن أبو سفيان أن هؤلاء ماتوا، قال: أُعلُ هبل، فحينئذٍ قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: ألا تجيبوه؟ قال الصحابة: وماذا نقول يا رسول الله؟ فقال: قولوا الله أعلى وأجل، فقال: لنا العزّى ولا عزى لكم، قال: ألا تجيبوه؟ قالوا: وكيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم.

فلما كانت صيحة أبي سفيان عن الأشخاص نهاهم النبي عليه الصلاة والسلام عن الإجابة، لكنه حين تعرض لجناب التوحيد أمَر النبي عليه الصلاة والسلام بالتصدي له وجوابه بما يسوؤه.

ولذلك على أهل السُنة تجنب المعارك الهامشية والمفتعلة، والتركيز على معركتهم الكبرى وهي إقامة الدين في الأرض من خلال بث الدعوة والتعليم وإشاعة العدل والرحمة، والتنبه لمكر الحاقدين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة.

كما على أهل السُنة أن ينتبهوا للصورة العامة الكلية ولا يغرقوا في المشهد الجزئي والتفاصيل الصغيرة، فلا تطغى سخونة المشهد في بقعة معينة وتضيئها كشافات الإعلام، على أحداث أخرى ربما تكون أكثر خطورة لكنها ليست ساخنة ولا تلتفت لها عدسات الإعلام، ولنضرب مثالاً على ذلك:

فرغم ما نشهده من تصاعد القوة الإسلامية السُنية وتراجع شعبية إيران وحزب الله في الشارع عموما، إلا أن النشاط الشيعي لا يزال يجتهد لتحقيق بعض المكاسب وترسيخها مستقبلا كأمر واقع - بحسب توصيات الخطّة الخمسينية، إذا كان يتذكرها أحد- ففي مصر محاولة لإنشاء حزب شيعي، واستثمارات إيرانية في الصَّعيد - حيث الجهل، قبائل تنتسب للأشراف- بقيمة ٥ مليارات، إعلان عن تجمّع باسم الحرس الثوري المصري، تشيّع

نشـط في المـدارس وبـين نشـطاء ميـدان التحريـر، السـفارة الإيرانيـة بالقاهـرة تقيـم دورات صحفيـة مجانيـة لاسـتقطاب بعضهـم، تواصـل إيـراني مـع عـدد مـن مرشـحي الرئاسـة، وفي تونـس شـارك المتشـيعون في الانتخابـات البرلمانيـة، وافتتحـوا مكتبـة لهـم، ولديهـم انخـراط في بعـض الجمعيـات، وقـد يسـعون لتشـكيل حـزب مسـتقبلاً.

فيجـب اليقظـة والحـذر ومتابعـة الرؤيـة الكليـة والشـاملة وعـدم الغـرق في معـارك الخصـوم الوهميـة، والتحـرك مـن خـلال خطتنـا للفعـل دون الوقـوع في أسر ردود الفعـل.

# الفهرس


المقدمة ..... ٥

لماذا يعادون الإسلام الصحيح ؟..... ٧

التزام السنة والجماعة يهدم المؤامرات على الإسلام والمسلمين ..... ١٠

عامة المسليمن بيت تجفيف المنابع وتحريف المفاهيم ..... ١٤

السياسة والعلم جزء من شمولية الإسلام..... ١٩

القابلية للتضليل..... ٢٤

قواعد فهم الواقع ..... ٢٦

١- سلامة المنهج ..... ٢٦

٢-دقة المعلومة وسلامة التحليل ..... ٢٧

٣- معرفة الخصوم ومكائدهم ..... ٢٩

٤- الرؤية الشاملة والواسعة ضرورة ..... ٣٠

٥- فهم القضايا المركبة والمتعددة الأبعاد ..... ٣٢

موسم الهجوم الفكري والثقافي على الإسلام..... ٣٤

انتبه أنت في حالة حرب ! ..... ٣٨

- أدوات الحرب الفكرية ..... ٣٩

١- الإعلام المدفعية الثقيلة ..... ٣٩

٢- العبث بالتعليم قتل بطيء ..... ٤١

٣- سياسة نعميم الفجور والفواحش ..... ٤٤

٤- ثقافة الضرار في شكل جديد ..... ٤٦

٥- التجارة حين تكون أداة غزو واحتلال ..... ٤٨

٦- المجتمع المدني : حصان طروادة في زمن العوالمة ..... ٥٠

- خطوات مقاومة حرب الأفكار العدوانية ..... ٥٣

- دورك لن يقوم به غيرك ..... ٥٤
خيارات الواقع المر ..... ٥٧
المسلم المعاصر ودوائر الصراع والوعي المطلوب تجاهها..... ٦٠
الإسلام والسنة في دائرة الاستهداف ..... ٦٤
هل نحن على أعتاب غربة جديدة للدين ؟..... ٦٨
كيف نتعامل مع حالة الغربة القادمة؟ ..... ٧١
الشبهات كيف نتعامل معها بوعي وحكمة؟ ..... ٧٤
احذروا تبديل الدين باسم تجديده!..... ٧٨
أمتنا وعدوان الداخل والخارج..... ٨٢
الواقع الإسلامي الى أين ؟..... ٨٧
- تمهيد :خريطة الصراع بين الحق والباطل..... ٨٧
-نظرة سريعة على خريطة العداوة والحرب للإسلام والمسلمين عبر تاريخهم الممتد ..... ٨٨
-التخطيط لحرب الإسلام والتآمر عليه قديم ..... ٩٠
-ماذا يشكل الإسلام والمسلمون اليوم لمعسكر الباطل..... ٩١
-المخططات العدوانية على الإسلام والمسلمين اليوم ..... ٩٤
-ماذا يمكن أن نفعل لإبطال هذه المخططات والمؤامرات ..... ٩٦
احذروا فخ متاهة الفوضى ..... ٩٨
كم مِن ابن سبأ في عصرنا ؟!..... ١٠٣
رسالة الى شباب أهل السنة: تجنبوا تكرار أخطاء الماضي..... ١٠٧
العمل الإسلامي اليوم وفخ مخططات نيتيناهو والتشيع!!..... ١١٢
من توصيات مؤسسة راند في تغريب المجتمعات الاسلامية..... ١١٦
-تمهيد ..... ١١٦
-توصيات مؤسسة راند تجاه الشريعة الإسلامية ..... ١١٧
-توصيات راند بخصوص حد الردة ..... ١١٨
-توصيات راند بخصوص أحكام الزواج وتوابعه في الدستور والقوانين..... ١١٨
-العلاقة بين الديمقراطية والقانون والشريعة الإسلامية..... ١١٨
-توصيات راند بخصوص الجهاد في سبيل الله ..... ١١٩

-توصيات راند بخصوص المساجد.....١٢٠
-توصيات راند بخصوص التعليم الإسلامي.....١٢٠
-توصيات راند بخصوص القبيلة والعشيرة.....١٢١
مراكز الأبحاث الامريكية : مؤسسة راند نموذجاً.....١٢٤
-تمهيد مرحلة ما قبل مراكز الدراسات.....١٢٤
-نشأة مراكز الدراسات.....١٢٤
-مؤسسة راند .....١٢٧
-توصيات ومقترحات.....١٦٣
الإبراهيمية»وتأثيرها على الأقصى والقدس».....١٣٦
-حقيقة هذا المصطلح.....١٣٦
-التوظيف السياسي للإبراهيمية.....١٣٨
-الخطوات المنجزة في هذا المخطط الإبراهيمي.....١٤١
-خطر الإبراهيمية وتأثيرها على الأقصى والقدس.....١٤٣
-العمل المطلوب.....١٤٦
الفرق الضالة خطر متجدد.....١٤٧
عندما يكون العم سام ناسكاً!.....١٥٢
الدور المشبوه لمؤسسة طابة في مرحلة الربيع العربي .....١٥٩
- تمهيد .....١٥٩
-مؤسسة طابة .....١٦٠
-الدور المشبوه لمؤسسة طابة.....١٦٢
-نشاطات مشبوهة للمؤسسة والقائمين عليها.....١٦٣
-الخاتمة .....١٦٨
المشروع الداهم والمشروع الغائم.....١٧٠
-المشروع الداهم .....١٧٠
-المشروع الغائم.....١٧٣
١٠مخاطر للانفتاح العربي السياسي على إيران .....١٧٦
استراتيجيات عمل ولاية الفقيه الإيرانية في الوطن العربي.....١٨٢
المشروع الشيعي المعاصر وأسئلة المستقبل على أعتاب عقدجديد.....١٨٥

تلاعب إيـران في القضية الفلسـطينية.....١٨٩
- البداية .....١٨٩
-بعد نجاح الثورة .....١٨٩
-القدس جيش ويوم !.....١٩١
-حركة الجهاد الفلسطينية.....١٩١
-حماس.....١٩٢
-حزب الله.....١٩٢
-جيش لبنان الجنوبي.....١٩٣
-جوهر العرض الإيراني .....١٩٣
-فلسطينيو العراق.....١٩٣
-دعم إيران لحومة حماس.....١٩٤
-تلاعب إيران بالقضية الفلسطينية حقيقة ثابتة .....١٩٦
-خذلان غزة .....١٩٥
-المطلـوب من حماس.....١٩٨
-مسـؤولية حـماس والمطلوب منها .....١٩٩
-في الخارج .....١٩٩
-في الداخل .....٢٠٠
المـشروع الإيراني وتشـتيت الانتباه عن الخطـر الصهيوني.....٢٠٣
متاهـة وفـخ الانجباز الايراني / اسرائيل/ الشـيعة/ اليهود.....٢٠٨
اهل السـنة .. علتنـا في تفرقنا!.....٢١١
حتى ينجح المشروع السـني .....٢١٥
تحديـات في طريق أهل السـنة اليوم .....٢١٩
أهل السـنة.. الفرص والتحديات .....٢٢٣